١١٦

المورد

مجلة تراثية فصلية محكمة

محتويات العدد

المورد . العدد الرابع . المجلد التاسع والعشرون . ٢٠٠١

المورد

فرض الحصار واستمراره مصلحة امريكية صهيونية

د . محمد البكاء

هناك معادلة تحكم مسار السياسة الخارجية الاميركية وتطبيقاتها . حتى وان اتسمت بالسلبية في معالجة الكثير من المشكلات الدولية وكانت سببا في : (إثارة قضايا اخلاقية تدعو للقلق البالغ) على حد تعبير بيرجنسكي . ولعل جوهر هذه المعادلة ينطلق من حقيقة ان : (الكيان الصهيوني) يمثل بالنسبة لاميركا (مصلحة حيوية) . وان عراق ما بعد ثورة ١٧ ـ ٣٠ من تموز ١٩٦٨ م . يمثل تهديدا حقيقيا وجادا لهذه المصلحة . بعد ان افصح عن حقيقة موقفه من الصراع العربي ـ الصهيوني . لما تمثله القضية الفلسطينية كمسالة مركزية في سياسته الخارجية (اقليميا ودوليا) . وسعيه الحثيث لبلورة موقف عربي موحد يتلخص في الرفض لكل محاولات التسوية على حساب حق تقرير المصير . ومن ثم مناهضته السياسة الاميركية في فرض (السلام) المزعوم !! على العرب . لذا فليس في وسع السياسة الخارجية الاميركية والكيان الصهيوني اغفال دور العراق المناهض هذا او تجاهله على مختلف الصعد (العسكرية ، السياسية ، الفكرية) ، او ما يكونه من ثقل مركزي ، ومركز استقطاب عربي واسلامي في مجمل هذا الصراع .

لذلك كان العراق هدفا ستراتيجيا سعت اليه اميركا وكيانها المسخ في محاولة بائسة لعزله اقليميا ودوليا . وتهميش علاقاته عربيا ، واضعافه . بعد ان باءت كل محاولات استدراجه او دفعه للتخلي عن منهجه الاستقلالي بالفشل الذريع ، وليس ببعيد عن الذاكرة الدور الاميركي ـ الصهيوني طيلة ثماني سنوات (قادسية صدام المجيدة) في اطالة امد الحرب التي كانت تعبيرا عن نيات عدوانية مبيتة لاسباب جيوبلتيكية وجيوستراتيجية او في تغذية الة العدوان تلك .

وبعد أن تحقق النصر المبين في الثامن من اب ١٩٨٨ . ونهوض العراق بمهمته القومية الدفاعية التي قاتل فيها نيابة عن الامة العربية . ناهيك عن مهمته الوطنية في تعزيز البناء الثوري . والتجربة النموذج . التي ارسى دعائمها باقتدار عال السيد الرئيس القائد صدام حسين حفظه الله ورعاه كان لابد ان يتمحور الجهد الاميركي ـ الصهيوني التآمري تجاه العراق مرة اخرى بعد ان فشلت حرب النيابة في ان تحقق النتائج المتوخاة منها ، واتخاذ اساليب اكثر خبثا . واشد تآمرا بعد ان اتضحت مؤشرات العودة الى مستويات التنمية الى مرحلة ما قبل الحرب دون اغفال التفاعلات المتداخلة في النظام الاقتصادي والمالي العالمي ، والعودة الى اقتصاد السلم . والتنمية والتعاون الاقليمي والدولي بطرائق بديلة ، واستثمار نصر القادسية المجيدة في الارتقاء بالمستوى الجهادي لامة العرب من صيغ التعبير باضعف الايمان الى مستوى الاستشهاد . وتاكيد الاقتدار في قيادة المسيرة النضالية لامة العرب لبناء مشروعها النهضوي الحضاري .

وبذا فقد شهد عام ١٩٨٨ م انبثاق لجنة تعاون وتنسيق أميركي ـ صهيوني لمواجهة ما سمي حينذاك ببرامج التسلح العربية . وكان للعراق النصيب الاوفر من متابعة هذه اللجنة وعملها . ولعل هذا ما كان يرمي اليه اللواء امنون شاحاك في حديثه لصحيفة يديعوت احرونوت ٢١ / ٢ /١٩٨٩ . « ان جيش العراق الضخم وقدرته القتالية عقب حرب الخليج ، والقدرة الصناعية . والبنية التقنية اللتين بنتهما الدولة في سنوات الحرب بما في ذلك مجال الاسلحة ، كلها عوامل تتطلب من (اسرائيل) ان تتابع جيدا ما يحدث في هذه الدولة » .

ذلك لان الجيش العراقي كما يرى رون بن يشاي في حديثه للجريدة نفسها في ٢٨ /٧/ ١٩٨٩ قد اكتسب في حرب الخليج تجربة قتالية ولوجستية عظيمة القيمة .

وان هذه التجربة على ما يذكر زئيف شيف في هارتس (٢٤ / ٨ / ١٩٨٩) قد جعلت من العراق : (قوة اقليمية . وان القوة العسكرية والقدرة التي يمتلكها تمثل تهديدا ، علينا ان نحسب في ظله امكان اشراكها في حرب ضدنا .. على (اسرائيل) ان تضاعف من جهودها لمعرفة

ما يجري في العراق حتى لا نفاجأ) .

وفضلا على ذلك التنسيق الاميركي ـ الصهيوني لايذاء العراق ، كان هنالك اسهام بعض الاطراف العربية ، وفي المقدمة منها : نظام الخيانة من آل صباح في زعزعة الاقتصاد العراقي . والذي كان نوعا من الحرب غير المعلنة ، وهذا ما أشار اليه السيد الرئيس القائد صدام حسين في مؤتمر قمة بغداد في ١٩٩٠/٥/٣٠ : « ان الحرب تحصل احيانا بالجنود ويحصل الايذاء بالتفجيرات ، وبالقتل ، وبمحاولات الانقلاب ، واحيانا اخرى يحصل بالاقتصاد » .

وبعد الاستغلال البشع لاختلال التوازن الدولي من قبل اميركا ، وتجييش اكثر من ثلاثين دولة في محاولة لاستهداف العراق ومن خلاله امة العرب ، ونهضتها ، كانت « ام المعارك الخالدة » تعبيرا عن طاقة الامة الروحية ، وموقفها المبدئي في انجاز مشروعها الحضاري . ناهيك عن تعرية واسقاط انظمة الخيانة العربية التي حاولت التستر على مقاصدها الدنيئة في النيل من المشروع القومي المستقبلي للامة بعد ان سخرت ارضها وسماءها لتكون منطلقا للعدوان الثلاثيني الغادر . ومن ثم تمويل آلته الحربية ، واسهامها المباشر في تعمد اطالة امد الحصار الجائر في ما بعد .

لقد تكشفت المقاصد الحقيقية من وراء فرض الحصار الذي استغل ظروف اختلال التوازن الدولي لاصدار قرارات اميركية ـ صهيونية تستهدف العراق تحت غطاء دولي . وبرغم ادراك هذه الحقيقة (عراقيا) ونياتها الشريرة الا ان الامل في رفع الحصار الجائر . كان وراء التزام العراق في تنفيذ تلك القرارات برغم الجور والظلم الذي انطوت عليه . وتيقنه من ان (اللجنة الخاصة) لا تتسم بالنزاهة والحياد المطلوبين في كل هيئة دولية ، خاصة بعد ان افتضح امر جواسيسها ، ولا سيما اولئك الذين تم ادخالهم في عضوية فرقها لخدمة اغراض تجسسية واستخبارية لصالح الكيان الصهيوني واميركا بعيدا عن (المهمة المهنية) التي كلفت فرق التفتيش بها بموجب قرارات مجلس الامن .

وامام موقف كهذا ، واصرار اميركا على استمرار الحصار بعد ان اوفى العراق بجميع التزاماته القانونية كما نصت عليها الفقرات (٨ ـ ١٣) من القرار (٦٨٧) . واصبح من حقه المشروع المطالبة بتنفيذ الفقرة (ج) من القرار المذكور ، نرى ان اميركا تعمد مجددا . الى محاولة طرح مشروع « العقوبات الغبية » بصيغ الالتفاف والمراوغة البائسة التي تؤول في نهاية الأمر الى رهن اقتصاد العراق ، وفرض الوصاية عليه ، وابتزاز دول الجوار ، والدول الصديقة التي رأت في استمرار الحصار (مصلحة اميركية ـ صهيونية) بعيداً عن الشرعية الدولية الزائفة التي تتبرقع اميركا في كنفها .

إن العراق الذي أعلن مواصلة العمل بمذكرة التفاهم ، قد أكد منذ البدء أن هذه (المذكرة) ليست البديل عن الحق الثابت والمشروع في رفع الحصار الجائر بحكم الالتزامات المتقابلة . بعد أن وفى العراق بكل ما يخصه ، وبقي على مجلس الامن أن يفي هو الاخر ، بالتزاماته والسعي لتطبيق الفقرة (١٤) من القرار (٦٨٧) بجعل المنطقة خالية من اسلحة الدمار الشامل ، وفي المقدمة (الكيان الصهيوني) الذي مازال محتفظاً بترسانته ، النووية ، الكيمياوية ، البيالوجية .

إن العراق إذ يؤكد عدم التزامه باية تدابير ومفاهيم أو توجهات آنية او مستقبلية لم تنص عليها مذكرة التفاهم بعد أن أشار القرار (١٣٨٢) في فقرته الثانية الى ما يسهم في تكبيل تجارة العراق الخارجية ، ومصادرة حقه المشروع في التنمية والتقدم ، فإنه ينطلق من حقيقة إدراكه : أن القرار المذكور يمثل توجهاً مريباً في الربط التعسفي بين تنفيذ المرحلة الحادية عشرة من مذكرة التفاهم وتسريب مشروع العقوبات (الغبية) في المرحلة اللاحقة لاحكام الطوق في فرض الحصار واستمراره ضماناً للمصلحة الاميركية ـ الصهيونية التي يمثلها هذا الحصار الجائر .

الجهاد في القرآن الكريم

د. محمد عبد المطلب البكاء

بسم الله الرحمن الرحيم

فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى

النساء «٩٥»

الجَهْدُ والجُهْدُ : الطاقة ، وقيل الجَهْد : المشقة ، والجُهد : الطاقة . وقولنا جاهَدَ العدو مُجاهدَة وجهاداً : قاتله وجاهد في سبيل الله . وفي الحديث : لا هجرةً بعد الفتح ولكن جِهاد ونيّة ، فالجهاد محاربة الاعداء ، وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول او فعل ، والمراد بالنية إخلاص العمل لله ، أي أنه لم يبق بعد فتح مكة هجرة لانها صارت دار إسلام ، وإنما هو الإخلاص في الجهاد ، وقتال الكفار . والجهاد : المبالغة ، واستفراغ الوسع في الحرب او اللسان او ما أطاق من شيء .(١)

وقد جاءت لفظة (الجهاد) في القرآن الكريم بصيغ متعددة سنعرض لها بشيء من التفصيل مراعين في ذلك مستويات الخطاب القرآني ، وصيغ الاشتقاق ، ودلالتها .

• ـ جَاهِدْ

جاءت لفظة (جاهد) في القرآن الكريم مرتين (التوبة ٧٣) (التحريم ٨) وفي كلتا الايتين ، كان الخطاب الالهي موجهاً للرسول الكريم (ﷺ) قال الله تعالى : ﴿ يا أيُّها النَّبي جاهِد الكُفار والمنافقين واغْلُظ عليهم ومأواهم جَهَنَّمُ وبئس المصير ﴾ .[٢]

امر الله سبحانه نبيه الكريم (ﷺ) بجهاد الكفار والمنافقين ، قال الزجاج : والمعنىٰ جاهدهم بالقتل والحجة ، فالحجة علىٰ المنافقين جهادٌ لهم[٣] . فجهاد (الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالزام الحجة ، وإقامة الحدود (واغلظ عليهم) في ذلك ، ولا تحابهم (ومأواهم جهنم وبئس المصير) مصيرهم[٤] . و (الغِلَظُ) : ضد الرِّقة في الخلق والطبع ، والفعل والمنطق والعيش ، ونحو ذلك[٥] وفي قوله تعالى : ﴿ واغْلُظ عليهم ﴾ قال السيوطي : بالانتهار والمقت[٦] . اما (الغِلْظَة) في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يَلُونكم من الكفار وليجدوا فيكم غِلْظَةً ﴾ (التوبة ١٢٣) فقال الزجاج فيها ثلاث لغات : غِلْظَة وغُلْظة وغَلْظَةٌ .[٧] وهي : الشّدة ، أي أغلظوا عليهم[٨] .

• جاهدوا

كما امر سبحانه عباده المؤمنين بالجهاد ، بقوله تعالى : (جَاهِدُوا) وقد جاءت هذه اللفظة اربع مرات (المائدة ٣٥) (التوبة ٤١ ، ٨٦) (الحج ٧٨) . ففي قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتَّقُوا الله وابتغوا اليه الوسيلةَ وَجَاهِدُوا في سبيل الله لعلَّكم تُفْلِحون ﴾ (المائدة ٣٥) . فقوله تعالى : ﴿ اتقوا الله ﴾ اي خافوا عقابه بأن تطيعوه[٩] . وقوله : ﴿ وابتغوا اليه الوسيلة ﴾ معناه أطلبوا اليه القُربة .[١٠] ﴿ وجاهدوا في سبيله ﴾ ، لإعلاء دينه[١١] . ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ اي لعلكم تظفرون بعدوكم ، والمفلح الفائز بما فيه غايةُ صلاح حاله .[١٢]

اما قوله تعالى : ﴿ انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا باموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون ﴾ (التوبة ٤١) . فقيل : خفافاً وثقالاً ، اي : موسرين ومعسرين ، وقيل : خفافاً وثقالاً : خفت عليكم الحركة او ثقلت ، وقيل ركباناً ومُشاة ، وقيل ايضاً : شباباً وشيوخاً[١٣] .

والنَّفْرَةُ والنَّفْر والنَّفِيرُ : القوم ينفرون معك ويتنافرون في القتال ، وكله اسم للجمع ، قال :

إنَّ لهـــا فـــوارســـاً وفَـــرطـــا
ونَفْـــرَةَ الحَيّ ومَـــرْعَى وَسَطـــا
يَحْمُـــونَهـــا من أنْ تُســـامَ الشَّطَطـــا

والنَّفير : القوم الذين يتقدمون فيه . والنَّفير الجماعة من الناس كالنَّفْر . والاستنفار : الاستنجاد والاستنصار ، اي إذ طلب منكم النُّصرَةَ فاجيبوا وانفروا خارجين عن الاعانة[١٤] .

يروى أن ابن أُمِّ مكتوم جاء الى النبي (ﷺ) فقال : أعَليَّ أن أنفر ، فقال : نعم ، حتى أنزل الله عز وجل : ﴿ ليس علىٰ الاعمىٰ حَرَجٌ ﴾[١٥]

فدلالة الاية الكريمة : أن النَّفير مطلقٌ غير مقيد أول الامر ، لذا قال السيوطي معناه : (إنفروا خفافاً وثقالاً) نشاطاً وغير نشاط ، وقيل : أقوياء وضعفاء أو أغنياء وفقراء ، وهي منسوخة ، بقوله تعالى : ﴿ ليس علىٰ الضُّعفاء ولا علىٰ المرضىٰ ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حَرَج إذا نَصَحوا لله ورسولهِ ما علىٰ المحسنين من سبيل والله غفورٌ رحيم ﴾[١٦] وقوله تعالى : ﴿ وجاهدوا باموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون ﴾ أنه خيرٌ لكم فلا تثاقلوا .[١٧]

فـ (الواو) عطف أفاد مطلق الجمع ، ذلك أنَّ الجهاد يكون بالمال والنفس كما أمر الله سبحانه وتعالى . ثم رفع سبحانه : (الحِرَج والحَرَج)[١٨] الإثم ، عن (الضعفاء) ، كالشيوخ ، والمرضى ، والذين لا يجدون ما ينفقون ، قال السيوطي : « ليس على الضعفاء ولا على المرضى » كالعمي والزمنى « ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون » في الجهاد (حرج) إثم في التخلف عنه « إذا نصحوا لله ورسوله » في حال قعودهم بعدم الإرجاف ، والتثبيط ، والطاعة « ما على المحسنين » بذلك « من سبيل » طريق بالمؤاخذة « والله غفور » لهم « رحيم » بهم في التوسعة

في ذلك [illegible] . ونقل عن السيوطي [illegible] الكلين) في قوله تعالى : ﴿ ليس على الضعفاء ... ﴾ رفع الجهاد عن الضعيف والمريض ومن لا يجد نفقة ولا اهبة للجهاد ، ولا محملاً .[٢٠]

أما « المُعَذِّرُونَ »[٢١] بتشديد الذال ، وتُقرأُ (المُعْذِرُون) .

فمن قرأ : (المُعْذِرون) فتاويله الذين أعْذَروا ، اي جاءوا بعُذْر ، ومن قرأ : (المُعَذِّرون) بتشديد الذال فتاويله (المعتذرون) الا ان التاء أدغمت في الذال لقرب مخرجهما .

ومعنىٰ المعتذرين الذين يعتذرون ، كان لهم عذرٌ او لم يكن لهم . وهو ههنا اشبه بأن يكون لهم عذرٌ ، وانشدوا :

الى الحــــولِ ثمّ اسمُ الســـــلام عليكُمــــا
وَمَنْ يَبْـــكِ حَـولًا كــامــلًا فَقَــد اعتَـذَر(٢٢)

المعنى : فقد جاء بعذر ، ويجوز المُعِذِّرون ـ بكسرِ العين ـ لان الاصل المعتذرون ، فاسكنت التاء وأدغمت في الذال ونقلت حركتها الى العين ، فصار الفتح اولى الاشياء ، ومن كسر العين حرك لالتقاء الساكنين، ويجوز المُعُذِّرون ، باتباع الضمة التي قبلها ، وهذان الوجهان ـ كسر العين وضمها ـ لم يقرأ بهما(٢٣) ، وإنما يجوز في النحو ، وهما جهتان يثقل اللفظ بهما ، فالقراءة بهما مطروحة ، ويجوز ان يكون المُعذِرُون : الذين يَعذِرون ، يوهمون أنَّ لهم عذار ولا عُذْر لهم .(٢٤)

وقال السيوطي : (وجاء المعذّرون) بادغام التاء في الأصل في الدال اي (المعتذرون) بمعنى (المعذورين) وقرىء به ، الى النبي (ﷺ) « لِيُؤْذَنَ لهم » في القعود لعذرهم فأذن لهم(٢٥) . وذلك (إذا نَصَحوا) . قال العكبري : العامل فيه معنى الكلام : أي لا يخرجون حينئذٍ .

اما قوله تعالى : ﴿ ولا على الذين ﴾ هو معطوف على الضعفاء فيدخل في خبر ليس، وإن شئت عطفته على المحسنين ، فيكون المبتدأ ﴿ من سبيل ﴾ ، ويجوز أن يكون المبتدأ محذوفاً : اي ولا على الذين الى تمام الصلة حرج او سبيل(٢٦) .

واستَنْفَرَ الإمام الناس لجهاد العدو فنفروا ينفرون إذا حَثَّهم على النفير ودعاهم اليه ، ومنه قول النبي (ﷺ) : « وإذا استُنفِرتم فانفروا » فـ(النفير) في قوله (ﷺ) هو : إجابة النُّصرة عند الطلب ، والخروج الى الإعانة(٢٧) . اما من كان ذا عذرٍ فقد رفع الحرجَ عنه . ومنه قولهم « فلان لا في العير ولا في النفير » قال الميداني : قال الاصمعي : يضربُ هذا للرجل يَحُطُّ أمْرُهُ ويَصْغُرُ قدره(٢٨) . فالعِيرُ ما كان منهم مع ابي سفيان ، والنفير ما كان منهم مع عُتبة بن ربيعة قائد المشركين يومَ بدرٍ . لأن [illegible] قيل لقريش من بين العرب ، وذلك أن النبي (ﷺ) لما هاجر الى المدينة ، ونهض منها لِتَلَقّي عِير قريش سمع مشركو قريش بذلك ، فنهضوا ولَقُوه ببدر ليأمن عِيرهم المقبل من الشام مع ابي سفيان ، فكان من أمرهم ما كان ، ولم يكن تَخَلَّف عن العِيْرِ والقتال إلا زَمِنٌ أو من لا خير فيه(٢٩) .

اما قوله تعالى : ﴿ وما كان المؤمنون لِيَنْفِرُوا كافةً فلولا نَفَرَ مِنْ كل فرقةٍ منهم طائفةٌ لِيَتَفَقَّهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ﴾(٣٠) فـ(لولا) للتخصيص ، وهي داخلة على الفعل الماضي فتفيد التوبيخ والتنديم(٣١) على ترك الفعل فيما مضى والامر به في المستقبل . والفرقة والطائفة بمعنى ، لكن سياق الكلام هنا و (من) التبعيضية يقتضيان ان المراد بـ (الفرقة) هنا الجماعة الكثيرة ، وأن (الطائفة) جماعة اقل من الفرقة المرادة هنا . وعن السلف في سبب نزول الاية روايتان : رواية ابن عباس تجعل (النَّفر) المنهي عنه هو نفر المؤمنين جميعاً للجهاد ، نهوا عن ذلك لما يترتب عليه من الاخلال بالتعلم ، فكما ان الجهاد فرضٌ في الدين ، كذلك تلقي العلم عن الرسول ، وأخذ الاحكام المتجددة عنه فرض من فروض الدين فلا ينبغي أن يكون في اقامة احد الفرضين اخلال بالاخر ، ومن الميسور ان نجمع بين الفرضين ، ونؤدي كلا من الواجبين ، وطريق ذلك ان تنفر للجهاد طائفة من كل فرقة ، وتبقى طائفة اخرى تتفقه في الدين ، وتسمع من الرسول (ﷺ) حتى اذا رجع اليهم اخوانهم من الغزو ، علّموهم ما تلقوه من احكام الدين ، وعلى هذا المعنى لا يكون قوله تعالى : ﴿ ليتفقهوا ﴾ متعلقاً بـ(نفر) لأن النفر في الجهاد ليس علة في التفقه . وإنما هو متعلق بفعل مفهوم من الكلام ، اذ المعنى لتنفر من كل فرقة طائفة ، وتبقى طائفة ليتفقهوا في الدين ، فضمير يتفقهوا او ينذروا الى الطائفة الباقية .

ورواية مجاهد تجعل النفر المنهي عنه هو خروجهم جميعاً لطلب العلم ، والتفقه في الدين نهوا عن ذلك لما فيه من الاخلال بتعاطي اسباب الكسب والابتغاء من فضل الله وخيره بالتجارة والزراعة ووسائل الكسب فكما ان طلب العلم ومعرفة الحلال والحرام من فرائض الدين ، كذلك ابتغاء فضل الله بهذه الوسائل من فرائض الدين فلا ينبغي ان تكون احدى العبادتين سبباً في الإخلال بالاخرى ، والجمع بينهما ميسور بان تنفر من كل فرقة طائفة لتتفقه في الدين وتعلّم قومها اذا رجعت اليهم ، وهذا المعنى هو مقتضى ظاهر الاية ، واتساقها فان النفر على هذا المعنى يكون علة للتفقه في الدين ، والطائفة النافرة هي التي تتفقه في الدين ، وهي التي تنذر قومها اذا رجعت اليهم . لكن يعكر على هذا المعنى ان الاية تكون منقطعة عما قبلها ، فإن ما قبلها وارد في شان الجهاد والغزو في سبيل الله ونصرة دينه ، الا ان يقال انه سبحانه وتعالى لما بيّن وجوب الهجرة والجهاد وكل منهما سفر للعبادة ناسب ذلك ان يذكر السفر الاخر ، وهو الهجرة لطلب العلم ، والتفقه في الدين ، والاية على كلا الرأيين تدل على ان التفقه في الدين من فروض الكفاية(٣٢) .

وقال الزجاج : المعنى انهم اذا بقيت منهم بحضرة النبي (ﷺ) بقية فسمعوا منه وَحياً أعلموا الذين نفروا ما علموا فاستوْوا في العلم ، ولم يخلوا منه . وجائز - والله اعلم - ان يكون هذا دليلًا على ان فرض الجهاد يجزي الجماعة فيه عن الجماعة .[٣٣]

ونقل النحاس عن الاخفش قائلًا : حكى الاخفش (إنفرُوا) (خِفافاً وثِقالًا) نصبٌ على الحال ، وفيه قولان : احدهما انه منسوخ بقوله : « فلولا نَفَرَ من كل فرقة منهم طائفةٌ »[٣٤] والاخر انه غير منسوخ لان الجهاد فرضٌ الا ان بعض المسلمين يَحملُهُ عن بعض فاذا وقع الاضطرار وجب الجهاد على كل احد .[٣٥]

اما جزاء من يتاخر عن النّفير ، فقد وضحه الله سبحانه وتعالى ، بقوله : ﴿ فَرِحَ المخلَّفون بمقعدهم خِلافَ رسول الله ، وقالوا لا تنفِروا في الحرِّ قلْ نارُ جهنَّمَ أشدُّ حَرّاً لو كانوا يفقهون ﴾ . (التوبة ٨١)

المعنى : بأن قعدوابالمخالفة رسول الله - ويقرأ خَلْفَ رسول الله - ويكون ههنا انهم تاخروا عن الجهاد في سبيل الله[٣٦] . وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وأنفسهم ، وقال بعضهم لبعض لا تخرجوا الى الجهاد « في الحرِّ قل نارُ جهنَّمَ أشدُّ حرّاً » من تبوك ، فالاولى ان يتقوها بترك التخلف[٣٧] . وهذا وعيدٌ في ترك الجهاد .[٣٨] ايثاراً للدعة ، والخفض على طاعة الله ، وفيه تعريض بالمؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل رضاه ببذل الاموال والمهج (وقالوا لا تنفروا في الحرّ) اي : قاله بعضهم لبعض او قالوه للمؤمنين تثبيطاً (قل نار جهنم أشدُّ حرّاً) وقد آثرتموها بهذه المخالفة[٣٩] .

أما المؤمنين* بالله واليوم الاخر (التوبة ٤٤) فقال الزجاج : لا يستاذنك هؤلاء في ان يجاهدوا ، فموضع « أنْ » نصبٌ ، حذفت (في) فافضى الفعلُ فَنَصبَ « أنْ » قال سيبويه : ويجوز ان يكون موضعها جرّاً ، لان حذفها ههنا انما جاز مع ظهور « أن » فلو أظهرت المصدر لم تحذف (في) (لا يستأذنك القومُ الجهادَ) حتى تقول في الجهاد ، ويجوز : لا يستأذنك القوم ان يجاهدوا .[٤٠]

ونقل ابو جعفر قول الزجاج ، قال : قال ابو اسحاق : التقدير في أن يجاهدوا ، وقال غيره : هذا غلط وانما المعنى ضدّ هذا ، ولكن التقدير (إنما يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخِرِ) في التخلف لئلا يجاهدوا ، وحقيقته في العربية كراهة ان لا يجاهدوا كما قال عز وجل : ﴿ يُبيِّن الله لكم ان تَضِلّوا ﴾[٤١] .

وذهب البيضاوي الى ان : ليس من دعاة المؤمنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا فإن الخلص منهم يبادرون اليه ، ولا يتوقفون على الإذن فيه فضلًا ان يستاذنوك في التخلف عنه او ان يستاذنوك في التخلف كراهة ان يجاهدوا[٤٢] .

لذا قال الله سبحانه : « ولو أرادوا الخروج لاعَدّوا له عُدّةً » (التوبة ٤٦) فتركهم العُدّة دليل على إرادتهم التخلف[٤٣] . وهم (الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر) فتخصيص الايمان بالله عز وجل واليوم الاخر في الموضعين للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدم الايمان بهما ﴿ وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يَتَرَدّدون ﴾ اي يتحيرون (ولو ارادوا الخروج لاعدّوا له) للخروج (عدّة) اهبة ، وقرىء (عده) بحذف التاء عند الاضافة ، لقوله :

إنَّ الخليط أجَـدّوا البين فـانجـردوا
وأخلفوك عِـدا الامـر الـذي وعـدوا

وعِدة (.بكسر العين) باضافة وغيرها « ولكن كَرِه الله انبعاثهم » استدراك عن مفهوم قوله : ولو ارادوا الخروج . كانه قال : ما خرجوا ولكن تُبّطوا لانه تعالى كره انبعاثهم ، اي نهوضهم للخروج (فَثَبَّطَهُمْ) فحبسهم بالجبن والكسل .[٤٤] قال الزجاج : التّثبيط ردُّك الإنسان عن الشيء يفعله ، اي كره الله ان يخرجوا معكم فردهم عن الخروج . ثم اعلم - عز وجل - لم كره ذلك ، فقال : ﴿ لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالًا » (التوبة ٤٧) والخبال : الفساد ، وذهاب الشيء[٤٥] . قال الشاعر :

أبَني لُبَيْنَى لستمـا بيـد
إلا يَـداً مَخبـولـة العضُـدِ[٤٦]

اي فاسدة العضد[٤٧] .

لقد رتب الله سبحانه وتعالى على المتخلفين عن الجهاد من غير عذر (الاية ٩١ من سورة التوبة) أحكاماً أبلغ بها رسوله الكريم ، منها :

* منع خروجهم في الجهاد ثانية ، قال تعالى : ﴿ فإن رَجَعَكَ الله الى طائِفة منهم فاستاذنوك للخروج ، فَقُلْ لن تخرجوا معي ابداً ، ولن تقاتلوا معي عَدُوّاً إنكم رضيتم بالقُعود أوّل مَرّةٍ فاقْعُدُوا مع الخالفين ﴾ (التوبة ٨٣)

يخاطب الله نبيه الكريم ، بالقول : فإن ردك الله من تبوك الى من تخلف بالمدينة من المنافقين فاستاذنوك للخروج معك الى غزوة اخرى . فقل لهم لن تخرجوا معي ابداً ولن تقاتلوا معي عدواً إنكم رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا مع المتخلفين عن الغزو من النساء والصبيان وغيرهم[٤٨] . وهذا كما قال البيضاوي : إخبار في معنى النهي للمبالغة[٤٩] .

* عدم الصلاة عليهم ، قال تعالى : ﴿ ولا تُصَلِّ على أحد منهم مات ابداً ولا تقم على قبره ﴾ (التوبة ٨٤) .

يروى انها نزلت في عبد الله بن أبي ، وكان رأس المنافقين فلما حضرته الوفاة بعث الى رسول الله (ﷺ) يساله احد ثوبيه ليكفّن به ، فبعث اليه رسول الله باحدهما . فارسل المنافق الى رسول الله اريد الذي كان يلي جلدك من ثيابك ، فوجه اليه رسول الله (ﷺ) بذلك . فقيل له فيه : لم وجهت اليه بقميصك يكفن به وهو كافر ، فقال : ان قميصي لن يغني عنه شيئاً من الله ، وإني أؤمل من الله ان يدخل في الاسلام خلق كثير بهذا السبب ، فيروى انه اسلم من الخزرج الفٌ لما رأوه يطلب الاستشفاء بثوب رسول الله ، واراد الصلاة عليه .

فنزل الوحي عليه (ﷺ) : ﴿ ولا تُصَل على أحد منهم ﴾ ويروى انه (ﷺ) صلى عليه . وانما مجاز الصلاة عليه انه كان ظاهره ظاهر الاسلام ، فاعلمه الله ـ عز وجل ـ انه اذا علم منه النفاق فلا صلاة عليه ، ولا تقم على قبره .[٥٠]

وقال البيضاوي : ذهب (ﷺ) ليصلي عليه فنزلت ، وقيل : صلى ﷺ ثم نزلت ، وانما لم ينه عن التكفين في قميصه ، ونهى عن الصلاة عليه لان الضّنة بالقميص كانت مخلة بالكرم ، ولانه كان مكافاة لإلباسه العباس قميصه حين اسر ببدر ، والمراد من الصلاة الدعاء للميت والاستغفار اه ، وهو ممنوع في حق الكافر ، ولذلك رتب النهي على قوله ـ مات ابداً ـ يعني الموت على الكفر ، فإن احياء الكافر للتعذيب دون التمتع فكانه لم يحيى .[٥١]

وتمام الاية ﴿ ولا تقم على قبره ﴾ ولا تقف عند قبره للدفن او للزيارة ﴿ انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴾ تعليل للنهي او لتابيد الموت[٥٢]

ومثلهم « أولو الطول » في الاستئذان ، رضوا ان يكونوا مع الخوالف ، بقولهم : ﴿ ذرنا نكن مع القاعدين ﴾ (التوبة ٨٦)

وأولو الطول ، قيل ، هم : أولو الغنى ، وقيل : أولو الفضل في المعنى والرأي والجاه ، والطُول الفضل في القدرة على هذه الاشياء ، وقوله تعالى : ﴿ رضوا بان يكونوا مع الخوالف ﴾ اي النساء ، ويجوز ان يكون جمع خالفة في الرجالة ، والخالف الذي هو غير مُنْجِب ،. ولم يات في (فاعل) (فواعل) الا في حرفين (فارس) (فوارس) و (هالك) (هوالك)[٥٣]

﴿ وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ﴾ (التوبة ٨٧) ، ما في الجهاد وموافقة الرسول من السعادة ، وما في التخلف من الشقاوة ، (لكن الرسول والذين امنوا معه جاهدوا باموالهم وأنفسهم ﴾ (التوبة ٨٨) اي ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم ﴿ واولئك لهم الخيرات ﴾ منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا ، والجنة والكرامة في الاخرة ﴿ واولئك هم المفلحون ﴾ الفائزون بالمطالب[٥٤]

فقوله تعالى : ﴿ لكن الرسول ﴾ ابتداء ﴿ والذين آمنوا معه ﴾ عطف عليه ﴿ جاهدوا باموالهم وأنفسهم ﴾ في موضع الخبر[٥٥] .

* فضل الجهاد

قال الله تعالى ﴿ ومن جاهَدَ فإنّما يجاهد لنفسه إنَّ الله لغنيٌ عن العالمين ﴾ (العنكبوت ٦) فقوله تعالى : ﴿ ومن جاهد ﴾ جهاد حرب او نفس ﴿ فإنما يجاهد لنفسه ﴾ فإن منفعة جهاده له لا لله ﴿ إنّ الله لغني عن العالمين ﴾ الإنس والجن والملائكة ، وعن عبادتهم[٥٦]

وقال البيضاوي : « ومن جاهد » نفسه بالصبر على مضض الطاعة والكف عن الشهوات « فإنما يجاهد لنفسه » ، لان منفعته لها « ان الله لغني عن العالمين » فلا حاجة به الى طاعتهم ، وإنما كلف عباده رحمة عليهم ، ومراعاة لصلاحهم[٥٧] . والقول الاول اعم ، وهو قول السيوطي ، لان الجهاد قد يكون جهاد حرب او جهاد نفس . قال رجل لرسول الله (ﷺ) : اي الناس افضل يا رسول الله ؟ قال : مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله . قال : ثم مَنْ ؟ قال : ثم رجل معتزلٌ في شعبٍ من الشعابِ يعبد ربه »[٥٨]

وقوله تعالى : ﴿ أجعلتم سقايةَ الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله لا يَسْتَوُنَ عند الله ﴾ (التوبة ١٩) التقدير : اجعلتم اصحاب سقاية الحاج ، وقيل : التقدير كايمان من آمن بالله ، وجُعِلَ الاسم موضع المصدر إذ عُلِم معناه[٥٩] .

واختلف الناس في تفسير هذه الاية ، فقيل : إنه سال المشركون اليهود ، فقالوا نحن سقاة الحاج ، وعُمّار المسجد الحرام . أفنحن أفضل ام محمد واصحابه ؟ فقالت لهم اليهود عناداً للنبي (ﷺ) : انتم افضل .

وقيل : انه تفاخر المسلمون المجاهدون والذين لم يهاجروا ولم يجاهدوا ، فاعلم الله ـ جل وعز ـ ان المجاهدين والمهاجرين اعظمُ درجةً عند الله ، فقال : ﴿ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وأنفسهم اعظم درجةً عند الله واولئك هم الفائزون ﴾[٦٠] (التوبة ٢٠)

فعلى القول الاول : يكون المعنى انكار ان يشبه المشركون واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم المثبتة ، ثم قرر ذلك بقوله : ﴿ لا يَسْتَوُن عند الله ﴾ وبيّن عدم تساويهم بقوله ﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ اي الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول عليه الصلاة والسلام منهمكون في الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب ؟

وقيل : المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين ﴿ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله ﴾ اعلى رتبة ، واكثر كرامة ممن لم تستجمع فيه هذه الصفات او من اهل السقاية والعمارة .(٦١)

ويمثل هذا التصور وهذه الروح وجه عبد الله بن المبارك (توفي سنة ١٨١ هـ) رسالته من ثغور الروم سنة ١٧٧ هـ الى صاحبه الفضل بن عياض المجاور بمكة المتعبد فيها ، مخاطباً له بصورة مباشرة مبيناً له العبادة الحقة ، وموازناً بين العبادتين : الجهاد في الثغور ، والصلاة في ظلال الكعبة ، ويبين الفرق الكبير بينهما ، قائلاً :

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا
لوجدت انك في العبادة تلعب
من كان يخضب جيده بدموعه
فنحورنا بدمائنا تتخضب
او كان يتعب خيله في باطلٍ
فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا
وهج السنابك والغبار الاطيب
ولقد اتانا من مقال نبينا
قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوي غبار خيل الله في
أنف إمرىء ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا
ليس الشهيد بميت لا يكذب(٦٢)

لقد ختم ابن المبارك قصيدته مضمناً اياها الحديث النبوي الشريف « لا يجتمع غبارٌ في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبدٍ ابداً(٦٣) » وقول الله سبحانه : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون ﴾ (ال عمران ١٩٦) وقوله تعالى : ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله امواتٌ بل احياءٌ ، ولكن لا تشعرون ﴾ (البقرة ١٥٤)

كما وصف الله سبحانه المجاهدين ، بقوله : ﴿ والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله ، والذين اوَوْا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ (الانفال ٧٤) فوصفهم بالمؤمنين حقاً ، وذلك لما قسم المؤمنين ثلاثة اقسام بين ان الكاملين في الايمان منهم هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد ، وبذل المال ونصرة الحق ووعد لهم الموعد الكريم ، فقال (لهم مغفرة ورزق كريم) لاتبعة له ، ولا منة فيه ، ثم الحق بهم في الامرين من سيلحق بهم ويتسم بسيمتهم فقال : ﴿ والذين آمنوا من بَعْدُ وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم ﴾ (الانفال ٧٥) اي : من جملتكم ايها المهاجرون والانصار .(٦٤)

وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب لقوله تعالى : ﴿ اولئك بعضهم اولياء بعض ﴾ . (الانفال ٧٢) حتى نسخ بقوله تعالى : « واوُلوا الأرحام بعضهم اولى ببعض ﴾ (الانفال ٧٥) اي : بعضهم في المواريث اولى ببعض . قال الزجاج : وهذه المواريث في الولاية بالهجرة منسوخة ، نسخها ما في سورة النساء من الفرائض(٦٥) . وقال السيوطي : « واولوا الارحام » ذوو القرابات « بعضهم اولى ببعض » في الإرث من التوارث في الايمان والهجرة المذكورة في الاية السابقة .(٦٦)

فـ (اوْلوا الارحام) اصحاب القرابة ، وهو جمع رحم كـ (كتف ، وقفل) ، واصله رحم المرأة ويسمى به في الاقارب لانهم في الغالب من رحم واحد ، وفي اصطلاح علماء الفرائض هم الذين لا يرثون بفرض ولا تعصيب .

والمعنى المتبادر من نص الاية انها في ولاية الرحم والقرابة ، بعد بيان ولاية الايمان والهجرة ، فهو عز وجل يقول : ﴿ وأولوا الارحام بعضهم اولى ببعض ﴾ اجدر واحق من المهاجرين والانصار الاجانب بالتناصر والتعاون ، وكذا التوارث في دار الهجرة في عهد وجوب الهجرة ، ثم في كل عهد ، هم اولى بذلك (في كتاب الله) اي في حكمه الذي كتبه على عباده المؤمنين ، واوجب به عليهم صلة الارحام ، والوصية بالوالدين ، وذي القرابة في هذه الاية وغيرها .

وجملة القول : ان اولوية اولي الارحام بعضهم ببعض هو تفضيل لولايتهم على ما هو اهم منها من ولاية الايمان ، وولاية الهجرة في عهدها . فالقريب اولى بقريبه ذي رحمه المؤمن المهاجر والانصاري من المؤمن المهاجر . واما قريبه الكافر فإن كان محارباً للمؤمنين ، فالكفر مع القتال يقطعان له حقوق الرحم .

ثم ختم هذه السورة بقوله « ان الله بكل شيء عليم » فهو تذييل لجميع احكام السورة وحكمها مبين انها محكمة لا وجه لنسخها ولا نقضها .

فالمعنى انه شرع لكم هذه الاحكام في الولاية العامة والخاصة والعهود وصلة الارحام عن علم واسع محيط بكل شيء من مصالحكم الدينية والدنيوية .(٦٧)

فإذا كان (الجهاد) بذل الجهد بقدر الوسع والطاقة ومصارعة المشاق ، فإنه اما ان يكون بالاموال ، وهو قسمان : مباشر ، وهو انفاقها في التعاون ، والهجرة ، ثم الدفاع عن دين الله كصرفها للكراع والسلاح ، وعلى المحاويج من المسلمين . وغير

مباشر ، وهو سخاء النفس بترك ما تركوه في وطنهم عند خروجهم منه .

واما ما كان منه بالنفس ، فهو قسمان ايضاً :

قتال الاعداء ، وعدم المبالاة بكثرة عددهم وعدتهم ، وما كان كان قبل ايجاب القتال من مغالبة الشدائد والصبر على الاضطهاد ، والهجرة من البلاد[68] وهو في حاليه كليهما له فضل كبير عند الله ، قال تعالى في وصف المجاهدين : ﴿ انهم المؤمنون حقاً ﴾ (الانفال ٧٤) واولئك هم المهاجرون الاولون اصحاب الهجرة الاولى قبل غزوة بدر . وربما تمتد او يمتد حكمها الى صلح الحديبية سنة ستٍ وهم ﴿ اعظم درجة عند الله ، واولئك هم الفائزون ﴾ (التوبة ٢٠) .

الثاني : « والذين آووا ونصروا » وهم الانصار ، ووصفهم بأنهم الذين آووا الرسول (ﷺ) ومن هاجر من اصحابه ، ونصروهم ولولا ذلك لم تحصل فائدة الهجرة ، اذ كانوا انصاراً لرسول الله (ﷺ) يقاتلون من قاتله ، ويعادون من عاداه ، ولذلك جعل الله حكمهم كحكم المهاجرين واحداً في قوله : ﴿ اولئك بعضهم اولياء بعض ﴾ . (الانفال ٧٢)

اما عموم الجهاد ، فقد قال الله تعالى : ﴿ والذين جاهدوا فينا لَنَهدِيَنَّهم سبلنا وإن الله لمعَ المحسنين ﴾ (العنكبوت ٦٩) اي : في حقنا ، فإطلاق المجاهدة ليعم جهاد الاعادي الظاهرة والباطنة بانواعه (لنهدينهم سبلنا) سبل السير الينا ، والوصول الى جنابنا ، او لنزيدنهم هداية الى سبيل الخير ، وتوفيقاً لسلوكها ، كقوله تعالى : ﴿ والذين اهْتَدَوا زادهم هُدىً ﴾ (محمد ١٧)[69]

وقوله تعالى : ﴿ اولئك هم الصادقون ﴾ (الحجرات ١٥) وقد جاءت في وصف (المؤمنين) الذين لم يشكوا من ارتاب مطاوع رأيه اذا اوقعه في الشك مع التهمة ، وفيه اشارة الى ما أوجب نفي الايمان عنهم ، و « ثم » للاشعار بأن اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الايمان ليس حال الايمان فقط بل فيه وفيما يستقبل ، وجاهدوا في طاعة الله ، والمجاهدة بالاموال والانفس تصلح للعبادات المالية والبدنية باسرها ﴿ اولئك هم الصادقون ﴾ الذين صدقوا في ادعاء الايمان.[70] وقال السيوطي : (الصادقون) في ايمانهم ، لا من قالوا آمنا ولم يوجد منهم غير الاسلام[71] .

ولذلك خاطب سبحانه المؤمنين بقوله : ﴿ يا ايها الذين آمنوا من يَرتَدَّ منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقومٍ يُحبُّهم ويحبُّونه أذلةٍ على المؤمنين اعزةٍ على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومةَ لائم ﴾ (المائدة ٥٤) « فسوف ياتي الله بقوم يحبُّهم ويحبُّونه » في موضع النعت « اذلةٍ على المؤمنين » نعت ، اي يرؤُفون بهم ويرحمونهم[72] ، والمعنى : اي ياتي الله بقوم مؤمنين غير منافقين « اذلة على المؤمنين » اي جانبهم ليّنٌ على المؤمنين ، ليس انهم اذلاء مهانون « اعزة على الكافرين » اي جانبهم غليظ على الكافرين

وقوله : ﴿ يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ﴾ لان المنافقين كانوا يراقبون الكفار ويظاهرونهم ، ويخافون لومهم ، فاعلم الله ـ عز وجل ـ ان الصحيح الايمان لا يخاف في نصرة الدين بيده ولا لسانه لومة لائم.[73] فـ (يجاهدون في سبيل الله) صفة اخرى لقومٍ او حال من الضمير في (اعزة) ، (ولا يخافون لومة لائم) عطف على (يجاهدون) بمعنى انهم الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب او حال بمعنى انهم مجاهدون ، وحالهم خلاف حال المنافقين فإنهم يخرجون في جيش المسلمين خائفين ملامة اوليائهم من اليهود فلا يعملون شيئاً يلحقهم فيه لوم من جهتهم ، واللومة المرّة من اللوم وفيها من تنكير (لائم) مبالغتان.[74]

* منزلة المجاهدين

قال الله تعالى : ﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين غَيْرُ أُولي الضَّرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ﴾ (النساء ٩٥)

قرئت « غير أولى الضرر » بالرفع و (غير) بالنصب ، فامّا الرفع فمن جهتين ، احداهما : ان يكون (غير) صفة للقاعدين ، وان كان اصلها ان تكون صفة للنكرة . المعنى : لا يستوى القاعدون الذين هم غير اولى الضرر ، اي لا يستوي القاعدون الاصحاء والمجاهدون ، وان كانوا كلهم مؤمنين ، ويجوز ان يكون (غير) رفعاً على جهة الاستثناء . المعنى : لا يستوي القاعدون والمجاهدون الا اولو الضرر ، فإنهم يساوون المجاهدين ، لان الذي أقعدهم عن الجهاد الضرر ، والضرر ان يكون ضريراً او اعمى او زَمِناً او مريضاً[75] .

فقوله : « لا يستوي القاعدون » عن الحرب « منَ المؤمنين » في موضع الحال من القاعدين ، وصاحب الحال (القاعدون) والعامل (يستوي) ، ويجوز ان يكون حالًا من الضمير في القاعدين ، فيكون العامل فيه (القاعدون) لان الالف واللام بمعنى الذي[76] . « غيرَ أُولي الضرر » . قرأ أهل الكوفة ، وأبو عمرو (غيرُ اولي الضرر) . قال الاخفش : هو نعت للقاعدين[77] لانه لم يقصد به قصد قوم باعيانهم ، وقيل هو بدل من القاعدين[78] واليه ذهب محمد بن يزيد ، قال : « هو بدل لانه نكرة

والاول معرفة »[79] وقرأ أبو حيوة « غير اولي الضرر » جعله نعتاً للمؤمنين[80] او بدلًا منه . وعن زيد بن ثابت : انها نزلت ولم يكن فيها « غير اولي الضرر » فقال ابن مكتوم ، وكيف وأنا اعمى ؟ فغشي رسول الله (ﷺ) في مجلسه الوحي ، فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سرى عنه ، فقال : اكتب « لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر »[81] ويقرأ بالنصب على الاستثناء من (القاعدين)[82] او (المؤمنين) او حالًا . (والمجاهدون) معطوف على القاعدين[83] اي : لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة ، وفائدته تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد رفعاً لرتبته وأنفة عن انحطاط منزلته[84] .

وقوله تعالى : « فضل الله المجاهدين باموالهم وأنفسهم على القاعدين درجةً ، وكلًا وعد الله الحسنى » (النساء ٩٥) وقد قال بعد هذا (درجات) (الاية ٩٦) فالجواب : ان معنى (درجة) عُلوا اي اعلاهم ورفعهم بالثناء والمديح والتقريظ ، فهذا معنى (درجةً) و (درجاتٍ) يعني في الجنة . قال ابن محيرز سبعين درجة[85] . وقال البيضاوي : (فضل الله المجاهدين باموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة) جملة موضحة لما نفي الاستواء فيه والقاعدون على التقييد السابق ، و (درجة) منصوب بنزع الخافض اي (بدرجة) او على المصدر لانه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة منه او الحال بمعنى ذوي درجة[86] وهذا ما ذهب اليه العكبري من قبل[87] .

وقوله تعالى : ﴿ وفَضَّل الله المجاهدين على القاعدين اجراً عظيماً ﴾ (النساء ٩٥) نصب (أجراً) على المصدر لان (فضل) بمعنى (اجراً) او المفعول الثاني له لتضمنه معنى الاعطاء ، كانه قيل : وأعطاهم زيادة على القاعدين اجراً عظيماً[88] وإن شئت كان مصدراً[89] وقوله (درجاتٍ) في موضع نصب بدلًا من قوله (اجراً عظيماً) وهو مفسر للآخر . المعنى : فضل الله المجاهدين درجاتٍ ومغفرةً ورحمة . وجائز ان يكون منصوباً على التوكيد لاجراً عظيماً ، لان الاجر العظيم هو رفع درجات من الله جلّ وعز ـ والمغفرة والرحمة . ويجوز الرفع في قوله : (درجات ومغفرة ورحمة) ولو قيل درجاتٌ منه ومغفرة ورحمة ، كان جائزاً على إضمار تلك درجات منه ومغفرة[90] وقال السيوطي : « درجات منه » منازل بعضها فوق بعض من الكرامة « ومغفرة ورحمة » منصوبان بفعلهما المقدر[91] وقيل (درجات) التقدير : ذوي درجاتٍ ، وقيل في درجات و (مغفرةً) قيل هو معطوف على ماقبله ، وقيل : هو مصدر : اي ، وغفر لهم مغفرة ، و (رحمةً) مثله[92] ويجوز : ان ينتصب (درجاتٍ) على المصدر ، كقولك : ضربته سوطاً ، و (اجراً) على الحال منها تقدمت عليها لانها نكرة « ومغفرة ورحمة » على المصدر باضمار فعليهما ، كرر تفضيل (المجاهدين) وبالغ فيه اجمالًا وتفصيلًا ، تعظيماً للجهاد وترغيباً ، وقيل الاول : ما خوّلهم في الدنيا من الغنيمة والظفر ، وجميل الذكر . والثاني : ما جعل لهم في الاخرة . وقيل ، المراد بالدرجة الاولى : ارتفاع منزلتهم عند الله سبحانه وتعالى وبالدرجات : منازلهم في الجنة . وقيل : القاعدون الاوّل ، هم الاضراء ، والقاعدون الثاني ، هم الذين أُذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم ، وقيل المجاهدون الاوّلون : من جاهد الكفار ، والاخرون من جاهد نفسه . وعليه قوله عليه الصلاة والسلام « رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر »[93] .

اما قوله تعالى : ﴿ أم حَسِبتُم أنْ تدخُلُوا الجنَّة وَلَما يَعْلَمِ الله الذين جاهدوا منكم وَيَعلَمَ الصابرين ﴾ (ال عمران ١٤٢) فـ (أَمْ) هنا منقطعة ، اي : بل احسبتم ، و (ان تدخلوا) ان والفعل يسد مسد المفعولين . وقال الاخفش المفعول الثاني محذوف[94] (ويعلم الصابرين) قرأها الحسن بالكسر على العطف ، ومن قرأها (ويَعْلَمَ الصابرين) فعلى النصب بالواو ، المعنى ولما يقع العلم بالجهاد ، والعلم بصبر الصابرين ، ولما يعلم الله ذلك واقعاً منهم ، لانه ـ جل وعز ـ يعلمه غيباً ، وانما يجازيهم على عملهم[95] .

وقال العكبري : يقرأ بكسر الميم عطفاً على الاولى[96] وبضمها على تقدير : وهو يعلم ، والاكثر في القراءةالفتح ، وفيه وجهان : احدهما : انه مجزوم ايضاً لكن الميم لما حركت لالتقاء الساكنين حركت بالفتح اتباعاً للفتحة قبلها ، والوجه الثاني : انه منصوب على إضمار (أن) والواو ههنا بمعنى الجمع كالتي في قولهم : لا تاكل السمك وتشرب اللبن . والتقدير :اظننتم ان تدخلوا الجنة قبل ان يعلم الله المجاهدين ، وان يعلم الصابرين ، ويقرب عليك هذا المعنى انك لو قدرت الواو بـ (مع) صح المعنى والإعراب[97] ونسب النحاس القول بالنصب (يعلمَ) الى الخليل ، قال : وهو عند الخليل منصوب باضمار ان ، وقال الكوفيون : هو منصوب على الصرف ، فيقال لهم ليس يخلو الصرف من ان يكون شيئاً لغير علة او لعلة ، فان كان لغير علة جاز ان يقع في كل موضع ، وهم يمنعون هذا ، وان كان لعلة فلِلعلّة نُصِبَ ، ولا معنى لذكر الصرف[98] .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَنَبلونَّكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم » (محمد ٣١) فالابتلاء في اللغة : الاختبار[99] . فقيل : المعنى لنشتدَن عليكم في التعبد ، وذلك الامر بالجهاد ، والنهي عن المعاصي . يدل على ذلك (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) و(نبلوا اخباركم) اي

ما عملتم فيما تعبدتم به[100]

وبذا اراد الله سبحانه اختبار عباده : بالامر بالجهاد وسائر التكاليف الشاقة (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) على مشاقه (ونبلوا اخباركم) ما يخبربه عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبحها ، او اخبارهم عن ايمانهم وموالاتهم المؤمنين في صدقها وكذبها[101] .

ومن خلال ما تقدم ذكره في الايتين السابقتين ، تظهر منزلة الجهاد كاختبار آلهي والصبر على مشاقه ومشاق غيره من التكاليف الشرعية . وما يترتب على هذا الاختبار من إظهار الطاعة او العصيان ، وعليهما يكون الجزاء . الله اجعلنا من ﴿ الذين يستمعون القول فَيَتَّبِعون أَحْسَنَهُ اولئك الذين هداهم الله وَاولئك هم أولوا الالباب ﴾ (الزمر ١٨) .

الهوامش والتعليقات

(١) ينظر : اللسان (جهد)
(٢) ينظر : سورتي (التوبة ٧٣) و(التحريم ٩)
(٣) معاني القرآن واعرابه ٢ / ٥١١
(٤) أنوار التنزيل واسرار التاويل ١ / ٤٢٣ ، ٤٢٤
(٥) اللسان (غلظ)
(٦) تفسير الجلالين ٢٥٣
(٧) معاني القرآن واعرابه ٢ / ٥٢٨ . وينظر : إملاء ما من به الرحمن ٢ / ٢٣ .
وقال البيضاوي (١ / ٤٣٦) : وقريء بفتح الغين وضمها ، وهما لغتان فيها .
(٨) تفسير الجلالين ٢٦٣
(٩) تفسير الجلالين ١٤٣ .
(١٠) معاني القرآن واعرابه ٢ / ١٨٧
(١١) تفسير الجلالين ١٤٣
(١٢) معاني القرآن واعرابه ٢ / ١٨٧
(١٣) السابق ٢ / ٤٩٧
(١٤) ينظر : اللسان (نفر)
(١٥) الفتح (١٧)
(١٦) التوبة (٩١)
(١٧) ينظر : تفسير الجلالين ٢٤٧
(١٨) ينظر : اللسان (حرج)
(١٩) تفسير الجلالين ٢٥٦
(٢٠) ينظر : السابق ٢٥٧
(٢١) التوبة (٩٠)
(٢٢) ينظر : شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري ٢١٤
(٢٣) قال العكبري : قوله تعالى (وجاء المعذرون) يقرأ على وجوه كثيرة .
ينظر : املاء ما من به الرحمن ٢ / ١٩ ، و٢ / ٤ قوله تعالى (مُرْدِفين)
(٢٤) معاني القرآن واعرابه ٢ / ٥١٤ ، ٥١٥
(٢٥) تفسير الجلالين ٢٥٦
(٢٦) املاء مامن به الرحمن ٢ / ٢٠
(٢٧) ينظر : اللسان (نفر)
(٢٨) كتاب الامثال للاصمعي ٢١٨
(٢٩) ينظر : اللسان (نفر)
(٣٠) التوبة ١٢٢
(٣١) ينظر : المغني ٣٦١
(٣٢) تفسير ايات الاحكام ٣ / ٤٨ ـ ٥٠
(٣٣) معاني القرآن واعرابه ٢ / ٥٢٨ . وينظر : تفسير الجلالين ٢٦٣
(٣٤) التوبة ١٢٢
(٣٥) اعراب القرآن ٢ / ٢٠
(٣٦) معاني القرآن واعرابه ٢ / ٥١٣
(٣٧) تفسير الجلالين ٢٥٥
(٣٨) معاني القرآن واعرابه ٢ / ٥١٣
(٣٩) انوار التنزيل وأسرار التاويل ١ / ٤٢٦
(٤٠) معاني القرآن واعرابه ٢ / ٤٩٨
(*) النساء (١٧٦)
(٤١) اعراب القرآن ٢ / ٢١
(٤٢) انوار التنزيل واسرار التاويل ١ / ٤١٧
(٤٣) معاني القرآن وإعرابه ٢ / ٤٩٩
(٤٤) انوار التنزيل واسرار التاويل ١ / ٤١٧
(٤٥) ينظر : اللسان (خبل)
(٤٦) البيت في اللسان (خبل) أنشد آوس وفيه (لستم)
(٤٧) معاني القرآن واعرابه ٢ / ٤٩٩
(٤٨) تفسير الجلالين ٢٥٥
(٤٩) انوار التنزيل واسرار التاويل ١ / ٤٢٦
(٥٠) معاني القرآن واعرابه ٢ / ٥١٣ ، ٥١٤
(٥١) انوار التنزيل وأسرار التاويل ١ / ٤٢٧
(٥٢) السابق
(٥٣) معاني القرآن واعرابه ٢ / ٥١٥ . وينظر : اعراب القرآن ٢ / ٣٤
(٥٤) انوار التنزيل وأسرار التاويل ١ / ٤٢٧ . وينظر : تفسير الجلالين ٢٥٦
(٥٥) اعراب القرآن ٢ / ٣٤
(٥٦) تفسير الجلالين ٥٢٠
(٥٧) انوار التنزيل واسرار التاويل ٢ / ٢٠٤
(٥٨) رواه البخاري ومسلم

(٥٩) اعراب القرآن ٢ / ٩
(٦٠) معاني القرآن واعرابه ٢ / ٤٨٥
(٦١) انوار التنزيل واسرار التاويل ١ / ٤٠٩
(٦٢) التيار الاسلامي في شعر العصر العباسي الاول ٥٩٦
(٦٣) رواه الترمذي
(٦٤)انوار التنزيل واسرار التاويل ١ /٤٠٣
(٦٥) معاني القرآن واعرابه ٢ / ٤٧١
(٦٦) تفسير الجلالين ٧٥
(٦٧) ينظر : تفسير ايات الاحكام ٣ / ١٣ ، ١٤
(٦٨) السابق ٣ / ١٠
(٦٩) انوار التنزيل واسرار التاويل ٢ / ٢١٥
(٧٠) السابق ٢ / ٤١٢
(٧١) تفسير الجلالين ٦٨٧
(٧٢) اعراب القرآن ١ /٥٠٤
(٧٣) معاني القرآن واعرابه ١ / ٢٠١
(٧٤) انوار التنزيل واسرار التاويل ١ / ٢٨٠
(٧٥) معاني القرآن واعرابه ٢ / ٩٩ ، ١٠٠
(٧٦) املاء ما منّ به الرحمن ١ / ١٩١ . وينظر : انوار التنزيل ١ / ٢٣٨
(٧٧) اعراب القرآن ١ / ٤٤٧
(٧٨) املاء مامنّ به الرحمن ١ / ١٩١ . وينظر : انوار التنزيل ١ / ٢٣٨
(٧٩) ينظر : اعراب القرآن ١ / ٤٤٧
(٨٠) السابق . وينظر : املاء مامنّ به الرحمن ١ / ٥٩١
(٨١) انوار التنزيل ١ / ٢٣٨
(٨٢) وهي قراءة الكسائي ونافع وابن عامر . ينظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع ١ / ٣٦٩
(٨٣) املاء مامنّ به الرحمن ١ / ١٩١
(٨٤) انوار التنزيل ١ / ٢٣٨
(٨٥) اعراب القرآن ١ / ٤٤٧
(٨٦) انوار التنزيل ١ / ٢٣٨
(٨٧) ينظر : املاء مامنّ به الرحمن ١ / ١٩١ . واضاف ، وقيل : هو واقع موقع الظرف ، اي : في درجة ومنزلة
(٨٨) انوار التنزيل ١ / ٢٣٨ . وينظر : املاء مامنّ به الرحمن ١ / ١٩٢ ، واعراب القرآن ١ / ٤٤٨
(٨٩) اعراب القرآن ١ / ٤٤٨
(٩٠) معاني القرآن واعرابه ١ / ١٠١ . وينظر : اعراب القرآن ١ / ٤٤٨
(٩١) تفسير الجلالين ١١٨
(٩٢) املاء مامنّ به الرحمن ١ / ١٩٢
(٩٣) انوار التنزيل ١ / ٢٣٨ ، ٢٣٩
(٩٤) املاء ما من به الرحمن ١ /١٥٠
(٩٥) معاني القرآن واعرابه ١ / ٤٨٦ .
(٩٦) قراءة الحسن ويحيى بن يعمر . ينظر : اعراب القرآن ١ / ٣٦٨
(٩٧) املاء مامنّ به الرحمن ١ / ١٥٠ ، ١٥١
(٩٨) اعراب القرآن ١ / ٣٦٧
(٩٩) ينظر : اللسان (بلا)
(١٠٠) اعراب القرآن ٣ /١٨١
(١٠١) انوار التنزيل ٢ / ٣٩٧ ، وينظر : تفسير الجلالين ٦٧٧ .

* مصادر البحث ومراجعه

- القرآن الكريم
- اعراب القرآن لابي جعفر النحاس ـ تحقيق د . زهير غازي زاهد ، مطبعة العاني ـ بغداد ١٩٧٧
- املاء مامنّ به الرحمن لابي البقاء العكبري ـ تحقيق ابراهيم عطوة عوض ، البابي الحلبي ـ مصر ط ٢ ١٩٦٩
- انوار التنزيل واسرار التأويل ـ تفسير ناصر الدين ابي الخير عبد الله بن عمر البيضاوي ـ البابي الحلبي ـ مصر ط ٢ ١٩٦٨
- تفسير ايات الاحكام ـ اشراف الشيخ محمد علي السايس ، مطبعة محمد علي صبيح (ب ، ت)
- تفسير الجلالين للسيوطي ـ قدم له وعلق عليه محمد كريم بن سعيد راجح ، مكتبة النهضة ـ بغداد مطبعة بابل ١٩٨٤
- التيار الاسلامي في شعر العصر العباسي الاول ـ د . مجاهد مصطفى بهجت ، مؤسسة المطبوعات العربية ـ بيروت ط ١ ١٩٨٢
- شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري ـ تحقيق وتقديم د . احسان عباس ، الكويت ١٩٦٢
- كتاب الامثال للاصمعي ـ تحقيق د . محمد جبار المعيبد ، دار الشؤون الثقافية بغداد ٢٠٠٠
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لابي محمد مكي بن ابي طالب القيسي ـ تحقيق د . محيي الدين رمضان ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ـ دمشق مطبعة خالد ابن الوليد ١٩٧٤
- لسان العرب لابن منظور ـ دار صادر ، بيروت
- معاني القرآن واعرابه للزجاج ـ شرح وتحقيق د . عبد الجليل عبده شلبي منشورات المكتبة العصرية ـ بيروت
- المغني لابن هشام ـ تحقيق د . مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ـ دار الفكر ، بيروت ط ٣ ١٩٧٢

الصف القتالي عبر الايام والليالي

❀ عبد القادر التحافي / عميد ركن

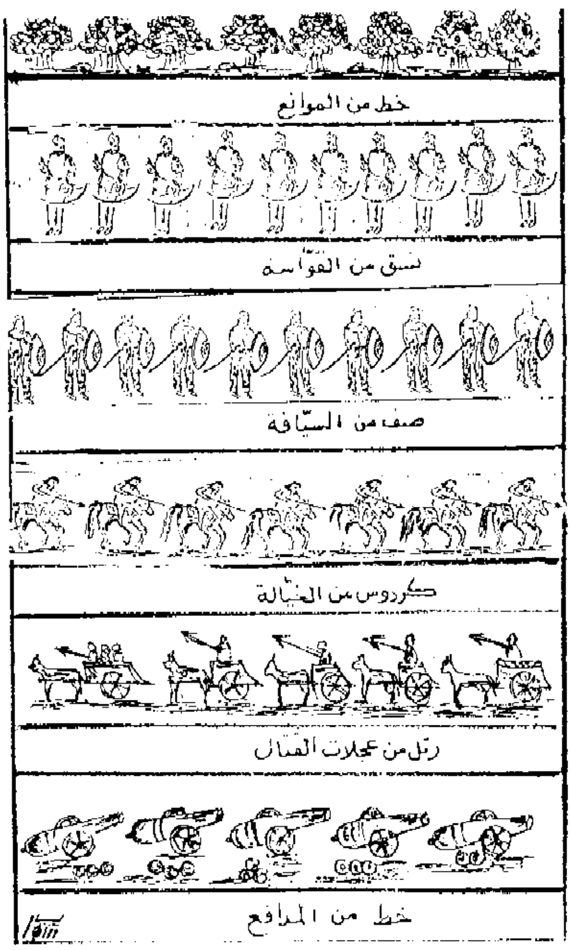
● إنَّ الله يحبُّ الذينَ يقاتلون في سبيله صفاً كانهم بنيانٌ مرصوصٌ ● الصف / ٤

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين ، نبينا محمد الامين المبعوث هداية للعالمين ، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ، ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

أمّا بعد :

١ . فالغرض من هذا المقال تصوير ما في الذهن والواقع أو تجبير ما في النظرية والتطبيق على مهاد لوحة متحركة فوق مدرجة الزمن النقال للتعبير عمّا لصفوف القتال من هيئات وأحوال . وقد عنونته بسجعة « الصف القتالي عبر الايام والليالي » تساوقاً مع تراثية الموضوع المنتخب وتطابقاً مع ما عرف عن العرب بخاصة من تسميتهم المعارك بالايام . فايام العرب وقائعها ، وقد خصّوا الايام دون الليالي في الوقائع لان حروبهم كانت تقع نهاراً في الاغلب الاعم . كـ « يوم ذي قار » و « يوم حليمة » . واذا كانت الوقيعة ليلًا قالوا : ليلة كذا . كـ « ليلة أوقد في خزازى » ، و « ليلة الهرير » .

٢ . ولعلّ هذا المقال سيتخذ من كتاب « الرسول القائد » لمؤلفه محمود شيت خطاب ، العقيد الركن ، محوراً لمعالجة الاراء ومتابعة الاجواء ، فهو منطلق الايحاء .



طلعت علينا طبعة الكتاب الاولى ببغداد سنة ١٩٥٨ م . ثم تتابعت الطبعات وتوزعت الترجمات على بضع لغات . وكان كتاباً منوّر السطور مبتكر الامور ، سبّاقاً الى كسب المبادرة في الربط بين التراث والمعاصرة ، وكان الرائد لمن بعده والقائد لمن تلاه ، وما اكثر من قرطَس على غَرَضِه ـ وأنا منهم ـ ، فجزى الله المؤلف ابن خطاب زُلفى وحسن ثواب . ثم اطلّت علينا الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٤ م فاذا النصوص المقتبسة هنا ذات نصوص الاولى .

٣ . من اراد الكتابة عن الصف القتالي أو نظام الصف عليه ان يناقش ما كتب من جاء بعده لتحديد المعنى المعروف والشكل المالوف بغية ايقاف ما ينجم من اختلاف يفرضه تباين الرؤية الى حقيقةٍ لتاويلها اكثر من وجه تتنافر فيها الآراء وتتناحر الأهواء .

● محور النقاش

٤ . تكلم مؤلف الرسول القائد على أساليب القتال فقال : « ... وبيتكر الاسلام القتال باسلوب الصف الذي لم تكن العرب تعرفه

آنذاك . بل كانت تقاتل باسلوب الكرّ والفرّ . » ثم عطف بآية الصف . ومن بعض ما قال : « ... دخل المسلمون معركة بدر باسلوب الصف وهو اسلوب جديد في القتال لم تعرفه العرب من قبل وبسيطرة قائد واحد ... أما المشركون فقد مارسوا اسلوب قتال الكر والفر بدون قيادة ولا سيطرة . »

وتحت عنوان « تعبئة جديدة » قال : « ... والقتال باسلوب الصفوف يكون بترتيب المقاتلين صفّين أو ثلاثة أو أكثر بحسب عددهم ، وتكون الصفوف الأمامية من المسلحين بالرماح لصدّ هجمات الفرسان وتكون الصفوف المتعاقبة الاخرى من المسلمين بالنبال لتسديدها على المهاجمين من الاعداء . وتبقى الصفوف في مواضعها بسيطرة قائدها حتى يفْقد زَخْمُ المهاجمين بالكر والفر شدته ، عند ذلك تتقدم الصفوف متعاقبة للزحف على العدو . » .

وعن الكلام على « دروس من بدر » قال : « .... استطاع الرسول ﴿ ﷺ ﴾ السيطرة على قواته باسلوب الصف والاحتفاظ باحتياط للطوارىء . لقد كان اسلوب الصف جديداً بينما كان اسلوب الكرّ والفرّ بالياً . »[1]

● مقتبسات متشابهات

٥ . وصلًا بما تقدم وعوداً الى ما كُتب ومن كَتَب حول الصف القتالي بعد خطّاب ــ قدر اطلاعي ــ آثرت أن اقول انّ أغلب من كتب اقتبس نصوص خطّاب نفسها مبنىً أو كاد أن يلمّ بها معنىً .

وفي جريدة المظان تبيان باسماء الكتب التي في أكبر الظن أن نصوصها تلامس معاني « الرسول القائد » مع الاشارة الى ارقام صفحات النصوص ذوات العلاقة القريبة[2] .

وحيث ان حركة العلم دائبة والنظريات العلمية عرضة للتحول والتغيير ، وحيال هذا الملحظ وفي مجال صيرورة الزمن أضيف الى ما تقدم اشارات الى نصوص أخرى ذات علاقة بموضوع الصف كُتبت قبل أو بعد صدور كتاب « الرسول القائد » ولم تتأثر به لكنها دارت في فلكه[3] .

٦ . ألّفَ العميد الركن سيف الدين سعيد كتاباً خصصه لنقد كتاب « الرسول القائد » نقداً مهنيّاً وعاماً ، أسماه « الحركات العسكرية للرسول الاعظم في كفتي ميزان » . وممّا جاء فيه : « اما عن ابتكار القتال باسلوب الصف في غزوة بدر القتال ... والاستشهاد بالآية الرابعة من سورة الصف ، فان في ذلك اكثر من نظر ... ولا يمكن القول أن الرسول ﴿ ﷺ ﴾ كان قد تعلم القتال باسلوب الصف ... أو عمل به استرشاداً بآية سورة الصف لنزولها بعد غزوة بدر القتال . وانّ قول المؤلف الكاتب محمود بأن اسلوب الصف يؤمّن العمق والاحتياط ويساعد القائد على معالجة المواقف الطارئة قول غير سديد من وجهة نظر العسكرية الحديثة . إنّ اسلوب الصف لا يؤمن العمق ولا الاحتياط ولا يساعد القائد على معالجة المواقف الطارئة .

كما ان الترتيب الذي افترضه المؤلف من ان (الرمّاحة) تكون في الصفوف الامامية وتكون (القوّاسة) من ورائها لا يمكن ان يكون ترتيباً عملياً في واقع القتال ... انّ الخيال لا تفزع من الرماح والسيوف بقدر ما تفزع من السهام ... ان تسديد النبال الى صدور خيل العدو هو اكثر تأثيراً من تسديدها الى العدو نفسه[4] .

● الذاكرة التاريخية

٧ . كثرة من النصوص المشار اليها في المتن الانف وفي جريدة المظان هي فقرات بعضها من بعض ، تظهر فيها ألفاظ متراكبة أو متداخلة كالصف والزحف والنظام والاسلوب والمبارزة والكرّ والفرّ والطريقة والترتيب وما الى ذلك . ولهذا سنمضي مع الذاكرة التاريخية لفرز الصف وموحياته ومتعلقاته عنها وعن صيغها المتداولة ، وجلاء معناه في معركة بدر الكبرى ، بدر القتال ، ونرى هل أن ما ذهب اليه استاذي الشيخ محمود شيت خطاب هو كلّ الصواب أمْ أنّ لكل سيف نبوة ولكل عالم هفوة . وأنّ كل من أفاد منه أو نقل عنه جدة الصف على صورتها بلا ارتياب ولا احتساب لم يزد على ان سطر ألفاظاً منقولة عن كتاب في كتاب ؟ .

٨ . لمّا اجتمع الانسان باخيه الانسان نتجت ضرورات اجتماعية تكفل له الامن والطمانينة والامان . ومن هذه ــ على سبيل المثال ــ ضرورات ثلاث :

عبادة الرب ●

الـــدينُ في الارض نورٌ في بَصَـائرنـا
لَــــوْ لَمْ نَجـدْهُ يقينـاً لابتكــرْنـــاهُ

وعمادة الحب ●

الحبُّ في الارض بَعْضٌ من تَصَوُّرنا
لـو لم نجـده عليهـــا لاخترعنـــاهُ

وريادة الحرب ●

الحربُ في الارض طَبْعٌ في تَعـــامُلنا
لـــو لم نجدْهُ كفاحاً لافتجرْنـاهُ

وهذه الخاصيّة الحربية لسنا بمضطرين الى افتجارها فقد

افتجرها إبنا آدم منذ بدء الخليقة . وقد وردت قصتهما في القرآن الكريم على لسان احدهما قائلاً ﴿ لئن بسطتَ الي يدكَ لتقتلني ما أنا بباسطٍ يدي اليك لاقتلك إني أخافُ الله ربَّ العالمين ﴾ فجاءت النتيجة في قوله تعالى ﴿ فطوّعت له نفسه قتل أخيه فقتله فاصبح من الخاسرين ﴾ فاليد من معانيها القوّة والسلطان والعضو الجسماني ، وربّما تجاوز المعنى هنا الى ما في اليد من سلاح كالحجر والعصا والعظم .

٩ . من المعلومات الواردة عن اساليب القتال في العراق القديم بين (٤٠٠٠ ق م — ٢٠٠٠ ق م) ما تمثل في المخلفات الفنية مثل (مسلة العقبان) وغيرها . وتشير تلك المنحوتات الى اسلوب القتال بالصف المُتراص أو ما يدعى بنظام الكراديس والتأهب الدائم للطعن بالرمح وربما عُززت تلك القوة بحملة القسي .[٥] ومن يتمعن في مَسلة العقبان يرى القائد المنتصر قد نظم جيشه على هيئة الصف (Phalanx)زمن حكمه (٢٣٧٨ ق.م) وما بعدها ، وقد تسلح جنوده بالرماح الطويلة وتحصنوا بالدروع . وهو نظام الجيش نفسه الذي اشتهر به الاغريق[٦] .

١٠ . وحدثتنا التوراة (العهد القديم) في سفر القضاة الذين حكموا بين (١١٢٥ ق.م — ١٠٢٥ ق.م) أنّ الصف كان مستخدماً في ذلك العهد وكما يأتي :

○ خَرجت رجالُ اسرائيل لمحاربة بنيامين وأصطفَّ بنو اسرائيل للحرب عند جبع ○ فخرج بنو بنيامين من جبع فاسقطوا من اسرائيل في ذلك اليوم اثنين وعشرين ألف رجل ○ ثم تشدد الشعب رجال اسرائيل وعادوا وأصطفوا للحرب في الموضع الذي اصطفوا فيه أول يوم ○[٧] .

* مطالع التعبية

١١ . اذا ما تناولنا مظاهر التعبية عبر الزمن ليتسنى ربط الاواصر باصولها القديمة بانلين في البيان جهد المُقل ، وراقبنا نظام الصف القتالي لرجحنا معركة (قادش) سنة ١٢٨٨ ق.م ضمن اوائل المعارك النظامية التي ابتدأ بها تاريخ الحرب باسلحة الصَّدْمة كالمُدية والحربة والسيف ، وباسلحة القذف كالرمح والسهم والمقلاع (المِحْذَفة) وقعت هذه المعركة بين فرعون مصر رمسيس الثاني والحيثيين . قاتل المصريون بجيش مُكتفٍ مُكتفٍ ذاتياً من جميع الصنوف حتى راكبي العجلات ... وجاء بعدهم بألف عام اليونانيون والفرس[٨] .

١٢ . وفي العهد الاشوري الحديث (٩١١ ق.م — ٦١٢ ق.م) كان الجيش يتقدم على جبهة واسعة منتشرة في حرب السهول حيث يكون القتال داخل صفوف مُتراصة . ولعلّ منحوتات سنحاريب (٧٠٤ ق.م — ٦٨١ ق.م) التي خلفها في قصره في (تل قوينجق) في الموصل توضح لنا توزيع الصنوف والصفوف في الوحدة الاشورية عند قيامها بالهجوم ... ففي احد المشاهد نميّز مجموعة من المشاة في نَسق يتألف من اربعة جنود من حملة أتراس الحصار ومن اثنين من الرماة بينهما حامل ترس كبير ويلي ذلك عشرة صفوف في كل منهما جنديان من رماة النبال دون حماية ووراء هؤلاء ثمانية مقلاعيين فتكون المجموعة مؤلفة من (٣٥) مقاتلاً أو اكثر[٩] .

وتبعاً لما تقدم الإلماع اليه من مرور السنين اقتبس اليونانيون نظام الجند المصري ونوّعوه . وأنشأ (اليونانيون — المقدونيون) تشكيل (الفلانك) يقاتلون بموجبه وهو أن تتراص الجنود صفوفاً متعاقبة[١٠] .

وهذا مكوّن من ثمانية صفوف من المشاة الثقيل تسنده مجموعة من المشاة الخفيف ، وأول معركة لهم مع الفرس كانت معركة (ماراثون) سنة ٤٩٠ ق.م[١١] .

وللصين في عرض الصفوف نصيب . كتب المفكر الصيني (صن تزو) كتابه (فن الحرب) سنة ٤٩٠ ق.م . وقد جاء فيه :

« القادة البارعون في فن الحرب ... يوزعون الجيش ويسيرون في صفوف منفصلة » . « اوعز القائد (تيان) الى زوجاته بالتطوع في صفوف الجيش . »[١٢] . « تحل اللحظة الحرجة عندما تنتظم صفوف العدو . »[١٣] « حينما تكون قوات عدوك منتظمة متحدة ، ازرع الفرقة في صفوفها . »[١٤] .

وفي سنة ٣١٧ ق.م كان القائد اليوناني الطيبي البربري (ايبامينونداس) يقاتل جيش اسبارطة[١٥] بجيش مؤلف من اربعة آلاف مقاتل مكوّن من (٤٨) صفاً في معركة (ليوكترا)[١٦] .

وعندما اصبح فيليب المقدوني ملكاً على مقدونيا سنة ٣٥٩ سنة ق.م نظم أول جيش في التاريخ القديم يجمع بين صفوفه المشاة والخيالة والعزادون[١٧] . وجعله مؤثراً ، واوجد نظام الفلانك المختلف السلاح (الجحفل) المكوّن من ثمانية صفوف وكتلته زهاء (١٦٠٠٠) ستة عشر ألف مقاتل من المشاة الثقيل ، يتفرع الى ارتال مفردة ، عدد الرتل ستة عشر مقاتلاً يصطفون الواحد خلف الآخر . وهو أصغر وحدة قتال (حضيرة)[١٨] .

وعموماً لا عبرة للارقام الصماء فانها تزيد وتنقص وتتغير بتغير معطيات ومتطلبات فن الحرب عبر الزمن .

١٣ . ودارت الايام والتهمت روائق الشموس غواسق الليالي وأفضى عرش الفرس الى كسرى (أبرويز) فهاجم الروم واستولى على انطاكية ودمشق والقدس سنة ٦١٤ م واجتاح سوريا حتى بلغ مصر سنة ٦١٩ فتصدى له قيصر الروم (هرقل) بعد أن أصلح مجتمعه وسلح جيشه وأعدّه للظفر فاسترد الشام سنة ٦٢٥ م وانتصر على الفرس مشتتاً شمل جيشهم قرب نينوى سنة ٦٢٧ م[١٩] . وقد اشار القرآن الكريم الى هذين الحدثين بقوله تعالى * آلم * غُلبتْ الرومُ * في أدنى الارض وهم من بعدِ غلبهم سيَغلبون * الروم / ١ ــ ٣ . لقد كان قيصر الروم يقاتل باسلوب يعتمد نظام الصف أساساً . واستمر على هذا النظام حتى معركة مؤتة سنة ٦٢٩ م .

وهنا يطوف على السطح تساؤل مُلحٌ : هل عرف الفرس نظام الصف ؟ . والجواب بالايجاب حقيقة لا لبس فيها ولا ارتياب . نعم قد عرفوه ورسموه على جدران طاق كسرى مجسمين معركة انطاكية على عهد انوشروان .

وهذا الشاعر البحتري شاهد مُجسّمَ المعركة فقال :

فــــإذا مــا نظــرتَ صُــورةَ أنطــا
كيَّـــة أرتعت بينَ رُوم وفُـــرسِ
والمنـــايـــا مَــواثِـلٌ وأنــوشِــر
وان يُزجي الصُّفوفَ تحت الدّرفسِ

والمعتضدُ به الثاني معلومة تفيد أنه « لمّا التقى الفريقان الهياطلة والفرس وتصافوا للقتال ارسل ملك الهياطلة الى ملك فارس ان يبرز بين الصفين ليكلمه ... » .[٢٠]

١٤ . لنرجع القهقرى عائدين الى ما جرى في الهند بين صفوف قتال الوغى فنقل هذا الخبر : « إنّ منشأ الشطرنج كان في الهند ، وهو (شاتورنجا) باللغة السنسكريتية في حدود سنة ٥٠٠ م ومنها انتقل الى فارس. وربما كان اسمه (جاتورنجا) اي لعبة حرب . قال الزمخشري: إنّ ملوك الهند كانوا حكماء ، لا يرون القتال وسفك الدماء . فوضعوا الشطرنج وكان اذا تنازع ملكان في كورة اصطف الجيشان وتقدم الملكان فلعبا في موضع الحرب بالشطرنج فالغالب منهما استولى على ما وقع عليه النزاع من غير قتال ولا سفك دماء[٢١] .

القتال عند العرب

٢٢ . عوداً الى المسار الأحب وانطلاقاً مع الزمن العربي المتعاقب وقبل أن نتسلسل معطياته ندرج بعض ما كتب عنه وفيه . فقد كتب ابن خلدون حول اساليب الحرب في مقدمته ما نصه :

« اعلم أنّ الحروب لم تزل واقعة في الخليقة منذ براها الله وهي على نوعين ، نوع بالزحف صفوفاً ونوع بالكرّ والفرّ . أما الذي بالكرّ والفرّ فهو قتال العرب والبربر من أهل المغرب . وامّا الذي بالزحف فهو قتال العجم كلهم . وقتال الزحف أوثق وأشدّ من قتال الكر والفر وذلك لان قتال الزحف تُرَتَّب فيه الصفوف وتُسوَّى كما تُسوَّى القداح أو صفوف الصلاة ويمشون بصفوفهم الى العدو قُدماً . وفي التنزيل * ان الله يُحبّ الذين يُقاتلون في سبيله صفاً كانهم بُنيان مرصوص * أي يشد بعضه بعضاً بالثبات . وفي الحديث الشريف ، (المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً) . وأما قتال الكر والفرفليس فيه من الشدة ، والامن من الهزيمة ، ما في قتال الزحف .

ثم أن الدول القديمة الكثيرة الجنود كانوا يقسمون الجنود الى كراديس ويُسوّون في كل كردوس صفوفه ويَضمُّونَ المتعارفين بعضهم الى بعض ويرتِّبونهم قريباً من الترتيب الطبيعي في الجهات الاربع ، مقدمة ، وميمنة ، وميسرة ، وساقة ورئيسهم في القلب أو قائدهم في القلب ، ويسمون هذا الترتيب (التعبية) . وصارت الحرب أول الاسلام كلّها زحفاً لانّ اعداءهم كانوا يقاتلون زحفاً فيضطرون الى مقاتلتهم بمثل قتالهم ولانّ الزحف هو أقرب للاستماتة ، وراسخ الايمان يستميت لما وُعد من نصر أو شهادة . ثم أبطل مروان بن الحكم الصفَّ وصار الى تعبية الكراديس »[٢٢] .

وتتلخص طريقة الكرّ والفرّ عند العرب ـ عرب البادية ــ بان يكرّ المقاتلة على الخصم بكامل قوتهم ، فان صمد لهم العدو وأحسوا بالضعف فرّوا ثم أعادوا تنظيم أنفسهم من جديد وكرّوا كرّة اخرى ويستمر هذا الوضع من كرّ وفرّ حتى يتحقق لهم النصر أو الفشل[٢٣] .

٢٣ . وعرب البادية حروبهم بدائية يخرجون فيها للقتال على غير تعبية خاضعين في ذلك للنظام الذي يراه شيخ القبيلة . وكانوا في العادة يغيرون بغتة ثم يفرون الى البادية عند مطاردتهم . ولكن عرب المدن عرفوا نُظُمَ التعبية وتقسيم الجيش الى مقدمة ، ومؤخرة ، وقلب ، وجناحين . ورأيناهم في جاهليتهم في حرب الفرس يقسمون قواتهم الى كراديس حتى لا تفرقُهم سهام الفرس اذا وقفوا صفوفاً او في مكان واحد . وكانت المعركة في العادة تبدأ بطلب المبارزة من أحد الطرفين جرياً على عادتهم ، وذلك بان يخرج بين الطرفين فارس مشهور فيطلب مبارزة فارس مماثل له من الاعداء . وكان الغرض من تلك المبارزة إظهار المهارة الفردية والقوة البدنية وعرض الفن الحربي امام النظّارة ليخلع المبارز

بفنه قلوب الاعداء ويقوي به قلوب اصحابه . ثم أنها مما يحدث فيها من قتل متتابع تثير النخوة والاخذ بالثأر فتجيش النفوس للقتال وتتحرق للطعان والنزال . واحياناً يتفق قائدا الجيشين على المبارزة الفردية الذاتية لحسم النزاع وحقن الدماء على ان يكسب القضية من يفوز منهما[٢٤] وقد تعاهد على ذلك الحارث والمنذر يوم (عين أباغ) وتفعيل هذه الواقعة ان سار المنذر بن ماءالسماء ملك العرب بالحيرة في (مَعَدّ) كلها حتى نزل عين أباغ وهو وادٍ وراء الانبار على طريق الشام وارسل الى الحارث بن جبله ملك العرب بالشام وقال له : اما أن تعطيني الجزية أو هي الحرب ؟ . فسار الحارث بجنوده وتقابل الصفان وارسل اليه من يقول له : انّا شيخان ، فلا تهلك جنودك وجنودي ، ولكن يخرج رجل من ولدي ورجل من ولدك فمن قُتل منهما خرج عوضه ولد آخر ، فاذا فني أولادنا خرجت انا اليك فمن قتل صاحبه ذهب بالمُلك ، فتعاهدا على ذلك[٢٥] .

٢٤ . ونتنقّل بما في مفصل الدكتور جواد علي عند الكلام على الحروب كما يأتي :

« يُظهر لنا الشعر الجاهلي أنّ الاعراب كانوا يخشون من الالتحام بالجيوش الآشورية والبابلية والرومية لتفوق تلك الجيوش عليهم ، فاذا تعقبتهم هربوا الى البادية حيث يجدون لهم عندئذ المأوى الصالح الأمين المناسب لهم للوقوف امام الجيش النظامي ، ويكون وقوفهم أمامه على هيئة كرّوفرّ وهجوم من جوانب مختلفة ، فان وجدوا جَلَداً من ذلك الجيش وقوة ضارية ، هربوا الى قلب البادية[٢٦] . اما القبائل فقد كان المحاربون فيها هم الذين يُجهزون انفسهم بالسلاح وفيه العصي وحتى الحجارة[٢٧] . والغالب على اسلوب القتال عند الجاهليين الكرّ والفرّ وذلك بان يهاجم المحاربون عدوهم ثم يتراجعون بسرعة وكانهم فرّوا خوفاً منه (حركة استطراد) . ثم يعودون فيكرون عليه . ويعينون مكاناً يكون مركز ثقلهم فيه والملجأ لهم ، يلجئون اليه ثم ينطلقون منه للكر على العدو . وقد اتبعوا ايضاً اسلوب القتال صفوفاً ، بان يقف المحاربون صفوفاً يحاربون دون كرّ ولا فرّ . »[٢٨] .

٢٥ . ونتنقل مع المفصل عبر صفحات أخر فنسجّل : « نحن لا نكاد نعلم شيئاً عن أسس تنظيم الجيش في الحكومات الجاهلية لعدم ورود نصوص واضحة في ذلك . ولصلة ملوك الحيرة بالفرس وصلة ملوك الغساسنة بالروم لا نستبعد تدريب الفرس لجيش الحيرة وتقسيمه واعداده وفق نظم الجيوش الفارسية واساليبها على القتال . وتدريب الروم لجيش الغساسنة وفق انظمتهم وقوانينهم العسكرية . ولا يستبعد ان يكون تاليف الجيش في اليمن في ايام احتلال الحبش لها على هذا الاساس . وقد ذكر أهل الاخبار أن النعمان بن المنذر مَلَكَ خمس كتائب يحارب بها هي الوضائع والشهباء والصنائع والرهائن ودوسر . والكتيبة (الكوهورت) عُشر (الليجيون) عند الرومان ولذلك كان عددها يختلف حسب اختلاف عدد الليجيون ، وعلى الأغلب كانت بين (٤٠٠ — ٦٠٠) جندي . وقد كان عدد الليجيون (٦) ستة آلاف جندي في أيام الانبراطورية الرومانية ، وتقسم كل كتيبة الى عشرة أقسام ، ويسير هذا النظام وفقاً للطريقة العشرية في التقسيم . وترد لفظة كتيبة والجمع كتائب في الشعر الجاهلي تعبيراً عن تنظيم وتكتل في صفوف الجيش[٢٩] . ويقسم المحاربون قواتهم الى مجنبتين وقلب ، مجنبة يمنى تهاجم او تحمي الجانب الايمن ومجنبة يسرى تحارب وتدافع عن الجانب الأيسر للمحاربين . اما القلب فيكون واجبه الهجوم والدفاع من وسط الجيش . وقد تقوم المجنبتان بالهجوم لتطويق العدو وحصره في دائرة ضيقة .

وفي يوم نخلة من أيام حرب الفجار كان حرب بن أمية في القلب وعبد الله بن جدعان وهشام بن المغيرة في المجنبتين . وتبدأ المعركة غالباً بالمبارزة بان يخرج من كل جانب محارب او اكثر من محارب يتبخترون تباهياً بانفسهم وقد يتحلقون ويتمطرون وينشدون شعراً يفاخرون فيه بانفسهم وأهليهم وقبائلهم وأنسابهم وأحسابهم . وقد يسأل المبارز مبارزه فاذا وجده غير كفء له انتقصه ورفض مبارزته . وتستمر المبارزة بين محاربين كفوئين او اكثر حتى تنتهي بالتحام قد يؤدي الى هزيمة أحد الطرفين وتراجعه الى مكانه فتنتهي بذلك تلك الحرب .[٣٠]

وقد يكون القتال صفوفاً بان يتقدم المحاربون فيحاربون صفاً صفاً وذلك اذا كان المحاربون كثيرين والى هذا النظام أشار القرآن الكريم « ان الله يحب الذين يُقاتلون في سبيله كانهم بنيان مرصوص » وقد كانت الخيل من جملة وسائل كسب الحروب وذلك لسرعتها ولما تحدثه تحركات المحارب على ظهرها من أثر في صفوف العدو تُشتتُ صولات وجولات الفرسان شملَ الصفوف ويُمزّقون الجمع ويمهدون لمن وراءهم من المشاة فرصة للانقضاض على الفارين المنهزمين . وكان الفرسان يستحبون فحول الخيل في الصفوف[٣١] .

وما اروع وابدع وانصع ما وصف القرآن المبين به سرعة عدو الخيل وشدته ، وتطاير الشرر من احتكاك حوافرها بالحجارة الصلدة كتطايره عند قدح الزناد ، وقد أغارت على العدو مع الصباح فاثارت الغبار في وجهه وتقدمت حتى احتلت وسط قلب خميسة .

قال تعالى * والعاديات ضبحاً * فالموريات قدحاً * فالمغيرات صبحاً * فأثرن به نقعاً * فوسطن به جمعاً * سورة العاديات .

ذخيرة مكتنزة

٢٦ . مما تقدم وسلفت الاشارة اليه أن (الصف القتالي) كان معروفاً عند الامم غير العربية كاليونان والرومان والصينيين والهندوس والروم البيزنطيين والاحباش وان المناذرة والغساسنة وعرب اليمن كانوا على احتكاك حضاري مع الفرس والروم والاحباش فاقتبسوا منهم نظام الصف في الغالب ونشروه بين سائر عرب الجاهلية . والادلة على انتشار الصف القتالي في ايام العرب ما سنسترسل بذكره من مقتطفات منتزعة من بطون كتب التراث لتأييد ما ذهبنا اليه غير متجاوزين حدَّ البسط فما جاوز حدَّه جاور ضدَّه فلعلَّ ان يتأملها ويتملاها بعين الرضى من صفقت له آفاق التأمل ففيها ازاهير تسرّ الناظر وتعطر الفكر الفاتر وتجعل حبّ التراث عادة ودأبا .

٢٧ . نحن نعلم ، وبهذا قال المستشرق (كليمان هوت) والشاعر الالماني (جوته) والكاتب الروماني (كونستانس جورجيو) أنّ الطبيعة منحت العرب اشياء لا تكاد تفارقها في جاهليتها دعوناها سباعية الاعراب وهي : عِمامةٌ تُدار ، وسيف بتّار ، وخيمةُ أسفار ، وفرس مغوار ، وجمل هدّار ، وترنيمة اشعار ، وعشق ذات اسوار . أمّا حديثنا فيختص بالسلاح واستعماله لا سيما السيف الذي هو سلاح الاشتباك القريب وهو العُدّة عند الشدّة لا يفارقه العربي إلّا بالموت واحياناً يدفن معه ميتاً ، قال المتنبي :

يُسابقُ سَيفي منايا العبادِ
إليهم كأنهما في رِهانِ
ساجعلهُ حكماً في النفوسِ
ولو نابَ عنه لساني كفاني

وفي البيت الثاني نكتة شاعر متفاخر لا حكمة عاقل متغافر فالحكمة توجب استخدام اللّسان قبل السِّنان ، وفي مثلها صرّح معاوية بن ابي سفيان بمقولته الشهيرة : « إني لاغمد سيفي ما ناب عنه سوطي ، وابعد سوطي ما ناب عنه لساني بنصح فتحذير ، وتلك بعض شاني . »

وحديثاً قيل : لا تُهيّء مطرقة آلية لقتل بعوضة . ومرادنا هنا البيت الاول أصلًا المختص بالسيف المصاحب :

أما السيف الضجيج فقال فيه ابو العلاء المعريّ :

وضَجيعُ طِفلِهم الحُسامُ فأنْ تَوى
منهم فتىً فمع المُهنَّد يُقْبَرُ

وأبّنَ أبو العلاء فارساً بطلًا كان لا يفارق سيفه رمزَ الجلاد والبأس والجهاد فقال :

هلّا دَفَنْتمْ سيفَهُ في قبْرِهِ
مَعهُ ، فذاك له خليلٌ وافِ

وللرمح قدر من التأثير المادي والنفسي وفيه قال حَجَلُ بن نَضلة القيسيّ عندما وصف بطلًا اسمه (شقيق) أحد بني عمرو إبن عبد قيس بن معن كان يجعل رمحه وهو راكب على فخذيه بحيث يكون عرض الرمح جهة العَدوّ إدلالًا بشجاعته واستخفافاً بمن يقاتلهم وثقة برمحه اللّدن[٣٢] .

جَاءَ شَقيقٌ عارضاً رُمحَهُ
إنَّ بني عَمِّكَ فيهم رِماحْ

والعرب تقول لمن معه سَيفٌ سائف وسيّاف ولمن معه نَبلٌ نابل ونبّال ولمن معه رمح رامح ولمن قَرنَ نوعين من السلاح قارن ، فاذا كان ذا قلب شجاع شَملَهُ قول الشنفرى في لامية العرب :

وإنيّ كفاني فقدُ مَن ليس جازياً
بحسنىٰ ولا في قربِهِ مُتعلّلُ
ثلاثةُ إصحابٍ ، فؤادٌ مُشيّعٌ
وأبيضُ إصليتٌ وصَفراءُ عَيطلُ

أي قلبٌ شجاع وسيف قطّاع وقوس مِطواع قرنتهما معاً فاغنوني عن التماس من لا خير فيه .

ويجمع ابو العلاء المعريّ الاسلحة الفردية كاملة في لزومياته فيقول .

إذا أصحابُ دينٍ أحكموهُ
أذالوا ما سواه وعيّبوهُ
فمنْ سيفٍ ومن رمحٍ وسَهمٍ
ونَصلٍ أرهفوه وذرّبوهُ
حسبتم يا بني حَوّاءَ شيئاً
فجاءكم الذي لم تحسبُوهُ

ذاك مما قيل في السلاح . وقد الغى السلاح البعيد العدىٰ بالعُدى فصارت تُراثاً عَبر المَدَىٰ .

٢٨ . ذاك مما قيل في السلاح . أما الفرد المسلح بكامل الاداة والعدة والالة من السلاح ولوازم الحماية الجسدية فيسمونه (المؤدي) أو (المُدَجَّج) أو (الشّاك في السلاح) . وقد خرج

الرسول ﴿ ﷺ ﴾ الى غزوة أحد بكامل الاداة حتى قالوا فيه : « ولبس الرسول ﴿ ﷺ ﴾ لامته ودرعيه وأعتم وتقلّد سيفه وألقى التُرس على ظهره وركب فرسه وتنكب قوسه ومسك قناته (رمحه) بيده فجمع سائر الاسلحة الفردية وبدا لاهل المدينة محارباً كامل العُدة مقبلًا على المعركة بثبات وصدق عزيمة[٣٣] .

وأما الفرد الذي يأخذ ما قرب منه من السلاح والاداة لعَجلةٍ موجبة دون أن يستكمل العدة فيسمونه (المُستعير) .

٢٩ . وارتجاعاً بالذاكرة الى مهادٍ مُشادٍ في حقبة الجاهلية وعرضه في المخيلة مع مشابهات اسلامية نختار منهما ما جاء عن اسلوب القتال الفردي ثم القتال بنظام الصف في تلك الاحيان .

فهذا الجونُ النُمريّ قد أسَرَ حارثةَ بن عمرو بن ابي ربيعة بن ذهل بن شيبان . فغلب الملك المنذر على الجون وأخذ منه حارثة فقتله . وادّعت بنو شيبان أن الجون قتله فقال الجون يصف حال النزاع ومراحله بتتابع دقيق حسب تسلسل التطبيق[٣٤] .

مَنْ مُبلغٌ شيبانَ انّـ
ـــي يكن أمري خَفيّا
راميتُهُ حتى اذا
ما كان نَبلانا نَفيّا
طاعنتُهُ حتى اذا
ما كان رمحانا شَظيّا
ضاربتُهُ حتى اذا
ما كان سيفانا حَنيّا
أتخذتهُ غَلباً وكا
ن مُمنَّعاً قِدماً أبيّا
أعطيتُهُ رَحلي ورا
حِلتي وكُوراً حميريّا

وهذا زهير بن أبي سُلمىٰ يختصر كل ما فصله الجون في بيت واحد فقط[٣٥] .

يَطعنهم ما أرتموا حتى إذا أطّعنوا
ضَاربَ حتى إذا ما ضاربوا أعتنقا

ان هذا المقاتل الكميّ يستغلّ وقت تراشق قومه والاعداء بالنبل فيندفع الى الاعداء ليطعنهم فاذا انتهى وقت التراشق وتحوّلوا الى الطعان بالرماح سبقهم الى أمام مضارباً بالسيف . فاذا ما ضاربوا بالسيوف كان هو معانقاً خصمه وطارحه أرضاً فاما أسراً إن استاسر وإما القتل .

٣٠ . وفوق ذا صورة منصفة رسمها الشاعر الجاهلي عبد الشارق ابن عبد العزىٰ الجهني فقال[٣٦] .

فلما أن تواقفنا قليلًا
أنخنا للكلاكل فأرتمينا
فلمّا لم نَدَع قوساً وسهماً
مشينا نحوهم ومَشوا إلينا
فأبوا بالرماح مُكسراتٍ
وأبنا بالسيوف قد أنحنينا

فربما كانت هذه المواقفة للمناداة على الابطال وطلبهم للمبارزة واعتراضهم بين الصفين قبل كل شيء وقبل مشي الصفين المتقابلين كل نحو خصمه . وفي هذا المبنىٰ الجميل مَعنى جليل ينصف به عدوُ قومه مع ذكر تميّز شجاعة قومه على عدوهم ، فقد قال : تقابلنا فانخنا ما ركبنا فتراشقنا بالسهام حتى تقطعت أوتار القسي ونفنت السهام بعد أن نفذت في أجسام أهل الخصام فوجب علينا وعليهم أن نتزاحف فتزاحفنا وكانت الملحمة التي كنّا فيها اكثر شجاعة من خصمنا ، فقد طعنونا بالرماح حتى تكسرت في أيديهم ، ولكننا ضربناهم بسيوفنا حتى انحنت في ايدينا ، وشتان بين ضاربين وطُعّان فنحن اسرع اليهم في المممان ، وتلك ميزة لنا نحن اشجع الشجعان .

كذلك أنصف الحصين المُريّ عدوَّ قومه ببيت شعر وجيز[٣٧] .

نُطاردهم نَستودعُ البيضَ هَامهُمْ
ويَستودعون السُمهري المُقوّما

بيت شعر وجيز فائق ذو معنى رائق يَدلّ على تقدمهم وتاخر خصومهم في الاشتباك .

الصف القتالي قبيل الاسلام

٣١ . نتحول بعدما عرضنا من صور قتالية جليّة متنوعة الى الصف القتالي العربي في إرهاصه وتتاليه ونفيض من حيث أفاض الاقدمون حتى نصل الى عهد الرسول ﴿ ﷺ ﴾ لا سيما الصف القتالي في معركة بدر فنتعرف على جِدته من قِدمهِ استناداً الى معطيات تراثية تحقق التطبيقات الوافية لانه اذا اختلّ المبنى اعتلّ المعنى ومرادنا العافية من غلط في السطور أو شطط في المنظور .

جاء في لسان العرب لابن منظور تحت مادة (صفف) :

الصف : السطر المستوي من كل شيء ، جمعه صفوف وهو معروف .

وصففتُ القوم فأصطفوا :

اذا أقمتهم في الحرب صفاً .

وصَفَّ الجيشَ يصفه صفاً وصافةً فهو مُصافٌ اذا رتَّب صفوفه في مقابل صفوف العدّو .

والمَصافّ : بفتح الميم والصاد وتشديد الفاء ، جمع مَصفّ ، وهو موضع الحرب الذي يكون فيه الصفوف .

وجاء تحت مادة (نتل) : إستنتلَ من الصف اذا تقدم اصحابه واستعد لقتال خصمه . وفي حديث ابي بكر الصديق (رضي الله عنه) أنّ ابنه عبد الرحمن برز يوم بدر مع المشركين فتركه الناس لكرامة أبيه . فنتل ابو بكر ومعه سيفه ؛ أي تقدم اليه . ويقال لمُقدمة الجُند النَّاتل .

٣٢ . وجاء في المخصص لابن سيده[٣٨] .

يقال : تقوضت الصفوف اذا انهزمت . وزعموا أنّ اعرابية قالت لولدها : اذا رأت العينُ العَينَ فذغراً ولا صَفّاً . تقول اذا رأيتم عدوكم فأدغروا عليهم ـــ أي احملوا ـــ ولا تصفُوا صَفاً ، وهي الدُغرى أي الاقتحام ، فلا سعة في الوقت كما أنّ الصف يكشف المباغتة ويبددها . إنّ هذه النصيحة القيمة تتضمن معنى تفويت الفرصة على العدو ومع كسب الوقت واستغلال المفاجاة بالاقتحام الفوري ومباغتة الخصم لانّ المباغتة تشل اكبر العقول وعياً عن أن يُبدعَ وتنفضُ الخَلَدَ ممّا أستودعَ .... وربّ سائل يسأل : هل للمرأة شان في دقائق أمور الحرب ؟ نقول ؛ نعم .

وهذه امرأة أخرى ، قال لها ولدها : أماهُ إنّ سيفي قصير . فتجيبه : أضف اليه خطوة !

وينظم هذا الجواب الاخنس بن شهاب التغلبي الجاهلي شعراً وينشد :[٣٩]

وإن قَصـرَتْ أسيافُنـا كـان وَصلُهـا
خُطـانا الى القـوم الـذين نُضـارِبُ

وتبعه كثير من شعراء الحماسة والفخر يلونون هذه الصورة بالوان رائعة . فالفارس ربّما أفاد عن قِصَرِ سَيفه ليخبر عن فضل نجدته ، وربّما زاد في طول رمحه ليخبر عن فضل قوته قال حاتم الطائي :[٤٠]

وأسمـرَ خطّيـاً كـأنّ كُعـوبَـهُ
نوى القَسب قد أربىَ ذراعاً على العَشرِ

ومن الطُرفِ الملاح نذكر أنّ المتوكل أمر مرةً صاحب خزانة السلاح أن يبتاع ألف رمح طول كلّ رمح أربعة عشر ذراعاً . فاستفسر صاحب الخزانة بقوله : هذا الطول فكم يكون العرض ؟ فضحك الناس ولم يفطن لما غلط فيه .[٤١]

٣٣ . يشرح المهلب بن ابي صفرة ، شيخ العراق والقائد الفنان ، في محاورة بينه وبين أحد الفتيان من بني قومه الأزد ، غاب عني مصدرها فاكتبها من حفظي والالفاظ تزيد وتنقص عن كمال النَّص .

قال الفتى الأزدي للمهلب : كيف ترى سيفي هذا يا عم ؟

أجاب المهلب : جيد ، إلّا أنّه قصير . قال الفتى : لا ضَير ... أصِلُهُ بخطوة .

تبسّم المهلب شجاع القلب وقال : يا أبن أخي .. السير على أنياب الـتَّنِّين من جبل حمرين الى أقاصي الصين أسهل من تلك الخطوة الضُنين لانها خطوة الصناديد فحسب ... ولم يقل المهلب جملته تلك عن رَهبٍ وانما اراد توجيه الصورة عن كَثَبٍ .

وفي حرب البسوس التي دامت زهاء اربعين سنة (٤٩٠ ـــ ٥٢٥ م) وفي آخر أيامها المسمى بيوم (تَحْلاقِ اللِّمَمِ) ما أنْ اشتجرت الأسنة ونفذت السيوف واعتنقت الابطال بعضها بعضاً وكادت قبيلة (تَغلِبَ) تَغلِبُ حتى حَسَرَتْ فتاتان بكريتان خماريهما ونفذتا بين صفوف قومهما تذكيان نار الحفيظة باشمار الحماسة . واقبلت من ورائهما كَرمة بنت ضلع أمّ مالك بن زيد فارس بكر وواحدها فانشدت الرجز المشطور المتداول إنشاده في اكثر أيام العرب وتَرَنَّمت :

● نحنُ بَناتُ طارق ● نَمشي على النّمارقِ ● والمِسكُ في المفَارِقِ ● مَشيَ القَطا النَّواتِق ● إن تُقبلوا نُعانق ● ونَفرشُ النَّمارِقِ ● أو تدُبروا نُفارِق ● فِراقَ غَيرِ وامِقِ ● عُرسُ المُولّي طالِق ● والعارُ منهُ لاحِقِ ●

فلم يلبث القوم أن تدافعوا وراءهنّ على اعدائهم واقتحموا صفوفه واستباحوا معاقلهم وباتت تَغلبُ بين نحير ويسير وانتصفت بكر منها[٤٢] .

وذكر الالوسي أنّ من مذاهب العرب واعاجيبها انهم كانوا في الحرب ربما أخرجوا النساء فَبُلْنَ بين الصفين ، يرون أن ذلك يطفيء نارَ الحرب ويقودهم الى السلم[٤٣] . قال بعضهم :

لَقونـا بـــأبـوال النِّسـاء جَهالـةً
ونحن نُـــلاقيهم ببيضٍ قـــواضبِ

وقال آخر :

جَعلـــوا السيّوفَ المشـرفيّةَ منهم
بَـــوْلَ النِّســـاء وقَــلَّ ذاك غَنَــاء

والذي أراه في تعليل ثانٍ عقلاني أنهم يوحون الى اعدائهم

بأنهم أهون عليهم من نُفاية مثانة ، لا وزن لهم ولا مقدار فتنخفض بهذا معنويات الاعداء وتنهار وترتفع معنويات الطرف الاخر .

وربما في تعليل ثالث يريدون أن يُعلموا اعداءهم ـــ وهم عرب من سنخ واحد ـــ أنّ الحرب قذرة كقذارة البول وتَركُها أفضل للطرفين وأسلم فالحرب مأيَمَةٌ تقتل الرجال وتترك النساء بلا أولياء . ولعلَّ تعليلًا آخر أراه أوفر حظاً ، أميلُ اليه وأرتضيه لنفسي ويسرني أن يؤيدني فيه القارئ المُسامِرُ . يعتمد التعليل على ان من معاني البول كما انكتب في لسان العرب معنى الوَلَد ، فهم ياتون بالحُبالى ليَضِفنَ اولادهنَّ بين الصفين لعرض صورة انسانية واقعية تفيد أنَّ الحرب زبون طحون ومن الحكمة أن يستعطف الطرف المقابل وكأنهم يقولون :اتَّعظوا يا ابناء عمومتنا ، واجنحوا للسلم يا أُقربون ، أترضون أن ندفع للموت ما تلد الوالدات ؟ أترضون أن يشقىَ اللَّدات والاباء والأمهات وتضطرب الحياة

٣٤ . واذا ما اقتربنا مزيد اقتراب من مطلع القرن السابع الميلادي ، وكانت البعثة النبويّة المحمدية سجَّل التاريخ اخبار يوم (ذي قار) وهو يوم لبكر على العجم . وقد رُوي عن النبي (ﷺ) أنه قال : « اليوم اول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبي نُصروا . » وعندما أقبلت الاعاجم نحو بكر يسيرون على تعبية وصافقوا بني شيبان ، وكان ربيعة بن غزالة السكوني نازلًا هو وقومه في بني شيبان فنصح لهم وقال : يا بني شيبان ... لا تستهدفوا لهذه الاعاجم فتهلككم بنشّابها ، ولكن تكردسوا كراديس فاذا أقبلوا على كردوس شدّ الاخر .

فقالوا : قد رأيت رأياً[44] وما أنَّ عزم العرب على خوض المعركة حتى ضرب حنظلة بن ثعلبة قُبَّةً على نفسه في بطحاء ذي قار وآلى الّا يفرأ وتفرّ القبة . وقامت النساء بتحميس المقاتلين فانشدت ابنة القرين الشيبانية :[45]

ايهاً بني شيبانَ صَفّاً بعد صَفّ
إن تُهْـــزَموا يُصَنِّفُوا فينا القَلَف

وأنشدت صفية بنت ثعلبة الشيبانية :

ايهاً بني شيبانَ صَفاً بَعدَ صَفّ
مَنْ يُـــرد العَلياءَ لَمْ يَخشَ التَّلَفْ
إنّ الشُّجاعَ بـاسِــلٌ فيـه الصَّلَفْ
اليـوم يوم المرْ مـوصوف الشَّرفْ

وهي أرجوزة تنوف على عشرة مقاطع .[46] وانشدت هند بنت طارق بن بياضة تحمس قومها قبيلة اياد :

● نحن بنـــات طـــارق ● نمشي على النمارق ●

وهي الارجوزة التي ذكرناها من قبل بانشاد كرمة بنت ضلع في حرب البسوس ، ثم ممن انشدها لاحقاً هند بنت عتبة زوج أبي سفيان في معركة أحد تحرّض الكفار على قتال المسلمين .

وضلَّتْ ممارسة القتال بترتيب الصف قائمة بعد الاسلام زمناً بعيداً ، ونستشهد لها بشعر أبي الشيص الخزاعي في مطلع الدولة العباسية يرثي بطلًا من الابطال :[47]

خَتَلَتْــهُ المَنـــونُ بَعْـــد أختيـــالِ
بين صَفَّين مِنْ قنـــاً ونِصـــالِ
في رداءٍ من الصَّفيـــح صَقيـــلٍ
وقميصٍ من الحَـــديـــدِ مُـــذالِ

صور فنية شتّى

٣٥ . يبهجني ضمن هذا الافق الرحب ، وقبل الانتقال الى مناقشة صفوف غزوة بدر القتال ، أنْ أعرض صوراً فنية شتى فيها ما يوفر منظوراً ميدانياً اصيلًا لتسليح المقاتلين وفنون قتالهم وشكل تعبيتهم ، كل اولئك معطوفاً على حكمة وحنكة قادتهم الذي يتجنبون الحر إلا اضطراراً ويتحاشون الظلم أنفَةً وأقتداراً . لنستمع ونتامل معاً البيت الشعري الذي أطلقه زهير بن ابي سلمى بين ابيات معلقته الحافلة بالحكمة والفيّاضة بالتجربة والمليئة نصحاً وارشاداً ، ونتولّى شرحه :

وَمَنْ يَعصِ أطرافَ الزِجـاجِ فـانَّـهُ
يُطيـــعُ العَـوالي رُكِّبتْ كُـلَّ لَهْـذَمِ

أجاد الشاعر برسم صورة تتجلّى روعتها بالتعرف على بعض معاني مفردات البيت الرفيع .

الرمح : سلاح يستعمل لطعن العدو ، وربما زاد طوله على عشرة اذرع . وثعلبُ الرّمح ما دخل منه في السنان . وتحت الثعلب العامل وهو ما تحت السنان الى مقدار ذراعين . ثم العالية وهي الى قدر نصف الرمح ، وتجمع على عوالٍ . وما تحت ذلك الى الزجّ يُسمّى السافلة . والزج هو الحديدة التي في اسفل الرمح ، وتجمع على زجاج (بكسر الزاي) . واللَّهذم هو السِّنان القاطع أو النصل . وفي البيت الشعري تمثيل يفيد أنَّ من لا يقبل الامر الصغير يضطر الى أن يقبل الامر الكبير ، والخطر يكمن في مُستصغر الشَّرر ان لم يتداركه الحكماء بحسن النظر ودقة المعالجة . واللوحة الفنية التي تحتجنها المخيلةللّمسات الفنية لهذا البيت تتداعى عن قبيلتين أو أدنى ، أو فئتين تنازعتا على

قضية عويصة تحتاج الى حلّ حاسم ، فتفزع كل فئة الى اسلحتها الكاملة ويتدجج افرادها بما يستطيعون من مظاهر القوة لعرضها قبالة انظار الفئة الاخرى . ويصطفون صفوفاً متراصة متقابلة وبينهما فسحة وقد وجّهوا زِجاج رماحهم تجاه خصومهم علامةً للسلام وايذاناً بتحبيذه وتفضيلًا للمُحاجزة قبل المناجزة مع ادامة حوار هادف وجدال بالتي هي أحسن وتغليباً للحكمة التي ديدنها إنجاح عملية التفاوض . ويقف بين صفوف هؤلاء وصفوف اولئك الشيوخ واهل الرأي الحكماء والرؤساء ، وتطرح بينهم حيثيات القضية العويصة . فان توصّل الطرفان الى حلٍّ مقنع لكليهما عاد من حيث أتوا.

وان كانت الاخرى قلبوا الرماح فارتَدَّتْ السَّوافِل والزِّجاج الى خلف وبرزت العوالي واللَّهاذم الى امام علامة نشوب الحرب والاحتكام الى القوة . وهذا ما تاباه الحكمة وتنشر خلاصة رأيها بجملةٍ تنفع أنْ ترفعَ شعاراً ● مَنْ لم يقتنعْ بآلاء الصُّلحِ يَخضعْ لأتسواء الرُّمحِ ● وأعجبت هذه الصورة الفنية كُثير عزّة الخزاعي فالمّ بها ونسج على منوالها حين قال بعد قرن ونصف تقريباً .(٤٨)

ومُلتمسٍ منّي الشكيّـــــة غـــــزّة
لَيَـــانُ حـواشي شيمتي وخمـالُهـا
رَميتُ بـاطـرافِ الـــزُّجـاجِ فلمْ يُفِق
عن الجهـلِ حتى حَلّمتهُ نِصالـهـا

٣٦ ـ حان الآن طيّ الايام والقفز الى صدر الاسلام لنقرأ ما كتب التاريخ عن فقرة من مخاطبة الرسول الامين ﴿ ﷺ ﴾ لوفد بني الحارث بن كعب حين سالهم : بما كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية ؟ .. ويرسمُ صورة سؤال النبيّ الاكرم والجواب المحكم لسانُ الشاعر المعاصر احمد مُحرّم .(٤٩)

بمَ كنتم في الجاهليّة تَستغـ
ـلـونَ حين يَحمى الضّـــرامُ ؟
فـــأجـابـوهُ ذلكم أنّنـــا كُنّـ
ـــا جَميعـــاً تَضُمُّنــا الأرحَـــامُ
صَـــادقي البـاسِ للقلـوبِ أتّحـادٌ
حين نمضي وللصُّفـــوف ألتئــامُ
ثُمّ كُنّــا لا نبدأ النّــاسَ بـالظّلـ
ـم ، نَعَـافُ الـذي يَعَــافُ الكِرامُ
نكــرَهُ الشّــرّ قــادرين ونـأبـا
هُ ، وللشـــرّ في النفوس أضطـرامُ

ذلك مما حكاه لنا التاريخ عن حال الجاهلية عند القتال . فماذا حكي لنا عن صفوف القتال بعد الجاهلية ؟ ليكن لنا رديف من الصور التي تحيل نصوصها المخصوصة الى مصادر موثوق بها لعلّ في الاطلاع عليها متعة وفائدة لاسيما لمن فاته شيء منها ، ومن بَعدُ ننتقل الى ذكر صفوف غزوة بدر التي من أجلها كان هذا المقال ، وسنفرد لها مجالًا مبسوط المهاد لايضاح ملابسات الاصطلاح .

انّ الطعن بالرمح والضرب بالسيف يحصلان في المدى القصير ولا يحتاجان الى فضل بيان . أمّا النبل فالرمي به يكون الى مديات بعيدة بمئات الأذرع وهو السلاح الذي يرهب الخيل كما يرهب الخيّال ويخيف الحاسر والدارع والمعطل لأنّ اكثر رماة النبل مَهرَةٌ مقتدرون على اصابة الاهداف النقطوية لتوالي الممارسات . وقد اشتهر بعض هؤلاء بصفة (رُماة الحَدَق) أي الذين لا يخطئون إصابة حَدَق العيون .(٥٠) ويبرز سؤال في هذه الحال : أيهما أفضل رمي النبل على الفارس أم على الفرس ؟ ولعلّ الجواب أنّ توخي الاجناد أفضل من توخي الواد غير أنّ الصواب هو أنّ لكل حال معالجة مختصة بها ولكل موقف حساب . أوصى الرسول ﴿ ﷺ ﴾ عبد الله بن جبير قائد رماة مرتفع عيدين الخمسين في غزوة أُحُد بقوله : « إنضح الخيل عنا بالنبل لا ياتونا من خلفنا . »(٥١) ولنُصغِ الى شاعر نبّال ماهر يثني على مهارته وحذقهِ في انفاذ أسهمه عبر حَلَق الدروع :(٥٢)

سَلُوا حَلَقَ الماذيّ عَنْ حَدّ أسهمي
فقـد ثَلَمَتْ حَـدَّ القنــــا والقَـواضبِ
تُخبِـــرْكُمْ إني إذا الخيـــلُ أوجفتْ
شَريكُ المنــايا في نفـوس الكتائبِ

وقال آخر :

الـــويــــلُ مِن النَّبـــلِ الـــويـــلْ
مـــــا يَفتَــــأ عَقّـــارَ الخَيـــلْ

وقال المتنبي :

نَرمي نَواصي الخيلِ بأسمِك في الوَغى
بـــأنْفَذَ مِنْ نشَـابنـا ومن النَّبـلِ(٥٣)

قيل النبل سهام العرب والنشاب سهام العجم . والأرجح أنّ النشاب عربيّ ماخوذ من : نَشِبَ في الشيء : عَلق به .

وفي لزوميات أبي العلاء المعري وَصفٌ للطرف (الفرس الكريم) وقد صار شبيهاً (قنفذاً) من كثافة النبل .

أتنكرِ يا طِرْفُ الوغى وركوبها
وقد صرْتَ من نُبْلٍ كأنك شيهمُ
إذا أشرعتْ فيك الأسنةُ زدتها
لصونك تجفافٌ عن الطعن مُبهمُ
إذا ما تدانوا فالضرابُ صِفاحُهُمْ
وإن يتناءوا فالرسائلُ أسهمُ

وبعد كلّ ما ذكرنا عن الحرب والقتال في العصر الجاهلي فانّ الادعاء بعدم معرفة العرب الصف القتالي قبل الاسلام وهَمٌ لا يثبت عند نظرة فاحصة محققة في التاريخ والممارسات في الجاهلية ولعلّ في هذا الحكم ظلًا من الخطأ الطفيف على الرغم من استناده الى نصوص عدّة وارتكانه على شواهد سليمة من آفة الزّيغ والميل والتنطع . كما أنّ التجمّلَ بالحق المطبوع أزكى من التملل بالرفق المصنوع .

الصف والزحف في صدر الاسلام

٣٧ . لا خلاف في أنّ الصف والزحف معروفان في العصر الاسلامي بدأً وتتابعاً ومن الامثلة ما دوّنه الثعالبي في كتابه (المتشابه) من نصوص اسلامية العهد حيث كتب : « ... وأمَرَ بتسوية الصفوف التي لا خَلَلَ لها ، وزحف اليهم زحفاً ملأ قلوبهم رجفاً .»(٥٤) واراد بالخلل جمع خِلّة وهي جفن السيف المُغشّى بالأدم .

واعتقدت أزدة بنت الحارث بن كَلَدة ، زوج عتبة بن غزوان عند مهاجمة مدينة الفرات لواءً من خمارها ، واتخذت النساء المسلمات رايات من خمورهن ومضين وهي امامهن تنشد :(٥٥)

يا ناصري الاسلام صَفّاً بعد صف ● ان يهزموكم .... ●

وقال ابو دجانة الانصاري في غزوة أحد سنة ٣ هـ يذكر الكيُول الذي هو آخر صف من صفوف المعركة :(٥٦)

أنا الذي عاهدني خليلي
ونحن في السّفحِ لدى النّخيلِ
ألا أقومَ الدهرَ في الكيولِ
أضربُ بسيفِ الله والرسولِ
ضربَ غلامٍ ماجدٍ بهلولِ .

ومدح أبو العتاهية القائد المُتمرس يزيد بن مزيد الشيباني بقوله :(٥٧)

كأنك عند الكرّ في الحرب إنّما
تفرّ مِنَ الصّفِ الذي من ورائكا
فما آفةُ الأبطالِ غيرك في الوغى
وما آفةُ الاموالِ غيرُ حِبائكا

كان ما سلف آنفاً اختياراً اثبتناه من بعض الامالي دعماً للصف القتالي عبر الايام والليالي يوعزه ما نريد بسطه حول غزوة بدر بغية الاحاطة وليتسنى لنا الاجابة عن سؤالين أساسيين .

الاول : أحقاً أن المسلمين ابتكروا الصف القتالي في غزوة بدر؟ والثاني : أكانت قريش تجهل نظام الصف وانها بوغتت به فعلًا في غزوة بدر نفسها ؟

نبدأ البسط بقوله تعالى * اذ أنتم بالعدوة الدُنيا وهم بالعدوة القصوى والرّكب أسفلَ مِنكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولًا ... *

اذن حدثت المعركة بقضاء الله . ثبّت التوقيت وحدد الميدان وقدر ان تفلت قافلة أبي سفيان . فظهرت لنا ثلاث فئات ، المسلمون في جانب من الميدان ، والمشركون في الجانب المقابل ، والركب (القافلة التجارية) في الطريق الساحلي مُتملّصةً باتجاه مكة بامان . واليوم هو الجمعة (١٧) رمضان من السنة الثانية الهجرية على صاحبها ﴿ ﷺ ﴾ أزكى السلام وأرق التحية ، الموافق (١٤) آذار من سنة ٦٢٤ ميلادية .

٣٨ . كانت غاية المسلمين الظاهرة لمّا فصلوا من المدينة نَفَلَ العير وليس مِقاتلة النفير لذا تَخلّف قوم من أهل نياتٍ وبصائر لو ظنوا أنه يكون قتال ما تخلفوا لكنهم زهدوا في النفل ، فبات عدد المقاتلين ثلاث مئة وبضعة عشر رجلًا فيهم المؤدي والقارن والمستمير . ومعهم فرسان اثنتان لانّ الرسول ﴿ ﷺ ﴾ ندبهم لنقل القافلة المحروسة باربعين رجلًا ، والسرعة في الخروج حيوية لئلا تفلت القافلة فخرج بمن كان مستعداً من فوره فقط .

وكان المشركون على تمام الأهبة دفاعاً عن المال وللعصبية الجاهلية والحفاظ على المراكز العلية وعدد مقاتليهم سبع مئة أو يزيدون بعد انفصال ثلاث عنهم في الطريق وهم بنو زهرة وكان مع المشركين سبعون فرساً في أقلّ تقدير ، اي أنهم زهاء ثلاثة أضعاف رجّالة المسلمين عدا التفوق الساحق بالخيالة . ولدينا من المصادر ما يفيد أنّ المشركين يعرفون الصف القتالي ولا يجهلونه وقد صافقوا المسلمين متقابلين ودونكم البيان :

روى الامام احمد بن حنبل في مسنده ما يخص صفّي بدر نقلًا عن الامام علي ﴿ كرم الله وجهه ﴾ أنه قال :

«صلّى بنا رسول الله ﴿ ﷺ ﴾ الفجر وحرّض على القتال ثم قال : انّ جمع قريش تحت هذه الضلع الحمراء . من الجبل ... فلما دنا القوم منّا وصاففناهم اذا رجل منهم على جمل أحمر ... وهو عتبة بن ربيعة ينهي عن القتال » وجاء أيضاً في رواية لابن مسعود أنّ النبي ﴿ ﷺ ﴾ قال : « رُبَّ قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته . »[٥٨] ونصّ ابن هشام في السيرة النبوية على أنّه ، بعد قتيل الحوض الاسود المخزومي ، خرج عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة ربيعة وابنه الوليد بن عتبة حتى اذا فَصَلَ من الصف دعا الى المبارزة[٥٩] وروى الواقدي عند الكلام على غزوة بدر الحادثة الاتية :

وكان علي ﴿ كرم الله وجهه ﴾ يقول : « إني يومئذ بعد أن ارتفع النهار ونحن والمشركين قد اختلطت صفوفنا وصفوفهم ، خرجت في أثر رجل منهم ... »[٦٠] . وروى زيني دحلان حادثة اخرى قال : قال الرسول ﴿ ﷺ ﴾ مَنْ لَه عِلْمٌ بنوفل بن خويلد ؟ قال عليّ ﴿ كرم الله وجهه ﴾ : أنا قتلته . فكبّر الرسول ﴿ ﷺ ﴾ وقال : « الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه » . فانّه لمّا التقى الصّفّان نادى نوفل بصوت رفيع : يا معشر قريش اليوم يوم الرفعة والعُلى ! فقال الرسول ﴿ ﷺ ﴾ : « اللهمّ اكفني نوفل بن خويلد . »[٦١] .

٣٩ . وهذا موقف سُراقة بن مالك بن جُعشم الكناني أحد شياطين الانس . طمأن قريشاً حين خرج معها من مكة الى بدر أن لا خوف عليهم من قبيلة كنانة وتراءت الفئتان والتقى جمع الكفر وجمع الايمان ، ووضع سراقة يده بيد الحارث بن هشام ولسانه يلهج بقدرة المشركين على النصر والغلبة ، بيد ان الاحداث سارت على غير ما تشتهي الفئة الكافرة وتحقق له عين اليقين أنّ النصر صائر للمسلمين ، فنزع يده من يد الحارث ونكص على عقبيه وتبعهُ قومه — أو جنده الشياطين على رأي آخر — فناداه الحارث : يا سراقة أتزعمُ أنك جارٌ لنا ؟ قال سراقة :

إني بريء منكم إني أرى ما لاترون . قال الحارث : انك بفعلتك هذه خَرَقْتَ الصّفَّ وأوقعت بنا الهزيمة ... »[٦٢] . ويعلّق الشاعر الرصافي على هذه الحادثة بقوله : إنّ الرواة يقولون إنّ الذي فعل ذلك شيطان الجن ابليس ، وانا لا ادري لماذا يخذل ابليس الكفار ليغلب المسلمون ؟[٦٣] . اي بمعنى اكثر وضوحاً إنّ الشيطان لا يُخرِّبُ عشَهُ ولا يُقرِّبُ نَعشَهُ . قال تعالى في التزيين والدراءة والنكوص ﴿ وإذ زيّنَ لهُمُ الشيطانُ أعمالهم وقال لا غالب لكم اليومَ من النّاسِ وإنّي جارٌ لكم ، فلما تراءتِ الفئتان نكص على عقبيه وقال انّي بريءٌ منكم أني أرى ما لا ترون إنيّ أخافُ الله والله شديدُ العقاب ﴾ الانفال / ٤٨ .

صَافَّات وصَافّون

٤٠ . وردت كلمة الصف في القرآن الكريم في تسع آيات ضمن ثمان سور ، وردت مفردة وجمعاً . ففي الآية (٤٨) من سورة الكهف ﴿ وعُرِضُوا على رَبِّكَ صَفّاً ... ﴾ أي مصطفين كل أمّةٍ صف . فلنتصوركم هي كتلة هذا الصف ! . وفي الآية (٦٤) من سورة طه ﴿ فاجمعوا كيدكم ثمّ ائتوا صفاً ... ﴾ حثُّ سَحَرةُ فرعون بعضهم بعضاً على الانتظام والتعاضد والتجمع . وفي الآية (٤١) من سورة النور ﴿ ألمْ ترَ أن الله يُسبِّحُ لهُ من في السّماوات والارض والطيرُ صافّاتٍ ... ﴾ باسطات اجنحتها في الهواء على استقامة واحدة مأخوذة من الصف وهو جعل الشيء على خط مستقيم . وفي الآية الاولى من سورة الصّافّات ﴿ والصّافّات صَفّاً ﴾ يُقسم الباري عَزّ وجَلّ بكل من يصطف لاستماع ما يؤمر به ، كالملائكة ، أو من يصطف للجهاد والصلاة من الاناسي أو سائر من يصطف للتسبيح والعبادة . وفي الآية (١٦٥) من سورة الصّافّات ايضاً ﴿ وإنّا لَنَحنُ الصّافّون ﴾ الملائكة في صفوفهم للصلاة . وقد ثبت في الصحيح وغيره أنّ النبي ﴿ ﷺ ﴾ « أمر الصحابة أن يصفّوا كما تصفّ الملائكة عند ربهم يقيمون الصفوف المتقدمة ويتراصفون في الصف . » . وفي الآية (٤) من سورة الصف ﴿ إنّ الله يُحب الذين يُقاتلون في سبيله صَفاً كأنّهم بُنيانٌ مرصُوصٌ ﴾ أي أنّ الله ينصر ويكرم ويؤيّد المقاتلين صافّين انفسهم في القتال صفوفاً متراصّة كأنهم في التحامهم وتماسكهم واتحادهم بنيان ملتزق بعضه الى بعض لا فُرجَةَ فيه ولا خلل . وهذا شأن الصادقين في الجهاد .[٦٤] وفي الآية (١٩) من سورة الملك ﴿ أولَمْ يَرَوا الى الطّيرِ فَوقَهُمْ صَافّاتٍ ويَقبِضنَ مَا يُمسكهنّ إلا الرحمنُ إنّه بكلّ شيء بَصيرٌ ﴾ أي باسطات اجنحتهن في الهواء عند الطيران ويُضممنها اذا ضربن بها جنوبهن حيناً فحيناً للاستظهار على التحرك . وفي الآية (٣٨) من سورة النبأ ﴿ يَومَ يَقومُ الرّوحُ والملائكةُ صَفاً لا يَتكلّمونَ إلا مَن أذِنَ لهُ الرّحمنُ وقالَ صَواباً ﴾ فالروح جبريل أو جند الله أو أرواح بني آدم ، ومعه الملائكة في حال اصطفاف لا يتكلمون بغير الصواب وبعد أن يأذن الله لهم بالكلام . وفي الآية (٢٢) من سورة الفجر ﴿ وجَاءَ رَبُّكَ والملكُ صَفّاً صَفّاً ﴾ أي جاء أمرُ ربك والملائكة متكتلين في صفوف كثيرة .

٤١ . لو نظرنا الى الطير في الجوّ — والطيراسم للجمع والواحد ايضاً — لوجدنا الطائر الفرد يُفردُ جناحيه جناح يمين

البدن وجناح يساره ، في كل جناح صفوف من الريش المتلاصقة المتناسقة المتباينة في اداء الواجب ، يعين بعضها بعضاً . قال بشار بن برد :

ولا تَجعل الشورى عليك غضاضةً
فَريشُ الخوافي قوّةٌ للقوادمِ

وقوادم الطير مقاديم ريشهِ وهي عشرة في كل جناح غالباً ، والواحدة قادمة ، وهي كبار الريش والخوافي صغاره وهي تحت القوادم . وما اكثر ما استعارت الجُنديّة لنفسها من تصريف الفاظ هذه الكلمة . فمن رفوف الطير في السماء أستُمدّت صفوف الجند عند اللقاء . فالقادمة هي الجيش في أحد معانيها . والمُقدّمة والمُقدِّمة : طائفة متقدمة للجيش . والاقدام : الشجاعة والمِقدام والقدوم والمِقدامة : الرجل الكثير الاقدام على العدو . وتاءُ المِقدامةِ للمبالغة والجَمْعُ مقاديم . والوِرْدُ : القطيع من الطير . والوِرْدُ : الجيش على التشبيه بقطيع الطير .(٦٥)

قال وداك بن ثميل المازني :(٦٦) .

مَقاديمُ وصّالونَ في الرّوعِ خَطْوهُمْ
بكلِّ رَقيقِ الشَّفرتينِ يَمَانِ
إذا أستُنجدوا لم يسألوا مَنْ دَعَاهُمُ
لأيةِ حَربٍ أمْ بأيِّ مَكَانِ

وما أشبه القوادم والخوافي في الجناحين المتفتحين بميمنة الجيش وميسرته وقد تكتّلت صفوفهما ، وما اشبه بدن الطائر بقلب الجيش ، واذا تَملّينا الصورة بعمق اكثر شبّهنا رأس الطائر بالمقدمة وذيله بالساقة وهذه هي تعبئة (الخميس) الجيش الجرّار ، وبتعبير آخر فان كتلة الجناح الايمن (الميمنة) والبدن (القلب) وكتلة الجناح الايسر (الميسرة) تدعى بالصف المستقيم وهو أحد أساليب تعبئة الصفوف . أمّا اذا عَدَدْنا كلمة (الطير) إسمَ جَمْعٍ فاغلبنا قد رأى ــ لا سيما في الربيع والخريف ــ الطير المهاجر وقد سارت زرافات مصطفة مرة بصف مستقيم واخرى بصف هلالي وثالثة بصف كمثلث متساوي الساقين . وربما شكّلوا دائرة حول عَمودٍ عاصفةٍ دَوّامةٍ عند هبوب العواصف أو احياناً يتجنبونها بصف معطوف أمين . وتلك الصفوف كلها أوحت الى البشر بصفوف القتال نظاماً وتعبية(٦٧) .

التنظير والتدبير

٤٢ . التنظير والتدبير مصطلح يتغنّى به المعنيّون كل حسب اختصاصه العلمي أو الفني . وهو يفيد التوليف الجامع بين النظرية والتطبيق . ومن مُسمَّياته ما في الذهن والخارج ، أو ما في الذهن والواقع ، أو ما يحصل بالقوة وبالفعل ، أو ما في الفكرة والتنفيذ ، أو بين الرأي والتدبير ، أو بين التصميم على الورق والتجسيم على الطبيعة . وكلّها متقاربة المعنى في مناحيها العامة . تعددت الاسماء والقصد واحد .

مرّ بنا آنفاً أنّ الرسول ﴿ ﷺ ﴾ نظّم الصفوف وعبّاها ثلاثية الترتيب تكتّلت في ميمنة وقلب وميسرة كطائر يفرد جناحيه . ثم عمد الى افهام المقاتلين كيفية استخدام الاسلحة : بطريقة جماعية مؤثرة بإراءتهم مظاهرة تطبيقية ابتدأت بسؤال طرحه الرسول ﴿ ﷺ ﴾ ليلة معركة بدر على جنده المؤمن بقوله : « كيف تقاتلون ؟ » .

فقام عاصم بن ثابت فاخذ القوس والنبل وقال : اذا كان القوم قريباً من (٢٠٠) مئتيّ ذراع كان الرمي بالقسيّ ، واذا دَنوا حتى تنالنا أو تنالهم الرماح كانت المداعسة بالرماح حتى تتقصّف فاذا تقصّفت وضعناها وأخذنا السيوف فكانت المجالدة . قال النبي ﴿ ﷺ ﴾ : بهذا انزلَتْ الحَرْبُ من يقاتل فليقاتل قتال عاصم .(٦٨)

وعلى هذه الشاكلة قاتلت الجيوش في صفحة الدفاع في القرن العشرين حيث يبدأ الفريق المُدافع برمي الصواريخ البعيدة المدى على تجمعات الفريق المُهاجم ، فالقصف الجوي بالطائرات لتدمير الجهد البعيد خلال اقترابه ، فاذا طالته المدفعية بدأ القصف المدفعي البعيد فالمتوسط فالقريب ، حتى اذا صار قريباً من الحافة الامامية للموضع الدفاعي صَبّ عليه المُدافع حُمَمَ سائر نيرانه المتيسرة لتبديد ما تبقى من قدرته المتفوقة . وعند التوقف يشن عليه المُدافع هجوماً مقابلاً عزوماً من أجل كسب المعركة وتمام الغلبة . كان هذا في الحرب العالمية الثانية وما تلاها .

واليوم ــ ونحن عند أصيل القرن العشرين ونهدف الى مطلع الألفيّة الثالثة ــ تغيّر أسلوب الاداء جذرياً بعد تجنيد الفضاء وعسكرته والافادة من التقانة الليزرية واحتمال استغلال فتحة الاوزون الحرارية واستغلال الظواهر الطبيعية الاخرى ، فلم تعُد الحَرْبُ حَرْبَ صفوفٍ وصنوف ، بل حربُ علمٍ وفنٍ مُدمّرين ، تُبقي على المادة والحجر وتقضي على جنس البشر ، ووصفتْ بواحدة من ثلاث : خطأ ، أو مرض ، أو ضرورة نسبية ، واذا ما أثارها الطغاة الكبار فانّ تلك الاثارة بسبب عجزهم عن حلّ مشاكلهم بانفسهم . واذا ما أثارتها العولمة (Globalization) حوّلتها الى حصار أو افقارٍ او ضرب نارٍ وربما جمعتها معاً ، وربّما ابتكرت من الوسائل ما هو اكثر قذارة وشروراً .

٤٣ . انّ جملة « بهذا أُنزلتْ الحرب » هنا ، لها اكثر من ايحاء . فربّما اراد الرسول ﴿ ﷺ ﴾ أنّ اسلوب القتال تقرر أن يكون متوالياً بحسب خواص الاسلحة واختلاف مدياتها ومقدار تاثيرها وبموجبه تُخاضُ الحربُ فتكسبُ ويفرح المؤمنون بالنصر الذي هو من عند الله عزّ شانه . أو اراد الرسول ﴿ ﷺ ﴾ أن يقول إنّ الله قدَحَ في ذهنه هذا الاسلوب الذي مَثَّلهُ عاصم وأمره ان يقاتل المسلمون بموجبه وكان هذا القدح انزالًا باحدى طرق تبليغ المعلومات الالهية الى الرسل والنفوس البشرية ، والطرق كثيرة ومنها :

أ . التكليم ﴿ ... وكَلّم الله موسىٰ تكليماً ﴾ النساء / ١٦٤ .

ب . الوحي ﴿ إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنّبيين مِنْ بَعدِهِ ﴾ النساء / ١٦٣ .

ج . التفهيم ﴿ فَفَهّمناها سُليمان .... ﴾ الانبياء / ٧٩ .

ء . الالهام ﴿ فألْهَمها فُجورها وتَقواها ﴾ الشمس / ٨ .

هـ . الاسماع ﴿ .... إنّ الله يُسمِعُ مَنْ يَشاءُ ... ﴾ فاطر / ٢٢ .

والتحديث ﴿ .... ومن أحسنُ من الله حديثاً ﴾ النساء / ٨٧ .

ز . الرؤيا ﴿ لَقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخُلُنّ المَسجد الحَرامَ إنْ شَاءَ الله .... ﴾ الفتح / ٢٧ .

ح . الرؤية ﴿ ... لنُريهُ مِنْ آياتنا الكُبرىٰ ﴾ الاسراء / ١ .

طـ . الارادة ﴿ ... لتَحكُم بين النّاسِ بما أراكَ الله ﴾ غافر / ١٠٥ .

ي . التعليم ﴿ وعَلّمناهُ صَنعةَ لَبوسٍ لَكم ... ﴾ الانبياء / ٨٠ .

ك . التنزيل ﴿ ... وقرآناً فَرقناهُ لتقرأهُ على النّاس علىٰ مُكث ونَزلناهُ تنزيلًا ﴾ (٦٩) الاسراء / ١٠٦ .

ل . الانزال ﴿ .... فاذا أُنزلتْ سُورةٌ مُحكَمةٌ ... ﴾ محمد / ٢٠ .

م . الانباء ﴿ ... قالَ نبّأني العَليمُ الخبيرُ ... ﴾ التحريم / ٣ .

ن . الاظهار ﴿ ... وأظهرهُ الله عَليهِ ... ﴾ التحريم / ٣ .

س . النفث ● من قول الرسول ﴿ ﷺ ﴾ : إنّ رُوح القُدسِ نَفثَ في رُوعي أن النفس الخبيثة لا تخرج من الدنيا حتى تُسيء الى من احسن اليها .

٤٤ . أردف الرسول ﴿ ﷺ ﴾ أمرهُ الى المقاتلين أن يقاتلوا كما مثل لهم عاصم بأمر آخر بمثابة توجيه فنيّ لفاتحة النزال وتتابعه بهو : « إذا اكتنفكم القومُ فأنضحوهم بالنّبلِ ، وأستبقوا نبالكم عَنْ بُعدٍ فإنّ الرّمي مع البُعدِ غالباً ما يُخطيء . ولا تسلّوا السّيوفَ حتى يغشوكم . ولا تحملوا حتى تؤذَنوا . »(٧٠) .

أي أنّ تحديد توقيتات المراحل فيما يختص بتطور الموقف وخواص الاسلحة كان من ضمن الاقتصاد بالقوة والجهد وهو مبدأ من مباديء الحرب الحديثة . فكلماته التوجيهية لغرض التنفيذ المتعاقب كانت :

احذفوا / انضحوا ... اطعنوا بالرماح ... سلّوا السيوف وجالدوا ... ثم احملوا وشدّوا . أي ازحفوا باضافة الخطى الى السّيوف والسّيوف الى صدور المشركين الزُحُوف . لقد صَدَرَ أمْرُ الشَدّ بعد أن توقّف مَدّ زَحف العدو المندفع وتخاذلَ سُراقة وفراره وقومه ، فَحبطتْ هَجماتُ قريش وصدّت واستقرت الرفعة للمسلمين وكانت تباشير النصر المبين ملء سمع وبصر المؤمنين .

واستيفاءً للغرض واستبانة للمراد نُعدد باختصار مراحل التقابل :

أ . تصافَفَتْ الفئتان ﴿ فِئةٌ تُقاتلُ في سَبيل الله ، وأُخرىٰ كَافرةٌ يرونهم مثليهم رأي العين ، والله يؤيدُ بنصره من يشاءُ ... ﴾ وانتظم المسلمون بتشكيل الصف المستوي ذي الجناحين وتكتّل المشركون صفوفاً ، رَجّالةً وخَيّالةً ، بانتظار الزحف بعد المبارزات الفردية والجماعية فهم ـــ حسب تَصورهم ـــ الفئة المتفوقة الاكثر نفيراً ونفراً ، الوافرة العُدّة الكاثرة العِدّة .

ب . استطلاع متبادل ، كل فئة تريد كشف تفاصيل امكانات وقابليات الفئة الأُخرىٰ .

جـ . مبارزة فردية بين المتحمس الاسود بن عبد الاسد الذي اندفع من بين الصفوف المشركة متحدياً المسلمين زاحفاً نحو الحوض ليشرب الماء مُبّراً يمينهُ فتصدّىٰ له حمزة بن عبد المطلب منطلقاً من صفوف المسلمين فاعترضه فقتله عند الحوض . ومبارزة أُخرى بين عامر بن الحضرميّ ومَهجعُ مَولىٰ عمر ابن الخطاب ﴿ رضي الله عنه ﴾ الذي أستشهد فيها .

ء . مبارزة ثلاثية تعاونية بين حمزة بن عبد المطلب وعلي بن ابي طالب والحارث بن المطلب ﴿ رضي الله عنهم ﴾ من جهة وبين شيبة وعتبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة من جهة معاكسة وكلهم ابناء عبد المطلب .

إستهلها عليّ بقتل الوليد ثم قتل حمزة عتبة ، وضرب شيبة ساق عبيدة فقطعها ، فَكَرّ حمزة وعليّ على شيبة فقتلاه متعاونين ثم أحتملا عبيدة فحاذاه الى الصف(٧١) . وفيهم نزلت آية ﴿ هذان خصمان أختصموا في ربّهم فالذين كفروا قُطعت لهم ثيابٌ من نارٍ يُصبُّ مِن فوقِ رؤوسهم الحَميمُ ... ﴾ .

هـ . ثم شَدّ الكفر كلّه زاحفاً على الايمان كلّه في حملة فائقة

الصولة (هجوم عام) مستغلين قابلية حركة الخيالة اجود استغلال ، والتحموا بصفوف المسلمين المنضبطين بوصايا رسولهم وهم صائمون . واحتدم القتال ولمعت السيوف مُقرّبة الآجال ، وثبت المؤمنون الابطال ثبات الجبال . ثم أوعز الرسول ﴿ ﷺ ﴾ اليهم بامره : شدُّوا . فحمل جند الله على جند اللات حملة صادقة يضربون فوق الاعناق ويضربون كلَّ بنان ، والله يؤيدهم بملائكته مدداً وبشرى لطمأنة القلوب بالفوز .

و . ثم فرَّ سُراقة وقومه فانخرق الصف وانهارت المعنويات وباشر المشركون بالهزيمة تباعاً .

ز . واستقرت الحال بهزيمة الكفار الاشرار مطموني الادبار زائغي الابصار ترهقهم ذلك العار ويُجلِّلهم الخسار ، وفي هزيمتهم قال الواحد القهار ﴿ حَتَّى إذا فَتَحنا عَليهم باباً ذا عذابٍ شَديدٍ إذا هُم فيه مُبلسُونَ ﴾ وقد فسرها ابن عباس ان المقصود هو القتل يوم بدر(٧٢) .

إذنْ فقد كرَّ الكُفّار كَرَّةً واحدة وفروا فرَّةً واحدة ولم يستخدموا أسلوب الكرّ الذي قد يكون فردياً أو جماعياً على التتابع أو بالقَدمَة ، والفَرّ الذي قد يكون فرَّ استطراد أوفرَّ استعداد أوفرَّ ابتماد أوفرَّ إمداد أوفرَّ ارتداد مضمون أي انسحاباً مسيطراً عليه . وتلك اصطلاحات اصطنعها أهل العلوم المختلفة للدلالة على معانيهم بالفاظ نقلوها من معانيها المعروفة ، وصاروا يطلقونها على ما استنبطوه من معانٍ وما وقفوا عليه من حقائق . والمصطلح كلمة لها معنى لغوي يفهمه الناس عامة ومعنى آخر يفهمه أهل ذلك العلم فحسب ، الذي استعملت فيه الكلمة .(٧٣)

الخلاصة

٤٥ . نخلص من تدبر جماع التدوينات حسب ما توفر منها من معلومات ، وللكاتب اعتزاز ببضاعة متواضعة يحتجنها من حب التراث العربي الاسلامي ، والتخصص بالعلم العسكري وفن الحرب مع الشغف الاثير بالفن الحربي في القرآن المنير مقارناً بالمعطيات المعاصرة ذات العلاقة الصميمة ، من كل أولئك نخلص الى الموجز الآتي الذي نرجحه ونميل اليه في ما جريات هذا الموضوع :

آ . الصف القتالي معروف عند امم الأرض عبر التاريخ كما هو معروف عند عرب الجاهلية ولم يبتكره الرسول ﴿ ﷺ ﴾ في غزوة بدر الكبرى . انَّ قريشاً نفسها صافّت المسلمين في هذه الغزوة . وعليه فانّ من تابع اللواء الركن محمود شيت في إقرار ابتكار الصف في بدر ممن جاء بعده من المؤلفين قد اخطأ في الاخذ عنه قرار الابتكار . أمّا استاذي الشيخ اللواء الركن محمود شيت نفسه ، الذي قدَّم لكتابه (الرسول القائد) بانه وضعه بعد أن قرأ كثيراً من المؤلفات العسكرية الباحثة في تاريخ حرب القادة العظام ، فضلاً عن تآليفه كتاب (الحيل الحربية) وكتاب (الروم في أرض الشام وليبيا ومصر) وكتاب (الهند قبل الفتح الاسلامي) وكتاب (المصطلحات العسكرية في الادب الجاهلي) ، وغيرها كثير فلا يخفى عليه ذلك . واكبر الظن أن استاذي الفاضل اراد أنّ اسلوب قتال المسلمين الذين انتظموا صفوفاً متراصة وقاتلوا بالطريقة التي شرحها عاصم بن ثابت ، أي باستغلال خواص الاسلحة ومدياتها وحسن معالجة الاهداف هي الطريقة المبتكرة التي باغتوا بها المشركين لعدم ممارستهم لها في القتال الجمعي والزحف من طرف واحد وثبات الطرف الثاني لامتصاص الهجمة الشرسة . ولعلّ ذاك كان النهج الذي وعاه والغرض الذي رماه ومقصده الذي نحاه ممّا خفي فحواه على بعض من تابعه من الكُتّاب والله اعلم بالصواب . ولا ضَرَرَ مِنْ كَلَفِ القَمَر ، وسُودُ الخيلان أطاريفُ خدود الحِسان . اما المبارزة الفردية واستخدام اسلحة البطل المودي المدجج فمعروفة لديهم كما قرأناها في قصيدة الشاعر الجون النمري ومَثَّل لها عاصم على انفراد .

ب . كتب اغلب من أخذ شيئاً من نصوصه المتقدم ذكرها عن كتاب (الرسول القائد) أنَّ اصطفاف المسلمين في بدر كان استناداً الى آية الصف ﴿ إنَّ الله يُحبّ الذين يُقاتلون في سبيله صفاً كأنّهم بنيان مرصوص ﴾ وهذا جَنَفٌ في الاسناد وسَلخٌ للدبِّ قبل الاصطياد لانّ سورة الصف بكاملها نزلت بعد غزوة بدر بمدة ليست بالقصيرة . إن هذه الآية تُوجِّهُ الصورة لما حدث في بدر وما بعد بدر أي انها شاملة لها ولغيرها ولكن لم تنزل بسببها أو لمناسبتها لانها بيان وتبيان لما يرضي الله في أي زمان ومكان ، وامثلتها كثيرة في القرآن حيث العبرة بعموم اللفظ لا بخصوصية السبب ولا بتحديد المناسبة . فمثلاً آية الهجرة ﴿ إلّا تَنصُروهُ فَقَدْ نَصَرَهُ الله إذْ أخرجهُ الذين كَفروا ثاني أثنين إذ هُما في الغارِ ، إذ يقول لِصاحِبِهِ لا تحزن إن الله معنا ... ﴾ نزلت بعد الهجرة بتسع سنين استرجاعاً لعبر لا تمحوها الايام وليس وَصفاً آنياً للهجرة(٧٤) وكذلك هي سورة قريش ﴿ لايلافِ قُريش ﴾ إيلافهم رِحَلة الشّتاء والصّيفِ ﴾ فَليعبُدوا رَبَّ هذا البيتِ ﴾ الّذي أطعمهم مِن جُوع وآمنهم مِنْ خَوفٍ ﴾ نزلت لاظهار العبرة والدرس المستفاد من أنَّ الاقتصاد المتين (مُبيد الجوع) والامن القومي (مبدد الخوف والجزوع) هما مبدأان أساسيان من المباديء التي ينبغي للأمة الكريمة العزيزة الحرص عليهما حاضراً ومستقبلاً كما أنعم الله

بهما على قريش في الماضي . ومن هذا القبيل قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولّوهم الادبار ... ﴾ أي في حال زحفهم باتجاهكم ، وغالباً لا يزحفون إلا وهم اكثر نفيراً . نزلت هذه الآية في سياقها مع أخريات في سورة الانفال بعد تحقق النصر في بدر وعند توزيع الغنائم والانفال ، ولكنّها سارية المفعول للتطبيق أبداً .

إنّ استاذي الشيخ اللواء الركن خطاب لم يقل أنّ آية الصف نزلت في بدر زماناً ومكاناً ، بل ذكرها تحت عنوان عام ــ تعميماً لا تخصيصاً ــ هو (تنظيم القتال في الاسلام) . وقد غابت هذه الملحوظة عن خاطر من جعل القتال في غزوة بدر استناداً اليها .

جـ . كذلك غامت الصورة في أعين من خصص حديث الرسول ﴿ ﷺ ﴾ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص . » بما جريات الحرب وكفى . فالحديث ذكره البخاري في صحيحه مرتين . مرةً في كتاب الصلاة واخرى في كتاب الادب في باب تشبيك الاصابع في المسجد وغيره . قال ابو موسى قال رسول الله ﴿ ﷺ ﴾ : « المُؤمنُ للمُؤمنِ كالبنيانِ المرصوصِ يَشُدُّ بَعضهُ بَعضاً . » ثم شبك بين أصابعه ، وكان النبي ﴿ ﷺ ﴾ جالساً ....[75] فالظرف عام يتسع لغيره ، والحرب فيه ولا خصوصية لها به .

ء . كان ابو سفيان صخر بن حرب صاحب لوآء الحرب في قريش . فلمّا تغيّب مع القافلة التجارية ودعت الضرورة الى القتال في اثناء غيابه ، تَسلَّم القيادة أبوجهل ،[76] فكان تُرسَ الآلة ولولب الحركة ومحور الغطرسة وصاحب القرار المُطاع في وجوب القتال وحضور المَصاع . أمّا القادة الأدنَونَ فللاستشارة والسماع ولا رأي لمن لا يطاع . إنّ السيطرة لم تخرج من يد أبي جهل عمرو بن هشام حتى قُتل وفرّ المشركون الى مكة عزين متفرقين فُرادىً وثُنىً وثُبَات .

هـ . وتاسيساً للنتائج على المقدمات لم يظهر في غزوة بدر مفهوم العمق والاحتياط كما هو عليه في الحرب المعاصرة وكما ذكره خطاب في غضون الكتاب في الصفحة الثلاثين ، وارجِّح هذه الحقيقة التي جاءت ضمن نقدات العميد الركن سيف الدين سعيد ، ولكن يمكن القول أنه كان هناك تعاون يجعل المسلم أخاً للمسلم لا يَخذُلُه ولا يُسلِمُهُ ، ويكون احتياطاً له ومعيناً في الموقف الحرج . وقد لَمَسنا هذا عندما تعاون حمزة وعلي رضي الله عنهما على قتل شيبة انقاذاً لثالثهما عبيدة بن الحارث . وحادثة اخرى في المعركة ذاتها عند قتل أبي جهل زعيم الطغاة الشّداد ورأس الشرك وحيّة بطن الوادي ، فقد حمل معاذ بن عمرو بن الجموح على أبي جهل فاطار قدمه الى نصف ساقه ، فضرب عكرمة بن ابي جهل معاذاً على عاتقه فطرح يده .

ثم تَوَلّى معوّذ بن عفراء أبا جهل وهو عقير ، فضربه حتى أثبتهُ وتركه وبه رمق . وقاتل معوّذ حتى قُتل . فتلَّتَ عبد الله بن مسعود واحتزّ رأس أبي جَهل[77] . ولعلّ هذا احد أوجه المصطلح المعروف في عصرنا بـ (روح التعاون Espritdecorps) .

و . أفاد العميد عبد الرزاق محمد اسود والعميد الركن سيف الدين سعيد في ما قدمنا من نصوص كتابيهما ، وهما من ضباط صنف خيالة الجيش العراقي في مطلع الاربعينيّات ويثويان في الحكم الى معرفة ميدانية وافية ، أنّ الخيل تخشى النبل اكثر من خشيتها من الرماح . وكذا رَسَمَ ابو العلاء صورة الطرف الذي صار كالقنفذ ممّا علق به من نبل . وكذا رسم المتنبي رَميَ ممدوحِهِ نواصي الخيل بالنشاب والنبل .

وعليه فالرأي القائل بوجود (الرّماحة) في الصف الامامي من صفوف المسلمين في بدر رأي مرجوح لا راجح لان وضع رماة النبل (القوّاسة) خلف الرّماحة يعيقهم ويحدد عدد الاسهم التي بالامكان رميها على مئة أو سبعين خيالًا متقدماً اليهم ضمن مسافة زهاؤها (٢٠٠) مئتي ذراع ، علماً أنّ عدد القوّاسة قليل نسبياً لان المسلمين خرجوا من المدينة على عجلة من أمرهم .

كما بات من المعلوم أن الرماحة في أُحُد جَمَعَهُم الرسول ﴿ ﷺ ﴾ على مرتفع (عينين) لحاكمية المكان[78] واكبر الظنّ أنّ الذين قالوا بوضع الرماحة امام القواسة أخذوه بداية عن الطرطوشي (ت ٥٢٠ هـ) من قوله في صفة ترتيب الجيش عند اللقاء في الاندلس : « أحسن ترتيب رأيناه في بلادنا أنْ نُقدّم الرجّالة بالدرق الكاملة والرماح الطوال والمزاريق المسنونة النافذة فيصفّوا صفوفهم ورماحهم خلف ظهورهم وهم جاثمون في الارض وقد ألقموها رُكَبَ أرجلهم اليسرى وخلفهم رماة السهام المختارون . والخيل خلف الرماة ... »[79] . إنّ هذا ترتيب أملته طبيعة أرض الاندلس وهو جائز وما كلُّ جائزٍ حَسَنٌ في الصحراء .

ز . للعلاقة الوثيقة بين الصف والزحف بات لزاماً بيان شيء عن الزحف أسوة بما بيّنا عن الصف لئلا نهدر معاني الالفاظ ونهدم مباني الكلام ونخلط خصائص المفردات ونجعلها مترادفات وهي ليست كذلك .

جاء في لسان العرب . مادة (زحف) :

زَحَفَ : مَشَىٰ ● زَحَفَ الدَّبىٰ : مضى قُدُماً .

الزحف : مَشيُ الفئتين تلتقيان للقتال فيمشي كلٌ فيه مشياً رويداً الى الفئة الاخرى قبل التداني للضراب والزحف ــ أيضاً ــ : الجماعة يزحفون الى العدوّ بمرّة .

والزِّحاف في الشعر، سقوط حرف بين حرفين فيزحَف احدهما على الآخر، وسُمّي زحافاً لثقله.

ولعل الزحف المُتمهّل الذي شبّهه (صن تزو) بعَظمَة الغابة على هذا الاساس من الثقل.

والكتيبة التي لا تقدر على السير الّا رويداً من كثرتها تسمى الكتيبة الجَرّارة فاذ اجتمعت سُمّيت بالكتيبة المُلَملمة والملمومة[٨٠] وهذه التسمية بسبب ثقل الحركة وبطاءة السير ورُويد الزّحف.

والتّكتيب والتكتُّبُ من ممارسات الجاهلية. قال مالك بن نويرة:[٨١]

فقال الرئيسُ الحَوفزانُ تَكَتّبوا
بني الحُصنِ قد شارفتمُ ثم جَرّدوا
فما فَتِئوا حتى رأونا كأنّنا
مِنَ الصُّبحِ آذيٌّ مِن البَحرِ مُزبدُ
بَملمومةٍ شهباءَ بَبرقُ خَالُها
تَرى الشمسَ فيها حين دارتْ تَوقّدُ

ويذكر بشار بن بُرد الزحف فيحسن الوصف:

وجَيشٍ كجنحِ اللّيلِ يَزحَفُ بالحَصَى
وبالشّوكِ والخَطّيّ حُمراً ثَعالبُهْ

فالجيش الموصوف بالحصى يَصعُبُ عَدُّهُ ويَرحُبُ حَدُّهُ لكثرته. وبالشّوك لوفرة أسلحته ذات الشوكة وتنوّعها. وافرد الرماح الخطيّة لجودتها. واراد بالثعالب الحمر نهايات الاسلحة الدامية لغزارة دماء الاعداء التي أريقت عليها. وهذا الجيش اسود سواد الليل من كثرة الحديد الذي يحمله المقاتل أو يلبسه. وخَصّ جنح الليل رمزاً للتناسق والتلاحك والكثافة كقوادم الطير وخوافيه.

ح. كلّ ذلك يقودنا الى التمييز بين الصف والزحف في الوصف ونوع الزّصف. وهذه محاولة هادفة لعرض مَعنييهما على نحو يُبرئهما من تشوه الصورة ويُمهد ما يحفّ بهما من وعورة.

فالصف إنتظام وترتيب. والزحف إنضمام ودبيب. فالانضمام والدبيب يشملان التكتّل والتجحفل والقَدَمة مع الحركة المُتشقة قُدُماً. أمّا الانتظام والترتيب فيشملان الصف والرتل والنَسق والمسطر والخط والكردوس. وللكردوس معنى يختص بالقطعة العظيمة من الخيل، ويعمُّ غيرها من الكتائب المتجمعة للحرب، ومن المحتمل أن يكون مُعرباً عن (Cohors / Cohortes)[٨٢] وقد جاءت لفظة كراديس في شعر الأعشى الكبير الجاهلي:

متى أدعُ منهم ناصري يـاتِ منهُمُ
كـراديسُ مَامـونٌ عَليّ خُـذُولُهـا

أي ان دعوتهم يوماً لنصري أتتني منهم الكتائب والخيول مامونة الخذول فلا خذلان أبداً وقال ابو تمام الطائي:

حَربٌ يكون الجيشُ بعضَ صَبـوحِها
ويكـونُ فَضـلُ غَبـوقِها الكُـرْدوسا
غُـرمُ أمـريءٍ من روحِـهِ فيهـا إذا
ذو السِّلم أُغـرِمَ مَطعماً ولَبـوُسا
كم بين قَـومٍ، إنّمـا نَفقـاتُهمْ
مـالٌ، وقَـومٍ يُنفقـونَ نُفُـوسا

ط. وللمعاصرينَ اتفاق وافتراق وانفراج وامتزاج في توجيه بعض معاني الكلمات الخاصة بموضوع البحث توجيهاً نسمه صُراحاً أو اصطلاحاً، وكلها تدور في فلك واحد في أحد مقاصدها.

فمن المقاصد المنتزعة من لسان العرب لابن منظور في النسق أنّ النسق من كل شيء ما كان على طريقه نظام واحد ● وثَغْرٌ نَسَقٌ: اذا كانت اسنانه متساوية ● والتنسيق: التنظيم ● والنسق: كواكب مصطنعة خلف الثريا ● ويقال: رأيتُ نسقاً من الرجال، أي بعضها الى جنب بعض. ومن مقاصده في الرَّتل أنّ الرَّتلَ حين تناسق الشيء. وثَغر رَتَلٌ: حَسَنُ تنضيد الاسنان. وقد استحدثوا معنى آخر للرّتل ـ وقد سَكّنوا التاء فيه ـ ذكره المعجم الوسيط وهو: جماعة من الخيل أو السيارات أو الجند يتبع بعضه بعضاً.

٤٦. قد كان للترجمة شان مماثل فيما نَهِينا اليه من توجيه المعاني. فمن مقاصد كلمة (line) الانكليزية كما حدده المعجم العسكري المُوحد، والمورد للبعلبكي، هو الصف والنسق والخط والنظام والاسلوب. وكلمة (Row) تفيد الصف والنسق والخط أيضاً. ومن مقاصد كلمة (rank) هو الصف والنسق والنظام والرتبة والترتيب. وتعني كلمة (File) الصف والرتل والطابور. ومن معاني كلمة (queue) الصف والرتل والطابور أيضاً. ومن مقاصد كلمة (Column) الرتل والطابور و « القَول ». ونكرر ما تفيده الكلمة اليونانية (koortis) من شمول الكتلة والكردوس والكتيبة والقطعة العسكرية المنتظمة والطائفة من الخيل.

والكلمات التركية ذوات الصلة بالموضوع هي (alay) تفيد الحشد واللواء « والطاقم » والكتيبة والجمع الغفير. وتعني كلمة (bölük) الكتيبة والسرية والزمرة. وتفيد كلمة (Orta)

« أورطة » الفوج والكتيبة . وان كلمة (Ordu) تعني الجيش الميداني ، كالفيلق والفرقة .[٨٣] والفرق بين أغلب هذه الاسماء ــ لا سيّما الصف والخط والنسق والرتل ــ فرق بسيط مضمر لا يتعدىٰ الشكل والتعداد وتنطبق عليها قاعدة : « اذا اجتمعا افترقا واذا افترقا اجتمعا » ولنضرب لها مثلًا اليوم والليلة فاذا قلنا : مكثنا ثلاث ليالٍ ، فالليلة (٢٤) ساعة بليلها ونهارها . واذا قلنا : مكثنا ثلاثة أيام فاليوم (٢٤) بليله ونهاره . أمّا اذا قلنا : مكثنا ثلاث ليال واربعة أيام فالليلة (١٢) ساعة واليوم (١٢) ساعة .

قال تعالى « سَخَّرها عَلَيهم سَبعَ لَيالٍ وثَمانيةَ أيّامٍ حُسُوماً ــ » فعندما افترق اليوم أو الليلة عن بعضهما اجتمع المعنى (٢٤) ساعة وعندما اجتمعا معاً افترق المعنى فصار (١٢) ساعة لكل منهما .

وكذا اذا ذكرنا الصف لذاته تَضَمَّنَ الكردوس والعكس صحيح ملموس ، واذا اجتمع الصف والكردوس تخصص كل منهما بشكله وعدده . وهكذا الرتل والنسق . والفوج والكتيبة والجيش والخميس .

القتال وواقع الحال

٤٧ . تطرح ثمالة المقال شرحاً مقتبساً ذا صلة بموضوع القتال والمعاصرة ويستمد منهجيته من حديث الرسول ﴿ ﷺ ﴾ : « أنتمْ أعلَم بامور دُنياكم » . أي أنّ شؤون الدنيا تتبع اجتهاد البشر مؤمنهم وكافرهم . وأنّ الانبياء لم يُبعثوا ليعلّموا الناس الحِرَف وفنون الصناعات والزراعة والهندسة والطب . إنّ صميم رسالاتهم هو شرح العقائد والعبادات والاخلاق وتزكية النفس والمجتمع وبث التعاليم التي تحكم الصلات بين الناس وربّهم ، وبينهم وبين بعضهم ، وتُعِدُّهم للعودة الى الله اتقياء بررة . فالجهاد مثلًا واجب ، لكن أدوات الجهاد واساليبه ليس لها قالب مُعيَّن تُصَبُّ فيه . فاذا تغيرت الوسائل من السيف والرمح الى المدفع والصاروخ ، تَغيَّرتْ معها الاحكام القديمة وتحوّل رباط الخيل الى انشاء المطارات والحصون الحديثة والى انشاء معاهد العلوم الذرية والكيميائية والاحيائية وتجنيد الفضاء وتقانة اللِّيزر وثورية المعلومات .. الخ .

قديماً كان المقاتل يشتري سلاحه من ماله الخاص ويتعهد صيانته ويتدرب عليه تباعاً . فاذا سمع نداءً أو هيعةً خرج راجلًا أو مع فرسه الذي ارتبطه في سبيل الله . فاذا أُستُشهِدَ خَلَّفَ أيامىٰ ويَتامىٰ . واذا جرح تحمَّل مداواة نفسه ! ونظام الغنائم ــ هنا ــ لابدَّ منه بل هو العدالة المفروضة .

أمّا اليوم فقد تغيرت الحال فالدولة تجنِّد الافراد وتعدُّهم وكامل احتياجاتهم للقتال ... الخ[٨٤] .

إنّ تعبية الرسول ﴿ ﷺ ﴾ جيشه في معاركه هي سُنّة استهدفت المصلحة التي هي النصر . فاذا اقتضت المصلحةُ التغيير اليوم أو غداً غيَّرنا فيها لانها سُنّة غير تشريعية وتتعلق بالمتغيِّرات الدنيوية ... الخ[٨٥] والامور الدنيوية المحض التي لا تنظِّم العلاقة بين الخالق والمخلوق ولا تنظِّم العلاقة بين الانسان وأخيه الانسان ، بل تُنظِّم اصول الزراعة والحِرف والمهن والتجارة وفن الحرب وما أشبه ذلك لا يلتزم بها المسلمون لا وجوباً ولا ندباً ، وما أشرق هدى الله لمثل هذا . بل هذا وامثاله متروك لما يخططه العقل البشري الذي زيَّن الله به الانسان ومَيَّزه به عن الكائنات الحية أجمع .[٨٦]

نَكتُ الكِنانة

٤٨ . يقيناً ، لم أقصد التصدِّي للصف القتالي البدري المدوَّن في كتاب (الرسول القائد) .لكنْ قراءتي نصوصاً نُقلت عنه بتصرف وتحرّف عفوي الجاتني الى كتابة هذا المقال . ويَدَتْ النقول كخالٍ جميلٍ على خدٍّ أسيل .

والله اسأل ينفعنا بما كتب استاذي محمود شيت خطاب العالم الجليل وما كتب من تطرقنا الى نتاجهم المعرفي الاصيل .

وأقول :

نَضَّـــرَ الله أخـاً أصغىٰ لقَـولي
وَوَعـــاهُ وَعيَ إنســـانٍ نَبيـــهْ
وأتـــاني حيثُ أخطـاتُ بنُصـحٍ
وهَـــداني لمكـــان اللَّبسِ فيـــهْ
وجَـــزاهُ الله عَنّي كُــلَّ خَيــرٍ
إنّمـــا المُـؤمِنُ مِـــرْآةُ أخيـــهْ

والحمد لله في البدء والختام والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير أنام وعلى آله واصحابه واتباعه الكرام .

جريدة المظان والتبيان

(٭) تيسُّر المعجم المفهرس لايات القرآن الكريم ، والمرشد اليها ، وتيسر المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي الشريف ، وما هو مطبوع من دواوين الشعراء ، سهَّل للقارىء الباحث الرجوع الى ما يريد من آي القرآن والاحاديث الصحاح والاشعار الواردة في متن المقال . فباتت الاشارة الى ذلك في المظان غير ملزمة الا ما أوجبتها خصوصية نادرة . كما أن الاشارة الى المصادر والمراجع المعتمد عليها تاتي تفصيلية عند ذكرها للمرة الاولى .

١ . محمود شيت خطاب ، اللواء الركن . الرسول القائد . ط ١ بغداد ١٩٥٨

ص ص ٨ ، ٣٠ ، ٧٣ ، ٧٨ ، ٨٤ .

٢ . الكتب ذوات الاقتباس واسماء مؤلفيها .

أ . محمد احمد باشميل . غزوة بدر الكبرى . طـ ٣ بيروت ١٩٦٦ ص ص ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ٢٦٨ .

ب . عبد الرؤوف عون . الفن الحربي في صدر الاسلام . طـ مصر ١٩٦١ ص ٢٢٨ .

جـ . احسان هندي . الحياة العسكرية عند العرب . طـ دمشق ١٩٦٤ ص ٢٤٩ .

د . محمد خالد ، العميد الركن . قصة التعبية . طـ ١ بغداد ١٩٦٩ ص ٤٧ .

هـ . ياسين سويد ، المقدم ، معارك خالد بن الوليد طـ بيروت ١٩٧٣ ص ٩٩ .

و . عماد الدين خليل ، الدكتور ، دراسة في السيرة طـ دار النفائس ١٩٧٤ ص ١٨٥ .

ز . عبد الجبار السامرائي ، الرائد . نظم التعبية عند العرب . مجلة المورد العراقية ، العدد الرابع ١٩٨٣ ص ٨ .

ح . محمود احمد عواد . الجيش والقتال في صدر الاسلام . طـ ١ الاردن ١٩٨٧ ص ٢٢٥ ، ص ٢٣٠ .

ط . نهاد الجبوري ، الرائد . العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين . طـ ١ بغداد ١٩٨٧ ص ٤٤ .

ي . وزارة الاعلام العراقية . الجيش والسلاح . طـ بغداد ١٩٨٧ ج ٢ ص ٨ .

ك . اكرم العمري ، الدكتور . السيرة النبوية الصحيحة طـ ٤ المدينة المنورة ١٩٩٢ ص ٣٦١ .

٣ . الكتب الملمّة بالموضوع واسماء مؤلفيها .

أ . نعمان ثابت ، الرئيس الركن . الجندية في الدولة العباسية طـ ٢ بغداد ١٩٥٦ ص ٢٣٣ ، ص ٢٣٤ .

ب . محمد جمال الدين محفوظ ، المقدم الركن . معارك الاسلام الاولى . طـ مصر لا تاريخ ص ٣٥ ، ص ٦٥ .

جـ . عبد الرزاق محمد أسود ، العميد . حياة الرسول المصطفى . طـ ١ بيروت ١٩٨١ ج ٢ ص ٤٢٣ .

د . كونستانس جورجيو . نظرة جديدة في سيرة رسول الله . مترجم . طـ ١ بيروت ١٩٨٣ ص ٢١٩ ، ص ٢٤٣ .

٤ . سيف الدين سعيد ، العميد الركن . الحركات العسكرية للرسول الاعظم في كفتي ميزان . طـ ١ بيروت ١٩٨٣ ص ص ٧٢ ، ٧٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ .

٥ . وزارة الثقافة والاعلام . الجيش والسلاح . ج ١ ص ٣١٦ ، ج ٢ ص ١٩ .

٦ . طه باقر . مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة . طـ ١ بغداد ١٩٧٣ ج ١ ص ٣١٦ ، ص ٣٤٩ .

٧ . الكتاب المقدس ، العهد العتيق طـ بيروت ١٩٨٨ سفر القضاة ، فصل ٢٠ فقرات ١٩ — ٢٣ .

٨ . قصة التعبية ص ٢١ .

٩ . يوسف خلف عبد الله . الجيش والسلاح في العهد الاشوري الحديث . طـ ١ بغداد ١٩٧٧ ص ص ١٠٤ ، ١٨٢ ، ١٨٣ .

١٠ . جرجي زيدان . تاريخ التمدن الاسلامي طـ مصر لا تاريخ ج ١ ص ١٥٨ .

١١ . قصة التعبية ص ٢٣ .

١٢ . صن تزو . فن الحرب . ترجمة حداد طـ ١ بيروت ١٩٧٥ ص ص ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٨ ، ١٢٠ .

١٣ . م . ن . ترجمة فاخر عبد الرزاق . مجلة الثقافة الاجنبية العدد الاول السنة ٧ بغداد ١٩٨٧ ص ص ٢٢٣ ، ٢٢٩ ، ٢٣٩ .

١٤ . م . ن ترجمة كنعان خورشيد العميد الركن ، ضمن كتاب جذور السَوْق طـ ١ بغداد ١٩٨٧ ص ٢٤ .

١٥ . جورج كاستلان . تاريخ الجيوش طـ ١ مصر ١٩٥٦ مترجم . ص ٢٢ .

١٦ . قصة التعبية ص ٢٥ .

١٧ . م . ن ص ٢٦ . العرّادون هم رُماةُ العرّادات . والعرّادة (Catapulta) آلة أصغر من المنجنيق لقذف الحجارة .

١٨ . م . ن ص ٢٧ .

١٩ . اميل درمنغم . حياة محمد . ترجمة عادل زعيتر طـ ٢ مصر ١٩٤٩ ص ١٢٧ . ثم هـ . ج . ويلز موجز تاريخ العالم ترجمة عبد العزيز جاويد طـ مصر ١٩٥٨ ص ١٩٥ .

٢٠ . محمد كرد علي . رسائل البلغاء طـ ٣ مصر ١٩٤٦ ص ٢٧٦ .

٢١ . زهير احمد القيسي . موقع الشطرنج في التراث الشعري العربي . مجلة العربي العدد ٢٢١ نيسان ١٩٧٧ ص ٩٧ .

٢٢ . ابن خلدون . المقدمة . طـ مصر ص ص ٢٧١ — ٢٧٣ .

٢٣ . الجيش والقتال في صدر الاسلام . ص ٢٢٤ التعبية في القتال .

٢٤ . الفن الحربي في صدر الاسلام . ص ٥٣ .

٢٥ . ابو الفضل ابراهيم وآخرون . ايام العرب في الجاهلية طـ مصر لا تاريخ ص ٥١ .

٢٦ . المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٥ ص ٣٠٠ .

٢٧ . م . ن ص ٤١٩ .

٢٨ . م . ن ص ٤٢١ .

٢٩ . م . ن ص ص ٤٠٠ ، ٤٤٢ ، ٤١٠ ، ٤١٢ ، ٤١٦ .

٣٠ . م . ن ص ٤٤١ ، ص ٤٤٠ .

٣١ . م . ن ص ص ٤٤٢ ، ٣٩٤ ، ٤٤٦ .

٣٢ . علي الجارم واخرون . البلاغة الواضحة . طـ مصر لا تاريخ ص ١٦٢ .

٣٣ . الواقدي . المغازي . طـ بيروت لا تاريخ . محققة ج ١ ص ٢١٤ . ثم محمد لطفي جمعة . ثورة الاسلام وبطل الانبياء . طـ مصر ١٩٥٩ ص ٩٤٣ .

٣٤ . المظفر العلوي . نضرة الاغريض طـ دمشق ١٩٧٦ ص ١٨٧ .

٣٥ . م . ن ص ١١٣ .

٣٦ . عبد المعين الملوحي . المنصفات . طـ دمشق ١٩٦٧ ص ٤٤ .

٣٧ . نضرة الاغريض . ص ١٣٨ .

٣٨ . ابن سيدة . المخصص . طـ بيروت لا تاريخ . السفر السادس ، ابواب القتال ص ٨١ ، ص ٨٣ .

٣٩ . ابن قتيبة . الشعر والشعراء طـ ٣ مصر ١٩٧٧ ج ١ ص ٣٢٧ .

٤٠ . الجاحظ . البيان والتبيين . طـ ٢ مصر ١٩٦٠ ج ٣ ص ٢٥ .

٤١ . ابن الجوزي . اخبار الحمقى والمغفلين طـ بغداد ١٩٦٦ ص ٢٣٢ .

٤٢ . توفيق الفكيكي . ادب الفتوة والدعاية العسكرية عند العرب طـ النجف

١٩٤١ ص ٣١ .
٤٣ . محمود شكري الآلوسي . بلوغ الأرب في معرفة احوال العرب . طـ ٢ مصر ١٣٤٢ هـ ج ٣ ص ٤ ، ص ٥ .
٤٤ . أيام العرب في الجاهلية . ص ٣٠ .
٤٥ . ابو عبيدة معمّر بن المثنى . النقائض ، نقائض جرير والفرزدق طـ ليدن ١٩٠٧ ج ٢ ص ٦٤٣ . باختلاف يسير . ٤٦ . عبد الجبار السامرائي ، العميد . الاسهامات الجهادية للمرأة العربية ــ مجلة المورد العراقية العدد الاول سنة ١٩٩٩ ص ٤٣ .
٤٧ . ابن قتيبة . عيون الاخبار . طـ مصر ١٩٦٤ كتاب الحرب المجلد الاول ص ١٣١ .
٤٨ . ابن مماتي . الفاشوش في حكم قراقوش . طـ مصر لا تاريخ ص ١٧٠ .
٤٩ . احمد محرّم . ديوان مجد الاسلام . طـ مصر ١٣٨٣ هـ ص ٣٦٦ .
٥٠ . المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام . ج ٥ ص ٤٢٧ .
٥١ . ابن هشام . السيرة النبوية . محققة . طـ ٢ مصر ١٩٥٥ ق ٢ ص ٦٦ . ثم ابن القيم . زاد المعاد طـ مصر ١٩٧٠ ج ٢ ص ١٠٣ .
٥٢ . الحياة العسكرية عند العرب . ص ٣٠٥ .
٥٣ . علي بن عدلان الموصلي . التبيان شرح الديوان . طـ مصر ١٩٥٦ ج ٢ ص ٢٩٣ . الشرح منسوب غلطاً لابي البقاء العكبري .
٥٤ . الثعالبي . المتشابه . مجلة كلية الاداب العراقية العدد العاشر سنة ١٩٦٧ ص ١٦ ، ص ٢٦ .
٥٥ . احمد عبيد الكبيسي ، الدكتور . المرأة والسياسة في صدر الاسلام . طـ ١ أبو ظبي ١٩٨٠ . ثم ياقوت الحموي . معجم البلدان . طـ بيروت ١٩٥٧ ج ٤ ص ٢٤٢ .
٥٦ . ابن منظور . لسان العرب . مادة (كيل) . ثم أسامة بن منقذ . لباب الاداب . طـ مصر ١٩٣٥ . محققة . ص ١٧٧ . وقد سُكِّنَ الباء في (أضْرِبْ) المفتوحة الهمزة لتوالي الحركات .
٥٧ . البلاغة الواضحة . ص ٢٢٣ .
٥٨ . ابن حنبل . مسند الامام احمد . طـ بيروت لا تاريخ ج ١ ص ١١١ ، ص ٢٩٧ .
٥٩ . ابن هشام . السيرة النبوية . ق ١ ص ٦٢٥ .
٦٠ . مغازي الواقدي . ج ١ ص ٩٢ .
٦١ . احمد زيني دحلان . السيرة النبوية طـ ١ بيروت ج ١ ص ٣٩١ . مطبوعة على حاشية السيرة الحلبية .
٦٢ . الحلبي علي بن برهان الدين . السيرة الحلبية طـ بيروت لا تاريخ ج ٢ ص ١٦٤ .
٦٣ . الرصافي . معروف . الشخصية المحمدية . مخطوط ج ، ص ٤٠٠ .
٦٤ . للتوسع تراجع زبدة التفاسير ، وصفوة البيان لمعاني القرآن ، وتفسير الجلالين . وغيرها .
٦٥ . لسان العرب . مادة (قدم) و (ورد) .
٦٦ . الاصفهاني ، محمد بن داود . الزهرة . طـ بغداد ١٩٧٥ محقق . ج ٢ ص ٢٢٥ .
٦٧ . للمقارنة والتوسع ينظر كتاب مختصر سياسة الحروب للهرثمي طـ مصر ١٩٦٤ . محقق . الباب ١٧ . ص ٢٤ . ثم كتاب تاريخ فن الحرب للجنرال ستراكوف طـ ١ دمشق ١٩٦٨ . مترجم . ج ١ ص ١١٧ .
٦٨ . ابن هذيل الاندلسي . عين الادب والسياسة وزين الحسب والرياسة طـ بيروت ١٩٨١ ص ٣٠١ عن الحسن بن السائب . ثم ديوان مجد الاسلام هامش ص ١٨٦ .
٦٩ . ذكر الراغب الاصبهاني في كتابه (مفردات غريب القرآن) مادة (نزل) أن التنزيل يختص بالموضع الذي يشير اليه انزاله مُفرّقاً ومرة بعد اخرى ، والانزال عام ، وذكر ابن منظور في مادة (نزل) مثل هذا واضاف رأياً لابي الحسن مفاده ألا فرق بينهما في مهلة أو جملة .
٧٠ . ابن هشام . السيرة النبوية . ق ١ . ص ٦٢٦ . ثم صحيح البخاري ، مغازي / ٩٩ . ثم مغازي الواقدي ج ١ ص ٦٧ . ثم الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الطبري طـ ٢ مصر ١٩٦٨ ج ٢ ص ٤٤٦ ثم السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٦٠ .
٧١ . مغازي الواقدي . ج ١ ص ٦٨ ، ص ٦٩ .
٧٢ . السيوطي . تفسير الجلالين . الطبرسي . مجمع البيان .
٧٣ . جميل سعيد ، الدكتور . دروس في البلاغة وتطورها نقلاً عن مجلة المورد العدد (٢) سنة ١٩٩٧ ص ٧٨ .
٧٤ . محمد الغزالي . علل وادوية . طـ ٢ دمشق ١٩٦٦ ص ١٦٨ .
٧٥ . صحيح البخاري . صلاة / ٨٨ ، أدب / ٣٦ .
٧٦ . مغازي الواقدي . ج ١ ص ٣٩ ثم دحلان . السيرة النبوية ج ١ ص ٣٦٨ .
٧٧ . ابن هشام . السيرة النبوية . ق ١ ص ٦٣٥ .
٧٨ . مغازي الواقدي ج ١ ص ٢١٩ .
٧٩ . الطرطوشي . سراج الملوك . طـ ١ مصر ١٩٣٥ ص ٣٣٧ .
٨٠ . الثعالبي . فقه اللغة . طـ بيروت ١٨٨٥ ص ٢٢٠ .
٨١ . ابن عبد ربّه الاندلسي . العقد الفريد . طـ مصر ١٩٦٥ ج ٥ ص ١٩٩ .
٨٢ . عبد الرحمن زكي ، العقيد . السلاح في الاسلام . طـ مصر ١٩٥١ حرف الكاف .
٨٣ . ابراهيم الداقوقي ، الدكتور ، وآخرون . المعجم التركي العربي طـ بغداد ١٩٨١ صفحات شتى .
٨٤ . محمد الغزالي ، السيرة النبوية بين اهل الفقه واهل الحديث طـ ٤ ١٩٨٩ ص ١٣٢ .
٨٥ . محمد عمارة ، الدكتور . الاسلام وحقوق الانسان طـ عالم المعرفة الكويت ١٩٨٥ ص ١١٩ .
٨٦ . خالد رشيد الجميلي ، الدكتور المدخل في دراسة الشريعة الاسلامية والقانون طـ بغداد ١٩٨٩ ص ١٢٧ .

المبرد والقراءات القرآنية

د. علي ناصر غالب
جامعة بغداد / كلية التربية

بذل النحويون الاوائل جهداً كبيراً في أثناء وضعهم قواعد النحو العربي . فقد شرعوا في استقراء اللغة من مصادرها الأولى ؛ القرآن الكريم وقراءاته والشعر وكلام العرب الفصحاء والأمثال . وهم في استقرائهم كانوا يرومون الدقة والشمول لذلك ـ فالشاهد النحوي الذي يعتمدونه ما برحوا يتخذونه سنداً لاية قاعدة نحوية يستنبطونها وكلما كثرت الشواهد التي تسند هذه القاعدة أو تلك أضحت أكثر اطراداً لكونها شائعة ومألوفة في الاستعمال .

والقراءات القرآنية تعد مصدراً مهماً من مصادر النحويين وفي الوقت نفسه عدت خير معبر عن الواقع اللهجي السائد في الجزيرة العربية آنذاك ، فقد وردت طائفة من القراءات وفيها مظاهر لهجية تمثل لهجات قبائل تميم وقيس وأسد وهذيل وغيرها لذلك عني بها دارسو اللهجات واتخذوها مصدراً من مصادرهم . وقد رافقت القراءات القرآنية النحو العربي منذ نشاته فكان للنحويين القدماء أمثال عبد الله بن ابي اسحق الحضري وعيسى بن عمر وغيرهما اختيار خاص بالقراءة فضلاً عن أن أبا عمرو بن العلاء يعد أحد القراء السبعة وبعد أن ثبتت دعائم النحو العربي على يد الخليل وسيبويه كانت القراءات مصدراً مهماً من مصادر النحويين .

وقد تضاربت الآراء في موقف النحويين سواء أكانوا من البصريين أم الكوفيين من القراءات فمنهم من أنحى باللائمة على البصريين لكونهم طعنوا في القراءات ووصموا عدداً من القراء باللحن ومنهم من أثنى على الكوفيين لانهم لم يستبعدوا من منهجهم الاستشهاد بالقراءات وذلك ما سنتبينه من خلال البحث .

ومن اجل الدقة في البحث ولكونه لا يتسع ليشمل موقف النحاة جميعهم من القراءات ارتأيت ان اتخذ علماً بارزاً من أعلام مدرسة البصرة في النحو الا وهو ابو العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥ هـ) لكي اسبر موقفه من القراءات لذا عدت الى كتابيه المقتضب والكامل في اللغة والادب وجمعت القراءات التي وردت فيهما وما ذكره المبرد من تعليقات تشير الى موقفه من القراءات على اني لم اكتف بذلك بل عدت الى بعض المصادر التي ذكرت ان للمبرد موقفاً من هذه القراءة او تلك مما لم يرد في كتابيه اللذين عدت اليهما وكانا مصدري هذه الدراسة .

هذا ومن الله التوفيق ..

• التمهيد •

قبل الخوض في موقف المبرد من القراءات لابد من ذكر آراء بعض الدارسين الذين تعرضوا لموقف البصريين .

فقد ذهب محمد عبد الخالق عضيمة الى : ((أن الحملة على القراء برد قراءاتهم وتلحينهم استفتح بابها وحمل لواءها زعماء البصرة المتقدمون ثم تطاير شررها الى من بعدهم فشاركوا فيها))[١] .

ونحا الدكتور عبد العال سالم مكرم الى أن البصريين : ((كانوا لا يحتجون بالقراءات الا في القليل النادر الذي يتفق مع أصولهم ويتناسق مع مقاييسهم))[٢] .

وذكر ايضاً إن البصريين قد استبعدوا من منهجهم الاستشهاد بالقراءات إلا اذا كان هناك شعر يسندها أو كلام عربي يؤيدها أو قياس يدعمها[٣] .

ووازن الدكتور مهدي المخزومي بين موقف البصريين وموقف الكوفيين وذكر ان ـ الكوفيين قبلوا القراءات واحتجوا بها واتخذوها شاهداً للكثير من أصولهم وأحكامهم وذلك يغاير موقف البصريين تماماً[٤] .

وذكرت الدكتورة خديجة الحديثي ان الخليل وسيبويه قد عُنيا بالقراءات ولم يخطئا قراءة بل نظرا الى القراءات نظرة احترام وتقديس لان القراءة سنة وينبغي الا تُخالف[٥] .

ومن يتتبع نشأة النحو العربي يتبين أن معظم النحويين

الاوائل كان لهم اهتمام خاص بالقراءات وكانوا يرجحون قراءة على أخرى الى ان نصل الى أبي عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة ففضلاً عن انه كان يرجح قراءة أو يفضلها على غيرها فقد لحن عدداً من القراءات على الرغم من ان بعضها كان لقراء معروفة مكانتهم كابن عامر مقرىء الشام ونافع بن ابي نعيم مقرىء المدينة[٦] . وهما من القراء السبعة .

وقبل البحث في موقف المبرد من القراءات ينبغي ان نطرح الأسئلة الاتية :

كيف يمكن تبرير رفض بعض البصريين لعدد من القراءات ؟ وهل قبل الكوفيون القراءات كلها ؟ ألم يشتركوا مع البصريين في رمي عدد من القراء بالوهم وعدم معرفة العربية ؟ ألا يمكن تفسير منهج البصريين بانه منهج يميل الى الحفاظ على اطراد القاعدة وطرح الشاذ حفاظاً على تقريب العربية لدارسيها من العرب وغيرهم ؟ .

وقبل الشروع في الجواب عن ذلك ينبغي أن نعرض موقف المبرد من القراءات لنتمكن من خلال ذلك من معرفة حقيقة موقف النحاة من القراءات بشكل واضح ودقيق[٧] .

• المبرد والقراءات •

عني المبرد بالقراءات القرآنية واتخذ منها شاهداً للكثير من القواعد النحوية لكنه لم يكن مَعنياً بعزو القراءات . فكثيراً ما يستعمل تعبيرات تدل على عنايته بالقراءة اكثر من عنايته بالقارىء الذي قرأها من ذلك قوله : ((وقد قرأ بعض القراء)) و ((فاما القراءة فعلى ضربين)) و ((على هذا قراءة من قرأ)) و ((وقراءة بعض الناس)) ...

لكنه عزا بعض القراءات لاصحابها فعزا قراءة للرسول ﴿ ﷺ ﴾[٨] والخليل[٩] والحسن البصري[١٠] وأبي عمرو بن العلاء[١١] وحمزة الزيات[١٢] ونافع بن أبي نعيم[١٣] ويعقوب بن اسحق الحضرمي[١٤] وعيسى بن عمر[١٥] وعبد الله بن عباس[١٦] وأبي رجاء العطاردي[١٧] ومحمد بن مروان[١٨] . وأغلب الظن أن المبرد كان يعنى بالقراءة وبخاصة تلك التي تخص الجانب النحوي ولم يكن راوياً للقراءات لذلك أغفل العديد من القراءات ولم ينسبها لاصحابها وهي معظم ما ورد في كتابيه من قراءات .

أما موقفه من القراءات فيمكن ان نصنفه في ثلاثة اتجاهات :

الاتجاه الاول : قبول القراءات

الاتجاه الثاني : ترجيح قراءة على أخرى

الاتجاه الثالث : رد القراءات والطعن فيها

١ ــ قبول القراءات :

وهو الاتجاه الغالب على موقف المبرد فهو يستشهد بالقراءة من غير ترجيح أو تغليط ويذكر اكثر من وجه في القراءة الواحدة ويعطي تفسيراً لكل وجه بما ينسجم وطبيعة تفكيره النحوي وساعرض طائفة من القراءات تبين موقفه هذا من ذلك مثلاً :

١ ــ قال المبرد : ((فاما القراءة فعلى ضربين : قرأ قوم (وقالت اليهودُ عزيزٌ ابنُ الله) ﴿ التوبة / ٣١ ﴾ لانه ابتداء وخبر فلا يكون في (عزير) الا التنوين ومن قرأ : ــ (عزيرُ ابن الله) فانما أراد خبر ابتداء كانهم قالوا : هو عزير ابن الله))[١٩] .

وقراءة التنوين هي قراءة عاصم والكسائي ويعقوب وقرأ الباقون بغير تنوين لكونه لا ينصرف للعجمة والتعريف أولًا لالتقاء الساكنين[٢٠] . وقد رجح الفراء قراءة التنوين[٢١] .

على حين ان المبرد يذكر القراءتين ويفسرهما على حد سواء ويعرض أوجه الاعراب التي تاثرت باختلاف القراءة .

٢ ــ وقال أيضاً : ((وهذه الاية تقرأ على الاوجه الثلاثة وذلك قوله : (في الظُلُمات والظُلَمات والظُلْمات)))[٢٢] ﴿ الانعام / ٣٩ ، ١٣٢ والانبياء / ٨٧)

وقراءة تسكين العين في (ظُلمات) في جميع القرآن قرأ بها الحسن البصري ويحيى بن وثاب وكذلك قراءة فتح العين[٢٣] . فالمبرد يذكر أوجه القراءة كلها على الرغم من شذوذ بعضها .

٣ ــ وجاء في المقتضب : ((وقال : (ياأهل يثرب لا مقام لنا) ﴿ الاحزاب / ١٣ ﴾ لانها من قمت موضع قيام ومن قرأ : (لا مُقام) إنما يريد لا إقامة))[٢٤] . فهو يقبل القراءتين من غير ترجيح والقراءتان سبعيتان فقراءة الضم لحفص أما الباقون فقرأوا ــ بالفتح[٢٥] . أما الفراء من الكوفيين فقد رجح قراءة (مقام) بفتح الميم وقال : ((والمَقام بفتح الميم أجود في العربية))[٢٦] .

٤ ــ وقال : « وقرأ بعضهم (بالغدوة والعشي) فادخل الالف واللام على(غدوة) من الاية : (يدعون ربهم بالغداة والعشي) (الكهف / ٣٨الانعام / ٥٢) فذكر القراءة[٢٧] من غير اعتراض عليها . لكن الفراء انكر هذه القراءة لان العرب لا تدخل الالف واللام على غدوة وأن العرب استعملوها نكرة .[٢٨]

وزعم الفراء أن قراءة (بالغدوة) هي قراءة أبي عبد الرحمن السلمي لكنها قراءة ابن عامر ايضاً[٢٩] . ويظهر أن هذه القراءة هي أثر لهجي تمال فيه الالف نحو الواو .

٥ــ وقال ايضاً : « فاما قراءة الحسن (صادِ والقرآن)

(ص / ١) فانه لم يجعلها حرفاً ولكنه فعلٌ إنما أراد : صاد بالقرآن عملَكَ وهذا تفسير الحسن أي عارض بالقرآن عملك من قولك صاديتُ الرجلَ اي عارضته[٣٠] . وتُنْسَبُ هذه القراءة لابن ابي اسحاق وأبيّ بن كعب ونصر بن عاصم[٣١] وعلى الرغم من أن هذه القراءة شاذة لكن المبرد يقبلها ويفسرها من غير أن يعترض عليها .

٦ ــ وقال ايضاً : « والاية تقرأ على وجهين : (قل إن ربيّ يقذفُ بالحقِّ علاّمُ الغيوب) ﴿ سبأ / ٤٨ ﴾ بالنصب والرفع)[٣٢] وقراءة الرفع هي قراءة جمهور القراء أما قراءة النصب فهي قراءة عيسى بن عمرو ابن ابي اسحق وزيد بن علي وهي من القراءات الشاذة[٣٣] وعلى الرغم من أن في القراءة اختلافاً نحوياً لكن المبرد لا يعترض أولا يرجح قراءة على أخرى ويذكر وجهي القراءة من غير تعليق .

وهنالك نماذج عدة تبين ان المبرد يستشهد بالقراءة باوجهها المختلفة معطياً تفسيره لكل وجه من غير تفضيل او طعن[٣٤] وذكر طائفة من القراءات التي تمثل بعض اللهجات العربية القديمة منها لهجة تميم وقيس وأسد وكلها تدخل في اتجاه قبول القراءة وتفسيرها لصالح القاعدة النحوية أو لتاييد استعمال لغوي .[٣٥]

٢ ــ الترجيح :

ــ رجح المبرد عدداً من القراءات لانها أقرب الى القياس او الى الاستعمال الفصيح او لانها لقيت قبولًا من سابقيه ونجد ذلك جلياً في موقفه من قراءة أبي عمرو بن العلاء (فقد جا أشراطها) (محمد / ١٨) فكان أبو عمرو يخفف الهمزة الاولى اذا اجتمعت همزتان في كلمتين ويحقق الهمزة الثانية أما اذا ابتدأ بهمزتين متجاورتين في كلمة والهمزة الاولى للاستفهام فكان يحقق الهمزة الاولى ويخفف الهمزة الثانية وعلى نهجه هذا جاءت قراءته (ألد وأنا عجوز) (هود / ٧٢) لكن الخليل بن أحمد كان يرى ان تخفف الهمزة الثانية على كل حال وذلك لان اللفظ يبتدىء بالهمزة الاولى وينبغي أن تحقق لذلك وقد رجّح المبرد رأي الخليل وقال : « وقول الخليل اقيس واكثر النحويين عليه »[٣٦] .

ــ وتعرض المبرد لقراءة ابي عمرو بن العلاء في مجال الادغام إذ مال الى ادغام لام (هل) و (بل) فيما بعدهما وقرأ : (بتُّؤثرون) في قوله تعالى : (بل تؤثرون) (الاعلى / ١٦) وقرأ ابو عمرو : (هثُّوِّبَ الكفّار) في قوله تعالى : (هل ثُوِّب الكفار) ﴿ المطففون / ٣٦ ﴾ وعزيت قراءة الادغام لحمزة الزيات والكسائي[٣٧] . فساوى المبرد أول الامر بين الادغام والاظهار ومال الى الإظهار فقال : « وهو عندي احسن لتراخي المخرجين » .[٣٨]

ــ وفي مجال الادغام أيضاً رجّح قراءة إظهار النون مع أصوات الحلق وذلك في أجود القراءتين على رأيه : (الا يعلمُ مَنْ خَلَق) ﴿ الملك / ١٤ ﴾ لانها تظهر النون عند مجاورتها للخاء وقد قرأ قالون بادغام النون مع الخاء والغين في جميع القرآن[٣٩] ولذلك قال المبرد : « وهذا عندي لا يجوز ولا يكون ابداً مع حروف الحلق الا الاظهار »[٤٠] وقال قبل ذلك : « إنما قلت أجود القراءتين لان قوماً يجيزون اخفاءها مع الخاء والغين خاصة لانهما اقرب حروف الحلق الى الفم »[٤١] . فهو يتردد في موقفه من هذه القراءة بين الترجيح والرفض .

ــ وفي باب الجزاء ذكر المبرد ان المعطوف على فعل الشرط ينبغي ان يكون مجزوماً وأجاز فيه الرفع على سبيل القطع وأجاز فيه النصب وإن كان قبيحاً[٤٢] واستشهد لذلك بقراءة : (يحاسبكم به الله فيغفرُ لمن يشاء) ﴿ البقرة / ٢٨٤ ﴾ وذكر انها قرئت على ثلاثة اضرب بالجزم والرفع والنصب . وعزيت قراءة الرفع في (فيغفر) الى ابن عامر وعاصم من السبعة أما باقي السبعة فقرأوا بالجزم وعزيت قراءة النصب الى ابن عباس والاعرج[٤٣] . فالمبرد يذكر أوجه القراءة المختلفة في الاية ثم يرجح اقربها الى القياس وأجودها في الاستعمال فَعَدَ قراءة الجزم أجودها ثم قراءة الرفع فالنصب[٤٤] .

ــ وذهب الى ان ياء المتكلم حينما تقع مضافاً اليها ينبغي ان تحذف في النداء ويجوز ان تثبت واستشهد لاثباتها بقراءة : (يا عبادي فأتقون) ﴿ الزمر / ١٦ ﴾ وهي قراءة رويس[٤٥] وعزا سيبويه هذه القراءة الى أبي عمرو بن العلاء وذكر أن : « بقيان الياء لغة في النداء في الوقف والوصل »[٤٦] . والمبرد لم يخطيء القراءة الثانية لكنه رجح القراءة بحذف الياء عليها .[٤٧]

ــ وعقب على ما جاء في مصحف ابن سعود : (وَدوا لو تُدهنُ فيدهنوا) ﴿ القلم / ٩) ــ بقوله : « والقراءة : (فيدهنون) على العطف وفي الكلام : ودّ لو تاتيه فتحدثُهُ فهو يرجح قراءة العطف على قراءة النصب مستعيناً بمثل من كلام العرب لكنه يعود ليجيز القراءة بالنصب فيقول : « وان شئت نصبت الثاني »[٤٨] .

٣ ــ ردّ القراءات والطعن فيها :

ــ رد المبرد قراءة سعيد بن جبير (وأنه تعالى جَدّاً ربُّنا) ﴿ الجن / ٣ ﴾ وذلك لكونها خالفت الرسم القرآني اذ ورد

في القرآن : (وانه تعالى جدُّ ربنا) فقال المبرد :

« قرأ قارىء (جداً ربنا) على معنى (جدّ ربنا) لم يقرأ به لتغير الخط وكذا قراءة سعيد مخالفة الخط »[٤٩] .

ــ وقرأ جمهور القراء برفع (آيات) من قوله تعالى : (واختلاف الليل والنهارِ وما أنزل الله من السماء من رزقٍ فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح آياتٌ لقوم يعقلون) (الجاثية / ٤) .

وقد قرأ الاعمش والجحدري وحمزة ويعقوب بالنصب[٥٠] . وعقب المبرد على قراءة النصب بقوله : « وقد قرأ بعض القراء وليس بجائز عندنا (واختلاف .... آياتٍ) فجعل (آيات) في موضع نصب وخفضها لتاء الجمع فحملها على (إنّ) وعطفها بالواو وعطف (اختلافاً) على (في) ولا ارى ذا في القرآن جائزاً لانه ليس بموضع ضرورة)[٥١] .

وسبب رفض المبرد قراءة النصب هو عدم جواز العطف على معمولي عاملين ذلك لان قراءة النصب تؤول على النحو الاتي : (وان في تصريف الرياح آيات لقوم يعقلون) فقد عطف على معمولي عاملين هما (انّ) وحرف الجر (في) وذلك مما يرفضه المبرد[٥٢] .

ــ ومما وصمه باللحن من القراءات متاثراً بآراء سابقيه قراءة : (هؤلاء بناتي هنّ أطهرَ لكم) (هود / ٨٧) بنصب (أطهر) فقال فيها : « أما قراءة اهل المدينة .... فهو لحن فاحش وانما هي قراءة ابن مروان ولم يكن له علم بالعربية »[٥٣] ولم تكن هذه قراءة محمد بن مروان فحسب لكنها قراءة الحسن البصري وزيد بن علي وعيسى بن عمر وسعيد بن جبير[٥٤] . ونقل أبو حيان ما رواه يونس بن حبيب عن أبي عمرو بن العلاء قوله : « احتبى ابن مروان في هذه في اللحن » وعزا أبو حيان تلحين القراءة الى سيبويه لكن الثابت ان سيبويه لم يلحن القراءة في كتابه[٥٥] .

وفضّل المبرد قراءة الرفع في (أطهر) لانها خبر للمبتدأ (هنّ) ولا يصح عنده ان تكون (هنّ) ضمير فعل وتنصب (أطهر) على سبيل الحال وهو في ذلك يحذو حذو الخليل وسيبويه والاخفش .[٥٦]

ــ وردّ المبرد قراءة اتفق عليها القراء السبعة وهي (أو جاء وكم حصرت صدورهم) (النساء / ٨٩) وقال يفسر هذه القراءة أول الامر : « وليس الأمر عندنا كما قالوا ولكن مخرجها ــ والله اعلم اذا قرئت كذا ــ الدعاء كما تقول : لعنوا قطعت ايديهم . وهو من الله ايجاب عليهم فاما القراءة الصحيحة فانما هي : (أو جاء وكم حصرةً صدورهم »[٥٧] وعزيت هذه القراءة ليعقوب من القراء العشرة[٥٨] . وتخريج المبرد للقراءة الاولى ثم عده القراءة الثانية هي الصحيحة جرأة منه للطعن في قراءة اتفق عليها .

ــ وردّ المبرد قراءة أبي عمرو واهل المدينة : (وانه اهلك عادا لؤلى (النجم / ٥٠) موصولة مدغمة وقال في ذلك : « ما علمت ان ابا عمرو لحن في صميم العربية في شيء من القرآن الا في : (يُؤدّهِ اليك) (آل عمران / ٧٥) وفي (وانه اهلك عاداً الاولى)[٥٩] ، على حين قرأ ابن كثير وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي (عاداً الاولى) منونة[٦٠] . وسبب رفض المبرد لهذه القراءة يعود الى عدم جواز ادغام التنوين في اللام لان التنوين ساكن واللام ساكنة فكانه جمع بين ساكنين[٦١] . وقد قبل الزجاج هذه القراءة وعدها لهجة[٦٢] وكذا ــ فعل الفراء[٦٣] .

ــ وطعن المبرد في قراءة أبي عمرو في اختلاس الحركة لكونه كان يميل الى التخفيف والسرعة في النطق فروى عن أبي عمرو (يشعركم) و (يعلمهم) و (يامركم)[٦٤] .

وفسّر الفراء هذا المنهج في القراءة تفسيراً صوتياً يهدف الى التخفيف من الحركات اذا توالت[٦٥] .

وقد عرف هذا النهج في النطق في قبائل تميم وأسد[٦٦] بوصفه ظاهرة لهجية وفسرها سيبويه انها إسراع في اللفظ[٦٧] .

لكن المبرد يطعن في هذه القراءة ويقول : « انه لا يجوز في كلام ولا شعر لانها حرف اعراب »[٦٨] .

ــ ورد المبرد قراءة همز (معائش) من قوله تعالى : (ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش) (الاعراف / ٩) فقال « فاما قراءة من قرأ (معائش) فهمز فانه غلط وانما هذه القراءة منسوبة الى نافع بن أبي نعيم ولم يكن له علم بالعربية وله في القرآن حروف قد وقف عليها[٦٩] .

ويظهر ان المبرد كان متاثراً بشيخه المازني فقال في تصريفه : « فاما قراءة من قرأ من اهل المدينة (معائش) بالهمز فهي خطأ فلا يلتفت اليها وانما أخذت عن نافع بن أبي نُعيم ولم يكن يدري العربية وله احرف يقرأها لحناً نحواً من هذا وقد قالت العرب : مصائب فهمزوا وهو غلط »[٧٠] ورفض المبرد قراءة نافع لانه همز الياء وهي ليست زائدة فمتى ما كلفت الياء زائدة صحّ ان تهمز كما في صحائف ومدائن ذلك لان جمع معيشة : معايش وهي قراءة السبعة عدا نافع بن ابي نعيم[٧١] .

وقد سبقهما الفراء في اعتراضه على همز (معايش) فقال : « لا تهمز لانها ــ يعني الواحدة ــ مفعلة الياء من الفعل

فلذلك لم تهمز انما من هذا ما كانت الياء فيه زائدة مثل مدينة ومدائن وقبيلة وقبائل »[٧٢] .

وعد همز معايش ونحوه مما توهمت فيه العرب لشبهها بالوزن في اللفظ وعدة الحروف .

وقال ايضاً : « وقد همزت العرب المصائب وواحدتها مصيبة شبهت بفعيلة لكثرتها في الكلام »[٧٣] ولعل هذه القراءة تدخل في مجال همز ما لم يهمز . وهي ظاهرة لهجية معروفة في قبائل تميم وقيس وغيرها ويرى بروكلمان ان هذه الظاهرة عرفتها اللغة السامية الام وبقيت آثارها في العربية القديمة ولهجاتها[٧٤] .

— وردّ المبرد قراءة حمزة : (واتقوا الله الذي تسالون به والارحامِ) ﴿ النساء / ١ ﴾ وذلك لكونه عطف (الارحام (وهو اسم ظاهر على الضمير (الهاء) المجرور وقال المبرد : « وهذا مما لا يجوز عندنا الا أن يضطر اليه الشاعر » وذكر قول الشاعر :[٧٥]

فـاليـوم قـربت تهجـونــا وتشتمنـا
فاذهب فما بـك والأيامِ من عجب

والقراءة بخفض الأرحام هي قراءة عبد الله بن عباس قتادة وابراهيم النخعي والاعمش والحسن البصري ويحيى بن وثاب وطلحة بن مصرف وقرأ الباقون بنصب (الارحام) عطفاً على لفظ الجلالة .[٧٦]

والذي كان يهدف اليه المبرد من اعتراضه على هذه القراءة هو السعي لان تطّرد القاعدة النحوية ، فالشائع في الاستعمال هو عطف الاسم الظاهر على الاسم الظاهر أما عطف الاسم الظاهر على الضمير فذلك قليل وشاذ لا يصح جوازه ولا النسج على منواله لكونه يمثل منحى غير فصيح . فلاجل ألا تضطرب القاعدة وقف المبرد وغيره هذا الموقف الذي يسمى الى تشذيب اللغة مما هو شاذ غريبٌ في الاستعمال .

— وَعَدَّ المبرد قراءة : (ثم لْيقطع فلْينظر) ﴿ الحج / ١٥ ﴾ لحناً وقال : « فان الاسكان في لام (فلينظر) (الحج / ١٥) لحناً وقال : « فان الاسكان في لام (فلينظر)جيد وفي لام (ليقطع (لحن لانَّ (ثم) منفصلة من الكلمة وقد قرأ بذلك يعقوب بن اسحق الحضرمي »[٧٧] .

وعزيت هذه القراءة للقراء السبعة ما عدا أبا عمرو بن العلاء وابن عامر فضلًا عن يعقوب بن اسحق الحضرمي من القراء العشرة[٧٨] ويعود رفض المبرد الى ان المطرد في الاستعمال تسكين لام الامر — اذا سبقت بالواو أو الفاء أما اذا سبقت بـ(ثم) فلا يصح ان تسكن بل تحرك بالكسر ذلك لان (ثم) كلمة مستقلة عن لام الامر غير ملتصقة بها وهو في هذه القراءة كدأبه مع القراءات الاخرى التي رأى فيها خروجاً على الشائع في الاستعمال وشذوذاً لا ينسجم مع القياس .

— ورفض المبرد قراءة أخرى فقال : « وقد قرأ بعض القراء بالاضافة فقال : (ثلاثمائةِ سنينَ) ﴿ الكهف / ٢٥ ﴾ وهذا خطأ في الكلام غير جائز وانما يجوز مثله في الشعر للضرورة وجوازه في الشعر أنّا نحمله على المعنى لانه في المعنى جماعة وقد جاز في الشعر أن تفرد وأنت تريد الجماعة اذا كان في الكلام دليل على الجمع »[٧٩] . وعزيت هذه القراءة الى حمزة والكسائي وخلف والحسن البصري وطلحة والاعمش وآخرين .[٨٠]

وقد ذكر أبو حيان ان هذه القراءة انحى عليها ابو حاتم السجستاني « ولا يجوز له ذلك)[٨١] .

ويتبين لنا أن المبرد يحذو حذو أبي حاتم في رفض هذه القراءة ذلك لان التمييز المضاف اليه ينبغي أن يكون بصورة المفرد مع العدد ثلاثمئة وذلك هو المطرد في قاعدة العدد أما أن يكون بصورة الجمع فهو مخالف لها .

وعلى الرغم من نهج المبرد المتشدد ازاء هذه القراءات لكنه كان حريصاً على أن تحتفظ العربية بقواعد ثابتة لا يكتنفها الاضطراب والخلل فما شاع في الفصحى في مصادرها كلها سواء في القرآن أم في الشعر أم في كلام العرب فهو الاصل الذي يعتمد عليه في القياس وما سوى ذلك فهو من قبيل الاستعمال النادر الذي لا يصح القياس عليه .

* الخاتمة *

وبعد عرض موقف المبرد من القراءات يمكن القول أنه لم يعترض على القراءات جميعها لكنه قبل طائفة منها واستشهد بها بوصفها مصدراً من مصادره . أما اعتراضه على عدد من القراءات فقليل بالموازنة مع قبله منها فذلك لا يشكل سمة من سمات منهجه بقدر ما يبين اجتهاده وموقفه الخاص به سوءاً أكان متأثراً بشيوخه أم بمنهجه الثابت في وضع قواعد شاملة تصلح لكل زمان ومكان بغية تيسير هذه اللغة لا للعرب فحسب بل لغير العرب من الموالي ومن الاقوام التي دخلت الاسلام .

واذا ما عد بعض الدارسين تشدد البصريين من القراءات سمة تعكس طبيعة مدرسة البصرة فان هذه السمة موجودة عند بعض الكوفيين وبخاصة الفراء فقد خطّأ بعض القراءات ورمى أصحابها باللحن تارة وبالوهم تارة أخرى لذا ومن أجل ألا يفتعل الخلاف بين النحويين من البصريين والكوفيين ينبغي عد موقف النحويين من القراءات موقفاً شخصياً يعتمد على اجتهاد هذا

النحوي او ذاك في مسائل اللغة والنحو وحجب هذه المسألة عن ميدان الخلاف يرمي التقليل من شأن حدة الخلافات بين البصريين والكوفيين .

وبعد فقد أكون مغالياً فيما عرضت أو مقصراً هنا أو هناك فنلك ما يوجب الاعتذار سلفاً .

والله الموفق وبه نستعين .

الهـــوامـــش

(١) أبو العباس المبرد وأثره في علوم العربية : ٤٣ .

(٢) أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية : ٥٧ .

(٣) القرآن وأثره في الدراسات النحوية : ٩٧ .

(٤) مدرسة الكوفة : ٣٤١ .

(٥) دراسات في كتاب سيبويه : ٣٦ .

(٦) أبو عمرو بن العلاء جهوده في القراءة والنحو . الدكتور زهير زاهد ١٢٥ ـ ١٢٩ .

(٧) ينظر البحث الموسوم : « موقف الفراء من القراءات القرآنية » مجلة المورد مج ١٧ ع ٤ ص ١٥ وما بعدها . وفيه تم الوقوف على موقف الفراء من القراءات بوصفه علماً بارزاً من أعلام مدرسة الكوفة في النحو .

(٨) المقتضب : ٢ / ١٨٧ .

(٩) نفسه : ٢ / ٣٦٤ .

(١٠) نفسه : ١ / ٢٨٣ .

(١١) نفسه : ١ / ١٥٨ ٢١٤ والكامل : ١ / ١٠٧ ٣٧٢ .

(١٢) الكامل : ٣ / ٣٩ .

(١٣) المقتضب : ١ / ١٢٣ .

(١٤) نفسه : ٢ / ١٣٤ .

(١٥ ـ ١٧) الكامل : ١ / ١١٢ ٣ /٣٩ ، ٨٥ ، ٢٣٩/١ .

(١٨) المقتضب : ١٠٥/٤ .

(١٩) المقتضب : ٣١٦/٢ .

(٢٠) ينظر في القراءة اتحاف فضلاء البشر في القراءات الاربع عشر للدمياطي : ٢٤١ .

(٢١) معاني القرآن : ٣٠٠/٣ .

(٢٢) المقتضب : ١٨٩/٢ .

(٢٣) ينظر في القراءة البحر المحيط لابي حيان الاندلسي : ٨٠/١ وشواذ أبن خالويه : ٢ / ٣٦ .

(٢٤) المقتضب : ٢ / ١٢٠ .

(٢٥) النشر في القراءات العشر لابن الجزري : ٣٤٨/٢ .

(٢٦) معاني القرآن : ٣ / ٤٤ .

(٢٧) المقتضب : ٤ / ٣٥٤ .

(٢٨) معاني القرآن : ١٣٩/٢ .

(٢٩) النشر : ٢٥٨/٢ والبحر : ١٣٦/٤ والاتحاف : ٢٨٩ .

(٣٠) المقتضب : ٢٨٣/١ ـ ٢٨٤ .

(٣١) ينظر في القراءة البحر : ٣٨٣/٧ وشواذ ابن خالويه / ١٢٩ .

(٣٢) المقتضب : ١١٤/٤ .

(٣٣) البحر المحيط : ٢٩٢/٧ وشواذ ابن خالويه : ١٢٢ .

(٣٤) ينظر في ذلك مثلاً المقتضب : ١٥٩/١ ، ١٨١ ، ٣٤/٢ ، ٤٣ ، ١٠٥/٤ ، ٢٦٣ ، ٢٩٠ والكامل : ١٤٠/٢ ومواضع اخرى .

(٣٥) ينظر في القراءات التي تمثل اللهجات : المقتضب ؛ ١٨٩/٢ و ٤ / ١٠٥ و ٤١٣ . والكامل : ٢٣٩/١ و ١٤٠/٢ .

(٣٦) المقتضب : ١٥٨/١ ـ ١٥٩ وينظر الكتاب : ٥٤٨/٣ ـ ٥٤٩ . وينظر في القراءة السبعة في القراءات : ١٣٤ ـ ١٣٥ . ينظر مفصل قراءة ابي عمرو في « ابو عمرو بن العلاء جهوده في القراءة والنحو » : ٦٣ ـ ٦٤ .

(٣٧) النشر : ٦/٢ ـ ٧ والاتحاف :/ ٤٣١ .

(٣٨) المقتضب : ١ / ٢١٤ .

(٣٩) النشر : ٢٣/٢ .

(٤٠) المقتضب : ٢١٦/١ .

(٤١) المقتضب : ٢١٦/١ .

(٤٢) المقتضب : ٢٢/٢ .

(٤٣) البحر المحيط ، ٣٦٠/٢ والنشر : ٢٣٧/٢ .

(٤٤) المقتضب : ٦٧/٢ .

(٤٥) النشر : ١٨٠/٢ .

(٤٦) الكتاب : ٢٠٩/٢ ـ ٢١٠ .

(٤٧) المقتضب : ٢٤٧/٤ .

(٤٨) الكامل : ٣٤٩/٣ . وهنالك امثلة اخرى تبين موقف الترجيح ينظر في ذلك : الكامل : ٢٦٦/٢ والمقتضب : ١٨٥/٢ ، ٢١٤ .

(٤٩) الكامل : ٣ / ١٣٦ .

(٥٠) البحر : ٤٢/٨ والنشر : ٣٧١/٢ .

(٥١) الكامل : ٢٨٧/١ وذكر هذه الموقف في المقتضب : ١٩٥/٤ .

(٥٢) ينظر تفسير ابن هشام لذلك في المغني : ٤٨٦/٢ .

(٥٣) المقتضب : ١٠٥/٤ .

(٥٤) ينظر في القراءة البحر المحيط : ٢٤٧/٥ وفيه : ورويت هذه القراءة عن مروان بن الحكم .

(٥٥) البحر المحيط : ٢٤٧/٥ وينظر الكتاب : ٣٩٦/٢ ـ ٣٩٧ وجاء في الكتاب : ته بدلاً من هذه .

واعراب القرآن : ١٠٤/٢ .

(٥٦) اعراب القرآن : ١٠٤/٢ .

(٥٧) المقتضب : ٤/١٢٤ ــ ١٢٥ .

(٥٨) النشر : ٢/٢٥١ .

(٥٩) اعراب القرآن : ٣/٢٧٦ ــ ٢٧٧ .

(٦٠) ينظر في القراءة السبعة : ٦١٥ .

(٦١) اعراب القرآن : ٣/٢٧٧ .

(٦٢) نفسه والصفحة نفسها .

(٦٣) معاني القرآن للفراء : ٣/١٠٢ .

(٦٤) النشر : ٢/٢١٣ والسبعة : ١٥٥ ــ ١٥٦ .

(٦٥) معاني القرآن : ٢/١٢ .

(٦٦) النشر : ٢/٢١٣ وينظر لهجة قبيلة أسد : ولهجة تميم :

(٦٧) الكتاب : ٤/٢٠٢ .

(٦٨) اعراب القرآن : ١/١٧٦ و ٢/٧٠٣ .

(٦٩) المقتضب : ١/١٢٣ .

(٧٠) التصريف : ١/٣٠٧ وينظر في القراءة شواذ ابن خالويه/٤٢ .

(٧١) الاتحاف : ٢٢٢ .

(٧٢) معاني القرآن : ٢/٢٧٣ .

(٧٣) الكتاب : ٤/١٧٩ .

(٧٤) فقه اللغات السامية : ٤١ .

(٧٥) الكامل : ٣ / ٣٩ واعراب القرآن : ١/٢٩٠ وشرح المفصل : ٣/٧٨ .

(٧٦) ينظر في القراءة السبعة في القراءات : ٢٢٦ واعراب القرآن : ١/٣٩/ والاتحاف : ١٨٥ .

(٧٧) المقتضب : ٢/١٣٤ .

(٧٨) ينظر في القراءة النشر : ٢/٢٢٦ والاتحاف : ٣١٤ .

(٧٩) المقتضب : ٢/١٧١

(٨٠) ينظر القراءة النشر : ٢/٣١٠ والبحر المحيط : ٦/١١٧ . والاتحاف : ٢٨٩ .

(٨١) البحر : ٦/١١٧ .

* المصادر والمراجع *

ــ ابو العباس المبرد وأثره في علوم العربية ، محمد عبد الخالق عضيمة مكتبة الرشيد ــ ط . الاولى ــ الرياض ١٤٠٥ هـ .

ــ أبو عمرو بن العلاء جهوده في القراءة والنحو ، الدكتور زهير غازي زاهد . مركز دراسات الخليج العربي ــ جامعة البصرة ــ مطبعة جامعة البصرة ١٩٨٧ .

ــ اتحاف فضلاء البشر في القراءات الاربع عشر لاحمد بن محمد الدمياطي . دار الندوة الجديدة ــ بيروت ــ لبنان . رواه وصححه وعلق عليه علي محمد الضباع

ــ اثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية ، الدكتور عبد العال سالم مكرم . مط العصرية ــ ط ــ الثانية ، الكويت ١٩٧٨ .

ــ أعراب القرآن لابي جعفر النحاس ، تحـ الدكتور زهير غازي زاهد . مط العاني ــ ط . الاولى ــ بغداد ١٩٧٩ .

ــ البحر المحيط لابي حيان الاندلسي ، ط الثانية ــ دار الفكر ــ بيروت ١٩٧٨ .

ــ التصريف للمازني شرح ابن جني . تحـ ابراهيم مصطفى وعبد الله أمين . ط . الاولى . مسط مصطفى البابي الحلبي ــ مصر ١٩٥٤ .

ــ دراسات في كتاب سيبويه ، الدكتورة خديجة الحديثي . وكالة المطبوعات ــ الكويت ــ ١٩٨٠ .

ــ السبعة في القراءات لابن مجاهد تحـ . الدكتور شوقي ضيف دار المعارف بمصر ١٩٦٨ .

ــ شرح المفصل لابن يعيش ط مصورة ، عالم الكتب ، بيروت .

ــ فقه اللغات السامية . كارل بروكلمن ، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب . جامعة الرياض ١٩٧٧ .

ــ القرآن وأثره في الدراسات النحوية ، الدكتور عبد العال سالم مكرم . دار المعارف بمصر ــ القاهرة ــ ١٩٦٥ .

ــ الكامل في اللغة والادب لابي العباس المبرد ، تحـ محمد أبو الفضل ابراهيم . مط دار النهضة مصر ــ القاهرة .

ــ الكتاب لسيبويه تحـ عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر ط . الاولى ــ القاهرة ١٩٧١ .

ــ لهجة قبيلة أسد ، علي ناصر غالب ، دار الشؤون الثقافية العامة . ط الاولى ، بغداد ١٩٨٩ .

ــ مختصر في شواذ القراءات لابن خالويه نشر ج . برجشتراسر ط . دار الهجرة .

ــ مدرسة الكوفة ، الدكتور مهدي المخزومي ط . الثانية مط . البابي الحلبي ــ مصر ــ ١٩٥٨ .

ــ معاني القرآن للفراء . تحـ . أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار ط . الثانية ــ بيروت ١٩٨٠ .

ــ مغني اللبيب لابن هشام . تحـ الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله . دار الفكر . ط . الخامسة ــ بيروت ١٩٧٨ .

ــ المقتضب لابي العباس المبرد . تحـ محمد عبد الخالق عضيمة ط الاولى ــ القاهرة ــ ١٣٨٥ ــ ١٣٨٨ هـ .

ــ النشر في القراءات العشر لابن الجزري . مط التوفيق دمشق ١٣٤٥ هـ .

القرآءات القرآنيّة الشاذة في ((غريب القرآن)) للسجستاني

د . صالح مهدي عباس
مركز احياء التراث العربي / جامعة بغداد

« القسم الثاني »

بسم الله الرحمن الرحيم

أقسام القراءات القرآنية(*) :

قسّم العلماء القراءات القرآنية على قسمين :

الاول : القراءات المتواترة .

الثاني : القراءات الصحيحة

أما القراءات المتواترة : فقد قيّدها العلماء باركان ثلاثة .

هي : السّند ، والرّسم ، والعربية .

فكل ما صَحّ سنده ، واستقام وجهه في العربية ، ووافق لفظه خطَّ المصحف الإمام ، فهو من السبع المنصوص عليها ، فعلى هذا الاصل بُني قبول القراءات عن سبعة كانوا أو سبعة الاف ، ومتى فقد شرط من هذه الثلاثة فهو شاذ .(١)

ويراد بصحة السّند : ما نقله العدل الضابط عن مثله ، كذلك إلى منتهاه ، مع اشتهاره عند أئمة هذا الشان الضابطين له ، وهو غير معدود عندهم من انغلط ، ولا ممّا شَذّ به بعضهم(٢) (*) .

ولم يكتف بعض العلماء بصحة السّنَد ، بل اشترط معه التّواتر . والمراد بالتّواتر : ما رواه جماعة عن جماعة يمتنع تواطؤهم على الكذب ، من البداءة إلى المنتهى ، من غير تعيين عدد .(٣)

وأما القراءات الصّحيحة : فعلى قسمين :

الاول : القراءة المستوفية للاركان الثّلاثة :

الثاني : القراءة الشّاذّة .

اما القراءة المستوفية للاركان الثّلاثة ، فقد عرّفها ابن الجزريّ بقوله : « ما صَحّ سنده بنقل العدل الضابط عن الضابط ، إلى منتهاه ، ووافق العربية والرسم » .(٤)

وتقسم على قسمين وهما :

الاول : القراءة المستفيضة .

الثاني : القراءة غير المستفيضة .

أما القراءة المستفيضة ، فهي تلك التي استفاض نقلها وتلقتها الأمة بالقبول ، بما انفرد به بعض الرواة وبعض الكتب المعتبرة ، أو كمراتب القُرّاء في المدّ ، ونحو ذلك ، فهذا صحيح مقطوع به ، أنه مُنَزَّل على النبي ﴿ ﷺ ﴾ . وهذا القسم يلتحق بالقراءة المتواترة ، وان لم يبلغ مَبْلَغَها .(٥)

أما القراءة غير المستفيضة : فهي تلك التي صَحّت ، ولم تتلقها الأمة بالقبول ، ولم تستفض .

واكثر العلماء على جواز القراءة بها ، والصّلاة بها ـ أيضاً ـ(٦)

القسم الثاني : القراءة الشاذّة :

وهي القراءة التي وافقت العربية ، وصَحّ سَنَدُها ، وخالفت الرّسم ، من زيادة ونقص ، وإبدال كلمة بأخرى ، ونحو ذلك ، فهذه القراءة تسمّى « شاذّة » ؛ لكونها شَذّت عن رسم المصحف المجمع عليه ، وإن كان إسنادها صحيحاً ، فلا تجوز القراءة بها ، لا في الصّلاة ، ولا في غيرها .[٧]

وهذه القراءة التي لا تجوز القراءة بها ، لا في الصّلاة ولا في غيرها تُعَدّ « ضعيفة أو شاذّة أو باطلة سواء كانت عن السّبعة أم عَمّن هو أكبر منهم » .[٨]

الاحتجاج بالقرآءات الشاذة :

تناولت فيما سبق[٩] موقف علماء المدرستين البصرية والكوفية من القراءات المتواترة . وذكرت كيف ان البصريين رفضوا بعض القراءات التي لا تتّفق مع أقيستهم التي وضعوها في تقعيد قواعدهم النحوية ، وهي من القراءات السّبع المتواترة ، ومن دون أدنى شك عدم أخذهم بالقراءات الشّاذّة .

أما الكوفيون فقد كانوا أكثر تسامحاً من البصريين في قبول القراءات السّبع المتواترة والاخذ بها ، وبغيرها من القراءات الاخرى ، وجعلوها أصلاً من أصولهم التي بنوا عليها قواعدهم وأحكامهم .

ولعل في تجرّد العلامة ابن جنّي النحويّ للذّبّ عن القراءات الشّاذّة ، خيرُ دليل على تصحيح هذه القراءات والاحتجاج بها من الناحيتين النّحوية واللّغوية ، حيث يقول : « ... وضرب تعدّى ذلك فسمّاه أهل زماننا شاذّاً ، أي : خارجاً عن قراءة السّبع ، إلا أنّه مع خروجه عنها ، نازع بالثقة إلى قرائه ، محفوف بالروايات من أمامِهِ وورائه ، ولعلّه أو كثيراً منه مساوٍ في الفصاحة للمجتمع عليه » .[١٠]

القراءات القرآنية الشّاذّة

قال السّجستانيّ :

﴿ أيّانَ ﴾[١١] معناها : أيّ حين ، وهو سؤال عن زمان مثل : متى . وإيّان بكسر الهمزة لغة سُلَيم ، حكاه الفرّاء . به قرأ السُّلَميّ : ﴿ إيّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ .[١٢]

تخريج القراءة :

قرأ الجمهور ﴿ أيّانَ ﴾ بفتح الهمزة .

وقرأ أبو عبد الرّحمن السُّلَميّ ﴿ إيّانَ ﴾ بكسر الهمزة ، وهي لغة قومه سُلَيم . وذكر الفرّاء أنه سمع بعض العرب يقول : « متى إ وان ذاك ؟ والكلام : أوان » .

وقال القرطبي : « ... وإيان بكسر الهمزة ، وهما لغتان » .

والمعنى : أنّه نفى عنهم ما انفرد بعلمه الحيُّ القيّوم ، وهو وقت البعث . أي : لا يدرون متى يبعثون .[١٣]

وقال السّجستانيّ :

﴿ أَشَدُّ وَطْأً ﴾[١٤] أثبت قياماً ، يعني أنّ ﴿ نَاشِئَةَ اللّيل ﴾ ، وهي ساعاته ، أوطأ للقيام ، وأسهل على المُصَلّي من ساعات النّهار ؛ لأنّ النّهار خُلق ؛ لتصرّف العباد فيه ، واللّيل خُلق للنوم والرّاحة ، والخلوة من العمل ، فالعبادة فيه أسهل .

وجواب آخر : ﴿ أَشَدُّ وَطْأً ﴾ أي : أشَدُّ على المصلّي من صلاة النّهار ؛ لانّ اللّيل خُلق للنّوم ، فإذا أزيل عن ذلك ثَقُل على البعد ما يتكلّفه فيه ، وكان الثّواب أعظم من هذه الجهة .

وقرئت : ﴿ أَشَدُّ وِطَاءً ﴾ أي : مواطاة ، أي : أجدر أن يواطِىء اللسانُ القلبَ ، والقلبُ العملَ .

وقرئت : ﴿ أَشَدُّ وَطْأً ﴾ وقيل : هو بمعنى الوَطْء .

وقال الفرّاء : لا يقال الوَطْء ، وما روي عن أحدٍ ، ولم يجزه .[١٥]

تخريج القراءة :

قرأ الجمهور : ﴿ وِطَاءً ﴾ و ﴿ وَطْأً ﴾ وهما القرآءتان المشهورتان . وقد تقدّم ذكرهما في بحث « القراءات المتواترة في غريب القرآن للسجستاني » .

أما قراءة ﴿ أشَدُّ وَطْأً ﴾ فلم أقف عليها في المصادر ، ولعلها ﴿ أَشَدُّ وَطَاءً ﴾ وهي قراءة ابن محيصن بفتح الواو والطاء وألف ممدودة ، والمعنى أنها أشد مواطاة ، أي : يواطىء القلب فيها اللّسان ، أو أشد موافقة لما يراد من الخشوع والإخلاص[١٦]

وقال السّجستانيّ :

﴿ إِنَاثاً ﴾ في قوله : ﴿ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلّا إِنَاثاً ﴾[١٧]

أي : مواتاً ، مثل : اللات والعزى ، ومناة وأشباهها من الآلهة

المؤنثة .

ويقرأ : ﴿ أُثُناً ﴾ جمع وثن ، فقلبت الواو همزة ، كما قيل في أقتت : وقتت .

ويقرأ : ﴿ أُنُثاً ﴾ جمع إناث .[18]

تخريج القراءة :

قرأ ابن المسيّب ، ومسلم بن جندب ، وابن عباس ، وابن عمر ، وعطاء ، وعائشة ﴿ إِلَّا أُثُناً ﴾ كأنهم جمعوا (وثناً) على (وِثان) ، كما تقول : جَمَل وجِمال ، ثم جمعوا (وثاناً) على (وثن) كما تقول : مِثال ومُثُل ، ثم أبدلوا من الواو همزة لما انضمّت ، كما قال الله — عز وجل — :

﴿ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴾[19] من الوقت . فأُثُن جمع الجمع .

وقرأ ابن عباس ، وأبو حيوة ، والحسن ، وعطاء ، وأبو العالية ، وأبو نهيك ، ومعاذ : ﴿ إلا أُنُثا ﴾ جمع أنيث كغدير وغُدُر . وحكى الطبري : ان جمع (إناث) كثمار وثُمُر . وقد اجتمع في هذا اللفظ ثماني قراءات .[20]

وقال السِّجستانيُّ :

﴿ إِلَاهَتَكَ ﴾[21] في قراءة من قرأ : ﴿ وَيَذَرَكَ وَإِلَاهَتَكَ ﴾ أي : عبادتك .[22]

تخريج القراءة :

قرأ عليُّ بن أبي طالب ، وابن عبّاس ، وابن مسعود ، وأنس ابن مالك ، وعلقمة ، والجَحْدَريّ ، وغيرهم ﴿ وإلاهتك ﴾ بكسر الهمزة وفتح اللام وبعدها ألف ، وفَسَّروا ذلك بأمرين :

أحدهما : أن المعنى (وعبادتك ، فيكون إذ ذاك مصدراً .

قال ابن عبّاس : كان فرعون يُعْبَدُ ولا يَعْبُد .

قال أبو بكر الانباريّ : فمن مذهب أصحاب هذه القراءة أن فرعون لمّا قال : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[23] و ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ﴾[24] نفى أن يكون له رَبٌّ وإلاهة ، فقيل له :

﴿ وَيَذَرَكَ وَإِلَاهَتَكَ ﴾ بمعنى : ويتركك وعبادة النّاس لك .

والثاني : أن المعنى : ومعبودك ، وهي الشمس التي كان يعبدها ، والشّمس تسمّى إلهة عَلماً عليها ممنوعة الصّرف . وقيل : البقرة التي كان يعبدها .[25]

وقال السِّجستانيُّ :

﴿ تَلَقَّوْنَهُ ﴾[26] أي : تقبلونه .

وقرئت : ﴿ تَلِقُونَهُ ﴾ من الوَلْق ، وهو استمرار اللّسان بالكذب .[27]

تخريج القراءة :

قرأ ابن عباس ، وعائشة ، وزيد بن علي ، ويحيى بن يَعْمُر ، وعثمان الثّقفيّ ﴿ إِذْ تَلِقُونَهُ ﴾ بفتح التاء وكسر اللام وضمّ القاف ، من قول العرب : وَلَقَ الرَّجُلُ يَلِقُ وَلْقاً ، إذا كذب واستمرَّ عليه ، فجاءوا بالمتعدّي شاهداً على غير المتعدّي .

قال ابن عطية : وعندي أنه أراد إذ تلقون فيه ، فحذف حرف الجرّ ، فاتّصل الضّمير .

وحكى الطبريُّ وغيره : أن هذه اللّفظة مأخوذة من الوَلْق الذي هو الاسراع بالشّيء بعد الشّيء كعدد في إثر عدد وكلام في إثر كلام . يقال : وَلَق في سيره ، إذا أسرع .[28]

وقال السِّجستانيُّ :

﴿ تَقْهَرْ ﴾[29] تغلب .

ومن قرأ : ﴿ تَكْهَرْ ﴾ فهو : استقبالك الإنسان بوَجهٍ كَريهٍ .[30]

تخريج القراءة :

قرأ ابن مسعود ، وابراهيم النّخَعيّ ، والشّعبيّ ، والاشهب العُقيليّ ﴿ تَكْهَرْ ﴾ بالكاف ، وهو كذلك في مصحف ابن مسعود .

والمعنى يحتمل أن يكون نهياً عن قهره بظلمه وأخْذِ ماله . وخُصّ اليتيم ؛ لأنّه لا ناصر له غير الله — تعالى — فَغَلّظ في أمره بتغليظ العقوبة على ظالمه .

والعرب تعاقب بين القاف والكاف ، وهي لغة بمعنى قراءة الجمهور ﴿ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ .[31]

وقال السِّجستانيُّ :

﴿ تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾[32] أي : تنقصوا الوَزْن .

وقرئت : ﴿ وَلَا تَخْسَرُوا الْمِيزَانَ ﴾ بفتح التاء ، ومعناه : لا تخسروا الثّواب الموزون يوم القيامة .[33]

تخريج القراءة :

قرأ بلال بن أبي بردة، وزيد بن علي بفتح التّاء : ﴿ ولا تَخسِرُوا ﴾ .

وقرأ بلال ايضاً، وأبان بن عثمان، بفتح التّاء والسّين ﴿ ولا تَخْسَرُوا ﴾ .

أما قراءة ﴿ تَخْسَرُوا ﴾ بفتح التّاء والسّين، فينبغي أن تكون على حذف حرف الجر، أي : تَخْسَرُوا في الميزان، فلما حذف الجر أفضى إليه الفعل قبله، فنصبه، كقوله تعالى : ﴿ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾[٣٤] أي : في كُلّ مَرْصَد .

وأما قراءة ﴿ تَخْسِرُوا ﴾ بفتح التّاء وكسر السّين فعلى خَسَرْت الميزان، وإنما المشهور أخْسَرتُه . خَسِر الميزان، أي : نَقَص، وأخْسَرتُه، نحو : أَجْبَرتُ الرّجل وجَبَرتُه .[٣٥]

وقال السّجستانيُّ :

﴿ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ :[٣٦] حطب جهنم، كل شيء ألقيته في النّار فقد حصبتها به، ويقال : ﴿ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ حطب جهنم بالحبشيّة . قوله : بالحبشيّة، إن كان أراد أن هذه الكلمة حبشيّة وعربيّة بلفظ واحد فهو وجه، أو أراد أنّها حبشيّة الاصل سمعتها العرب فصارت عربيّة حينئذ، فذلك وجه أيضاً، وإلا فليس في القرآن غير العربيّة .

ويقرأ : ﴿ حَضَبُ ﴾ بالضّاد المعجمة : وهو ما هيجت به النّار وأوقدت .[٣٧]

تخريج القراءة :

قرأ ابن عبّاس، ومحمد بن السّميفع اليماني ﴿ حَضَبُ ﴾ بالضّاد مفتوحة، ورُوِي عنهما ﴿ حَضْبُ ﴾ بالسكون، وبه قرأ كُثَيّر عَزّة .

أما (الحَضَبُ) بالضّاد مفتوحة، وكذلك بالصّاد غير معجمة (الحَصَبُ) فكلاهما الحَطَب، ففيه ثلاث لغات : حَطَبٌ، وحَضَبٌ، وحَصَبٌ . وانما يقال : حَصَبٌ، إذا ألقي في التّنّور والموقِد، فاما ما لم يستعمل فلا يقال له : حَصَبٌ .

فاما (الحَضْبُ) ساكناً بالضّاد والضّاد فالطرح، فقراءة من قرأ : ﴿ حَضْبُ جَهَنَّمَ ﴾ و ﴿ حَصْبُ جَهَنَّمَ ﴾ باسكان الثاني منهما إنما هو على ايقاع المصدر موقع اسم المفعول، كالخَلْق في معنى المخلوق .

قال الفَرّاء : وذُكر لنا أن (الحضب) في لغة أهل اليمن : الحطب، وكل ما هيجت به النار وأوقدتها به فهو حَضَبٌ .[٣٨]

وقال السّجستانيُّ :

﴿ خَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ ﴾[٣٩] : افتعلوا ذلك واختلقوه كذباً . ومعنى ﴿ وَخَرَّقُوا لَهُ ﴾ فعلوا مَرّة بعد أخرى، ﴿ وخرقُوا ﴾ : افتعلوا ما لا أصل له، وهي قراءة ابن عَبّاس .[٤٠]

تخريج القراءة :

قرأ نافع وأبو جعفر ﴿ وخَرَّقُوا ﴾ بتشديد الرّاء، للتكثير، أي : مَرّة بعد مَرّة، مثل : قتَل وقتّل .

وهي عين ما ذكره السجستاني من معنى ﴿ وخَرَّقُوا لَهُ ﴾ أي : فعلوا مَرّة بعد أخرى .

وقرأ الباقون ﴿ وخَرَقوا ﴾ بالتّخفيف، بمعنى : الاختلاق، يقال : خلق الإفك وخرقه واختلقه وافتراه وافتعله : بمعنى : كذب .[٤١]

فعلى هذا تكون قراءة ابن عباس التي ذكرها السجستاني (وخرَقُوا) بالخاء المعجمة والقاف، من ضمن القراءة المشهورة .

ولكن المصادر ذكرت أن قراءة ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما ﴿ وحَرَفُوا ﴾ بالحاء المهملة والفاء، وشَدّد ابن عمر الرّاء، وخَفّفها ابن عباس بمعنى : وزَوّرُوا له أولاداً، لأنّ المزوّر مُحَرّفٌ مغيّر للحق إلى الباطل .

وقال ابن جِنّي : وهو أيضاً معنى قراءة الجماعة ﴿ وخَرَقُوا ﴾ بالخاء والقاف، ومعنى الجميع : كذبوا .[٤٢]

وقال السّجستانيُّ :

﴿ وَرِئْياً ﴾[٤٣] بهمزة ساكنة قبل الياء : ما رأيت عليه من شارة وهيئة . و ﴿ وَرِيّاً ﴾ بغير همز، يجوز أن يكون على المعنى الاول، ويجوز أن يكون على الرّي، أي : منظرهم مرتوٍ من النّعمة . و ﴿ وَزِيّاً ﴾ بالزّاي، يعني : هيئة ومنظراً .

وقد قرئت بهذه الثلاثة الاوجه .[٤٤]

تخريج القراءة :

تقدّم تخريج القراءتين المتواترتين ﴿ وَرِءياً ﴾ و ﴿ وَرِيّاً ﴾ بالهمز ، وبغير همز ، في بحث « القراءات القرآنية المتواترة » .

أما القراءة الشّاذّة فهي ﴿ وَزِيّاً ﴾ بالزّاي ، وهي قراءة ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والاعمش ، ويزيد البربري ، والاعسم المكيّ ، وغيرهم ، فهو : الهيئة والحسن . ويجوز أن يكون من زُويَت أي : جمعت ، فيكون أصلها زِوْيا ، فقلبت الواو ياءً ، ومنه قول النّبيّ ﴿ ﷺ ﴾ : « زُويَت لي الارض » أي : جُمعت .(٤٦)

وقال السّجستانيّ :

﴿ سَبْحاً طَوِيلًا ﴾(٤٧) أي : مُتَصَرَّفاً فيما تريد ، يقول : لك في النّهار ما تقضي حوائجك .

وقرئت : ﴿ سَبْخاً ﴾ بالخاء المعجمة ، أي : سَعة . سَبِّخي قطنك ، أي : وَسِّعيه ونَفِّشيه ، والتّسبيخ : التّخفيف أيضاً ، يقال : اللّهم سَبِّخ عنه الحمى : أي خَفِّف(٤٨)

تخريج القراءة :

قرأ يحيى بن يعمر ، وعكرمة ، وابن أبي عبلة ، وأبو وائل ﴿ سَبْخاً ﴾ بالخاء المعجمة ، ومعناه : خِفّة من التكاليف . والتّسبيخ : التّخفيف ، وهو آستعارة من سبخ الصّوف ، وهو نَفْشُهُ ونشرُ أجزائه ، لانتشار الهِمَم ، وتفرّق القلب بالشّواغل .

وقيل : فراغاً ، وسعة لنومك وتصرفك في حوائجك .

وقيل : إن فاتك من اللّيل شيء فلَك في النّهار فراغ تقدر على تداركه فيه .

وقال الاصمعي : يقال : سَبَّخ الله عنك الحمى ، أي : خَفَّفها .

وقيل : السَّبْخ : المدُّ ، يقال : سبخي قطنك ، أي مِدّيه ، ويقال لقطع القطن : سبائخ ، الواحدة سبيخة .(٤٩)

وقال السّجستانيّ :

﴿ صَوَافَّ ﴾(٥٠) أي : قد صُفّت قوائمها ، والإبل تنحر قياماً .

ويقرأ : ﴿ صَوَافِنَ ﴾ وأصل هذا الوصف في الخيل ، يقال : صفَن الفرس فهو صافن ، إذا قام على ثلاث قوائم ، وثنى سنبك الرّابعة . والسنبك : طرف الحافر . والبعير إذا أرادوا نحره تعقل إحدى يديه فيقوم على ثلاث قوائم .

وتقرأ : ﴿ صَوَافِيَ ﴾ أي : خوالص لله لا يشركون به في التّسمية على نحرها أحداً .(٥١)

تخريج القراءة :

قرأ عبد الله بن مسعود ، وابن عمر ، وابن عباس ، ومحمد بن علي الباقر ، والاعمش بخلاف عنه ، وعطاء بن أبي رباح ، والضّحّاك ، والكلبيّ : ﴿ صَوَافِنَ ﴾ بالنّون . والصافنة : هي التي قد رفعت إحدى يديها بالعقل لئلا تضطرب ، ومنه قوله تعالى ﴿ ٱلصَّافِنَاتُ ٱلْجِيَادُ ﴾ .(٥٢)

وقرأ أبو موسى الأشعريّ ، والحسن ، ومجاهد ، وزيد بن أسلم ، وسليمان التّيميّ ، والاعرج ﴿ صَوَافِيَ ﴾ جمع صافية إي : خوالص لوجه الله تعالى لا يشرك فيها بشيء كما كانت الجاهلية تشرك .(٥٣)

وقال السّجستانيّ :

﴿ صُوَاعَ المَلِكِ ﴾(٥٤) و ﴿ صَاعَ المَلِكِ ﴾ واحد .

ويقال : الصُّوَاعُ : جام كهيئة المَكّوك من فِضّة .

وقرأ يحيى بن يعمر : ﴿ صَوْغَ ٱلْمَلِكِ ﴾ بغين معجمة ، يذهب الى أنه كان مصوغاً فسمّاه بالمصدر .(٥٥)

تخريج القراءة :

قرأ الحسن ، وسعيد بن جبير ، ﴿ صُوَاغ ﴾ بالغين المعجمة على وزن غُراب . وقرأ يحيى بن يعمر كذلك ، إلّا أنّه يحذف الالف ويُسَكّن الواو ﴿ صَوْغ ﴾ .

وقرأ أبو هريرة ، ومجاهد بخلاف ، ﴿ صَاعَ المَلِكِ ﴾ .

قال ابن جِنّي : الصّاعُ ، والصُّواعُ ، والصَّوعُ ، والصُّوعُ : واحد ، وكلّها مكيال . وقيل : الصُّوَاعُ : إناء للملك يشرب فيه . وأما الصَّوْغُ فمصدر وُضع موضع اسم المفعول يراد به المَصُوغ كالخلق في معنى المخلوق .(٥٦)

وقال السّجستانيّ :

﴿ الصُّدُفَيْنِ ﴾ و ﴿ الصَّدَفَيْنِ ﴾(٥٧) ناحيتي الجبل .

وقوله . عزّ وجلّ : ﴿ سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصُّدُفَيْنِ ﴾ ويقرأ : ﴿ ٱلصُّدَفَيْنِ ﴾ أي : ما بين النّاحيتين من الجبلين .(٥٨)

تخريج القراءة :

تقدّم تخريج القراءات المتواترة في هذا الحرف ، في بحث : « القراءات القرآنية المتواترة في غريب القرآن للسجستاني » .

قرأ قتادة ، وأبان : ﴿ بَيْنَ الصُّدُفَيْنِ ﴾ بضمّ الصّاد وفتح الدّال .[٥٩]

قال ابن جنّي : فيها لغات : صَدَفَانِ ، وصُدُفَانِ ، وصُدْفَانِ ، وصَدُفَانِ . وقد قرىء بجميعها . إلا أنّهما الجبلان المتقابلان ، فكأنّ أحدهما صادف صاحبه ، ولذلك لا يقال ذلك لما انفرد بنفسه عن أن يلاقي مثله من الجبال .[٦٠]

وقال السِّجستانيّ :

﴿ ضَلَلْنَا في الأرضِ ﴾[٦١] أي : بَطَلْنا ، وصِرْنا تراباً فلم يوجد لنا لحم ولا دم ولا عظم .

ويقرأ : ﴿ صَلِلْنَا ﴾ [بالصّاد غير المعجمة] أي : أنتنّا وتغيّرنا من قولك : صَلّ اللّحم وأصَلّ ، وصَنّ وأصَنّ : إذا أنتن وتغيّر .[٦٢]

تخريج القراءة :

: قرأ علي بن أبي طالب ، وابن عباس رضي الله عنهما ، وأبان بن سعيد بن العاص ، والحسن بخلاف ، ﴿ صَلِلْنَا ﴾ بالصّاد ، مكسورة اللام .

وروى أبو حيان قراءة هؤلاء بالصّاد المهملة وفتح اللّام . ومعناه : أنتنّا .[٦٣]

يقال : صَلّ اللحم يَصِلُّ : إذا أنتن . وصَلّ يَصَلُّ ــ بفتح الصّاد ــ والكسر في المضارع أقوى اللّغتين ، والمعنى : إذا دُفِنّا في الارض ، وصَلّتْ أجسامنا . يقال : صَلّ اللّحمُ وأصَلّ صُلُولاً وصِلالاً ، قال :[٦٤]

هُـوَ الفَتَى كُـلُّ الفَتَى فَـاعْلَمِي
لا يُفْسِدُ اللّحْمَ لَدَيهِ الصُّلُولُ)[٦٥]

وقال السِّجستانيّ :

﴿ طِوىً ﴾[٦٦] و ﴿ طُوَى ﴾ يقرءان جميعاً . ومَنْ جعله أسم أرض لم يصرفه ، ومن جعله أسم الوادي صرفه ؛ لانه مذكر ، ومن جعله مصدراً كقولك : ناديته طوى وثنى ، أي : مرّتين ــ صرفه ــ أيضاً .[٦٧]

تخريج القراءة :

تقدّم تخريج القراءتين المتواترتين ﴿ طُوَى ﴾ و ﴿ طُوىً ﴾ باسكان الياء من غير صرف ، وبالتّنوين والصرف ، في بحث « القراءات القرآنية المتواترة في غريب القرآن للسجستاني .

أما قراءة ﴿ طِوىً ﴾ بكسر الطاء والتّنوين ، فهي قراءة الحسن ، والاعمش ، وأبن محيصن ، وأبي حيوة ، وابن أبي اسحاق ، وأبي السمال .

ومن كسر الطاء ولم يُنوّن / فمنع الصّرف باعتبار البقعة .

وقال الحسن : ﴿ طِوىً ﴾ بكسر الطّاء والتّنوين مصدر ، ثنيت فيه البركة والتّقديس مرّتين ، فهو بوزن الثّناء وبمعناه ؛ لان الثّناء ــ بالكسر والقصر ــ : الشيء الذي تكرّره ، فكذلك الطوى على هذه القراءة .[٦٨]

وقال السِّجستانيّ :

﴿ غُلْفٌ ﴾[٦٩] جمع أغلف ، وهو كلُّ شيء جعلته في غلاف : أي قلوبنا محجوبة عمّا تقول كأنها في غلف .

ومن قرأ : ﴿ غُلُفٌ ﴾ بضمّ اللام ، أراد جمع غلاف ، وتسكين اللّام فيها جائز أيضاً ، مثل : كُتْب وكُتُب ، أي : قلوبنا أوعية للعلم فكيف تجيئنا بما ليس عندنا .[٧٠]

تخريج القراءة :

قراءة الجمهور بإسكان اللّام . وقد روى أحمد بن موسى اللؤلؤيّ عن أبي عمرو بن العلاء أنه قرأ ﴿ غُلُفٌ ﴾ بضمّ اللّام . وروى الباقون عنه أنه خَفّف . والمعروف عنه التّخفيف[٧١]

قرأ ابن عباس ، وابن محيصن ، والاعرج ، وابن هرمز : ﴿ غُلُفٌ ﴾ بضمّ اللّام . قال ابن عباس ، أي : قلوبنا ممتلئة علماً لا تحتاج إلى علم محمّد ــ ﴿ ﷺ ﴾ ــ ولا غيره .

وقيل : هو جمع غلاف مثل : خِمار وخُمر ، أي : قلوبنا أوعية للعلم فما بالُها لا تفهم عنك وقد وَعَيْنا علماً كثيراً .[٧٢]

وقال السِّجستانيّ :

﴿ قَطِرَانٍ ﴾[٧٣] هو الذي تُطْلَى به الإبل . ومعنى ﴿ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ ﴾[٧٣] أي:جعل لهم القطران لباساً ليزيد في حَرّ النّار عليهم فيكون ما يتوقى به العذاب عذاباً .

ويقرأ : ﴿ مِنْ قِطْرآنٍ ﴾ أي : من نحاس قد بلغ منتهى حرّه .[٧٤]

تخريج القراءة :

القطران فيه ثلاث لغات : قَطِرَانٌ ، وقَطْرَانٌ وقِطْرَانٌ بفتح

القاف وكسرها مع سكون الطاء .

وقراءة الجمهور : ﴿ قَطِرَانٍ ﴾ — بفتح القاف والرّاء وكسر الطّاء .[75]

قرأ ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، وابن سيرين ، وأبو هريرة ، وقتادة ، وغيرهم : ﴿ مِنْ قِطْرٍ آنٍ ﴾ مُنَوَّنتين على كلمتين ، والقِطْرُ : الصُّفْر أو النُّحاس المُذاب ، والآني : الذي قد أنى وأدرك ، وهو المتناهي حَرّه .[76]

وقال السِّجستانيُّ :

﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ﴾[77] يقول : أخذت ملء كفي من تراب موطىء فرس جبريل عليه السّلام .

وتقرأ : ﴿ فَقَبَصْتُ قَبْصَةً ﴾[78] أي : أخذت باطراف أصابعي .[79]

تخريج القراءة :

قرأ الجمهور ﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً ﴾ بالضّاد المعجمة فيهما ، أي : أخذت بكفي مع الاصابع .[80]

وقرأ عبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب ، والحسن ، وقتادة ، وابن سيرين ، وغيرهم ﴿ فَقَبَصْتُ قَبْصَةً ﴾ بالصّاد المهملة فيهما ، وهو الاخذ باطراف الاصابع .[81]

وقال السِّجستانيُّ :

﴿ القَصْرِ ﴾[82] واحد القُصور .

ومن قرأ : ﴿ كالقَصَرِ ﴾ أراد أعناق النّخل ، ويقال : أُصول النّخل المقلوعة .[83]

تخريج القراءة :

قرأ ابن عباس ، وسعيد بن جُبير ، ومجاهد ، والحسن ، وأبن مقسم ، والسُّلَمي ﴿ كالقَصَرِ ﴾ بفتح الصّاد ، أرادوا : أعناق النّخل . والقَصَرةُ : العنق جمعها قَصَرٌ وقَصَرات .

وعن ابن عَبّاس : كنّا نرفع الخشب بقَصَر ثلاثة أذرع أو أقل ، فنرفعه للشتاء ، فنسميه القَصَر .

وقال سعيد بن جُبير والضّحّاك : هي أصول الشّجر والنّخل العِظام إذا وَقع وقُطِع . وقيل : أعناقه .[84]

وقال السِّجستانيُّ :

﴿ مُتَّكَأً ﴾[85] أي : نمرقاً يُتَّكأ عليها . وقيل : مُتَّكَأً : مجلساً يُتَّكأ فيه . وقيل : طعاماً .

وقرئت : ﴿ مُتْكاً ﴾ قيل : هو الأُترُج . وقيل : هو الزُّماوَرْدُ .[86] و[87]

تخريج القراءة :

قرأ أبن عَبّاس ، وأبن عمر ، وقتادة ، والجَحْدَرِيُّ ، والضّحّاك ، والكلبيُّ ، وأبان بن تغلب ﴿ مُتْكاً ﴾ ساكنة التّاء من غير همز ، هو الأترُج ، ويقال أيضاً : هو الزُّماوَرْدُ .

ونقل أبو حيّان عن صاحب « اللّوامح » قوله :

« المُتْكُ — بالضّمِّ — ، عند الخليل : العَسَل ، وعند الأصمعيّ : الأُترُجّ . وقال أبو عَمْرو : الشّراب الخالص » .[88]

وقال السِّجستانيُّ :

﴿ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ ﴾[89] أي : يَطْوُون ما فيها .

وقرئت : ﴿ تَثْنَوْنِ صُدُورُهُمْ ﴾ أي : تستتر ، وتقديره تفعوعل ، وهو للمبالغة . وقيل : إن قوماً من المشركين قالوا : إذا أغلقنا أبوابنا وأرخينا ستورنا ، واستغشينا ثيابنا ، وثنينا صدورنا على عداوة محمّد ﴿ ﷺ ﴾ كيف يعلم بنا ؟ فانبأ الله عزّ وجلّ عمّا كتموه فقال : ﴿ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ[90] ﴾ .[91]

تخريج القراءة :

قرأ ابن عباس : ﴿ تَثْنَوْنِ صُدُورُهُمْ ﴾ بنون مكسورة من غير ياء ، ورفع (صدورُهم) فإنّه أراد الياء فحذفها تخفيفاً ، ولا سيما والكلمة طويلة بكونها على تفعوعل .[92]

وقال السِّجستانيُّ :

﴿ يَزِفُّونَ ﴾[93] أي : يسرعون ، يقال : جاء الرّجل يزف زفيف النّعامة : وهو أوّل عَدْوها وآخر مشيها .

ويقرأ : ﴿ يُزِفُّونَ ﴾ أي : يصيرون إلى الزّفيف ومنه قوله :[94]

تَمَنَّى حُصَيْنٌ أنْ يَسُودَ جِذاعَهُ
فَأمسى حُصَيْنٌ قَدْ أذَلَّ وأقْهَرَا

معناه : أقهر ، أي : صار إلى القَهر .

قال أبو عمر : الجِذاع ههنا : صبيان أخيه ، أراد أن يتبناهم فجاء أخوالهم فاخذوهم .

ويقرأ : ﴿ يَزِفُونَ ﴾ — بالتّخفيف — من وزف يزف بمعنى أسرع ، ولم يعرفها الكسائيُّ والفَرّاء .

قال الزّجّاج :[95] وعرفها غيرهما .[96]

تخريج القراءة :

تقدَّم تخريج القراءتين المتواترتين : ﴿ يُزِفُّونَ ﴾ و ﴿ يَزِفُّونَ ﴾ — بضمِّ الياء وفتحها مع تشديد الفاء — في بحث : « القراءات القرآنية المتواترة في غريب القرآن للسجستاني » .

قرأ مجاهد ، وعبد الله بن يزيد ، والضَّحَّاك ، ويحيى بن عبد الرحمن المقرىء ، وابن أبي عبلة : ﴿ يَزِفُونَ ﴾ خفيفةً ، من : وَزَفَ يَزِفُ مثل : وَزَنَ يَزِنُ ، بمعنى : أسرع .

وروى الفَرَّاء عن الكسائي أنه لا يعرف : ﴿ يَزِفُونَ ﴾ — مخفَّفةً ، قال الفراء : وأنا لا اعرفها .

قال ابن جنّي : على أن أحمد بن يحيى (ثعلب) قد أثبت وَزَفَ : إذا اسرع ، وشاهده عنده هذه القراءة ﴿ يَزِفُونَ ﴾ أي : يُسرِعون .(٩٧)

وقال السِّجستانيُّ :

﴿ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ ﴾(٩٨) أي : يظلم بصره عنه كأنَّ عليه غشاوة ويقال : عشوت إلى النَّار أعشو فانا عاش ، إذا استدللت عليها ببصر ضعيف ، قال الحطيئه :(٩٩)

مَتَى تَأْتِهِ تَعْشُو إلى ضَوْءِ نَارِهِ
تَجِد خَيْرَ نَارٍ عِنْدَها خَيْرُ مُوْقِد

ومن قرأ : ﴿ يَعْشَ ﴾ — بفتح الشِّين — معناه : يعمَ عنه ، يقال : عشي يعشى فهو أعشى ، إذا لم يُبصر بالليل .

وقيل : معنى ﴿ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ ﴾ أي : يعرض عنه .(١٠٠)

تخريج القراءة :

قرأ ابن عبَّاس ، وعكرمة ، ويحيى بن سلام البصري : ﴿ ومن يَعْشَ ﴾ — بفتح الشِّين — ، ومعناه : يَعْمَى ، يقال : عَشِيَ يَعْشَى عَشاً ، إذا عَمِيَ . ورجل أعشى وامرأة عشواء ، إذا كان لا يُبْصِر .(١٠١)

الهوامش :

(*) يمكن الرجوع الى البحث الموسوم بـ « القراءات القرآنية المتواترة في غريب القرآن للسجستاني » حيث تناولت فيه نشأة القراءات القرآنية ، وأركان القراءة المتواترة ، والاحتجاج بالقراءات ، وحياة المؤلف السجستاني ومنهجه في كتابه ، وكيفية ترتيبه . كما ذكرت منهجي في اعداد البحث ، وهو لا يختلف عما قمت به في بحث « القراءات الشاذة » فلا حاجة للتكرار . وقد نشر في مجلة المورد العراقية المجلد الثامن والعشرين — العدد الرابع ص ٨٨ — ٩٩ .

(١) لطائف الاشارات : ١ / ٦٧ .

(٢) م . ن : ١ / ٦٨ . (٣) م . ن : ١ / ٦٩ .

(٤) منجد المقرئين : ١٦ ، ولطائف الاشارات : ١ / ٧٠ .

(٥) منجد المقرئين : ١٦ ، ولطائف الاشارات : ١ / ٧١ .

(٦) منجد المقرئين : ١٦ ، ولطائف الاشارات : ١ / ٧٢ .

(٧) منجد المقرئين : ١٦ ، ولطائف الاشارات : ١ / ٧٢ .

(٨) النشر : ١ / ٩ .

(٩) في البحث الموسوم بـ « القراءات القرآنية المتواترة في غريب القرآن للسجستاني » ومنهجي في هذا البحث هو عين المنهج السابق .

(١٠) المحتسب : ١ / ٣٢ .

(١١) سورة النحل / الآية ٢١ ، وسورة النمل / الآية ٦٥ ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ .

(١٢) غريب القرآن : ١٠ .

(١٣) معاني القرآن للفراء : ٢ / ٩٩ ، واعراب القرآن للنحاس : ٢ / ٢٠٨ ، ومختصر في شواذ القراءات ، ٧٢ ، والمحتسب : ١ / ٢٦٨ ، و ٢ / ٩ ، ١٤٢ ، والكشاف : ٢ / ٤٠٦ ، والجامع لاحكام القرآن : ١٠ / ٩٤ ، والبحر المحيط : ٥ / ٤٨٢ — ٤٨٣ .

(١٤) سورة المزمل / الآية ٦ .

(١٥) غريب القرآن : ٢٣ — ٢٤ .

(١٦) مختصر في شواذ القراءات ١٦٤ ، والبحر المحيط : ٨ / ٣٦٣ ، واتحاف فضلاء البشر : ٤٢٦ .

(١٧) سورة النساء / الآية ١١٧ .

(١٨) غريب القرآن : ٢٣ .

(١٩) سورة المرسلات / آية ١١ .

(٢٠) تفسير الطبري : ٩ / ٢٠٩ — ٢١٠ ، ومختصر في شواذ القراءات : ٢٨ — ٢٩ ، والمحتسب : ١ / ١٩٨ ، والكشاف : ١ / ٥٦٤ ، والتبيان : ١ / ١٩٤ ، والجامع لاحكام القرآن : ٥ / ٢٨٧ ، والبحر المحيط : ٣ / ٣٥٢ .

(٢١) سورة الأعراف / الآية ١٢٧ ورسمت في المصحف الشريف ﴿ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ﴾ .

(٢٢) غريب القرآن : ٢٣ .

(٢٣) سورة النازعات / آية ٢٤ .

(٢٤) سورة القصص / آية ٣٨ .

(٢٥) معاني القرآن للفراء : ١ / ٣٩١ ، وتفسير الطبري : ١٣ / ٣٨ ،
ومختصر في شواذ القراءات ٤٥ ، والمحتسب : ١ / ٢٥٦ — ٢٥٧ ، والكشاف : ٢ / ١٠٤ — ١٠٥ والتبيان : ١ / ٢٨٢ ، والجامع لاحكام القرآن : ٧ / ٢٦٢ ، والبحر المحيط : ٤ / ٣٦٧ ،
واتحاف فضلاء البشر : ٢٢٩ .
(٢٦) سورة النور / الآية ١٥ وعليها الرسم المصحفي .
(٢٧) غريب القرآن : ٥٥ .
(٢٨) معاني القرآن للفراء : ٢ / ٢٤٨ ، وتفسير الطبري : ١٨ / ٧٨ ،
واعراب القرآن للنحاس : ٢ / ٤٣٥ ، ومختصر في شواذ القراءات ١٠٠ ، والمحتسب : ٢ / ١٠٤ — ١٠٥ ، والكشاف : ٣ / ٥٤ ، والتبيان : ٢ / ١٥٥ ، والجامع لاحكام القرآن : ١٢ / ٢٠٤ ، والبحر المحيط : ٦ / ٤٣٨ .
(٢٩) سورة الضحى / الآية ٩ .
(٣٠) غريب القرآن / ٦٠ .
(٣١) معاني القرآن للفراء : ٣ / ٢٧٤ ، ومختصر في شواذ القراءات ١٧٥ ، والكشاف : ٤ / ٢٦٥ ، والجامع لاحكام القرآن : ٢٠ / ١٠٠ ، والبحر المحيط : ٨ / ٤٨٦ .
(٣٢) سورة الرحمن / الآية ٩ وعليها الرسم المصحفي .
(٣٣) غريب القرآن : ٦٣ .
(٣٤) سورة التوبة / الآية ٥ .
(٣٥) مختصر في شواذ القراءات : ١٤٩ ، والمحتسب : ٢ / ٣٠٣ ، والكشاف : ٤ / ٤٤ ، والجامع لاحكام القرآن : ١٧ / ١٥٥ ، والبحر المحيط : ٨ / ١٨٩ .
(٣٦) سورة الانبياء / الآية ٩٨ .
(٣٧) غريب القرآن : ٧٧ .
(٣٨) معاني القرآن للفراء : ٢ / ٢١٢ ، وتفسير الطبري : ١٧ / ٧٤ ،
ومختصر في شواذ القراءات : ٩٣ ، والمحتسب : ٢ / ٦٦ — ٦٧ ، والكشاف : ٢ / ٥٨٤ ، والتبيان : ٢ / ١٣٧ ، والجامع لاحكام القرآن : ١١ / ٣٤٣ — ٣٤٤ ، والبحر الابيض : ٦ / ٣٤٠ .
(٣٩) سورة الانعام / الآية ١٠٠ وعليها الرسم المصحفي .
(٤٠) غريب القرآن : ٨٤ .
(٤١) كتاب السبعة : ٢٦٤ ، والكشف ، ١ / ٤٤٣ ، والحجة لابن زنجلة : ٢٦٤ ، والنشر : ٢ / ٢٦١ ، واتحاف فضلاء البشر : ٢١٤ .
(٤٢) مختصر في شواذ القراءات : ٣٩ ، والمحتسب : ١ / ٢٢٤ ، والكشاف : ٢ / ٤١ ، والبحر المحيط : ٤ / ١٩٤ .
(٤٣) سورة مريم / الآية ٧٤ ورسمت في المصحف الشريف ﴿ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثاً وَرِءْياً ﴾ .
(٤٤) غريب القرآن : ١٠١ — ١٠٢ .
(٤٥) النهاية في غريب الحديث : ٢ / ١٤٥ .
(٤٦) معاني القرآن للفراء : ٢ / ١٧١ ، وتفسير الطبري : ١٦ / ٨٩ ،
واعراب القرآن النحاس : ٢ / ٣٢٥ ، ومختصر في شواذ القراءات ٨٦ ، والمحتسب : ٢ / ٤٤ — ٤٥ ، والكشاف : ٢ / ٥٢١ ، والجامع لاحكام القرآن : ١١ / ١٤٣ — ١٤٤ ، والبحر المحيط : ٦ / ٢١١ .
(٤٧) سورة المزمل / الآية ٧ .
(٤٨) غريب القرآن : ١١١ — ١١٢ .
(٤٩) معاني القرآن للفراء : ٣ / ١٩٧ ، واعراب القرآن للنحاس ٣ / ٥٣٢ ، ومختصر في شواذ القراءات : ١٦٤ ، والكشاف : ٤ / ١٧٦ ، وتفسير الرازي : ٣٠ / ١٧٧ ، والجامع لاحكام القرآن : ١٩ / ٤٢ — ٤٣ ، والبحر المحيط : ٨ / ٣٦٣ .
(٥٠) سورة الحج / الآية ٣٦ .
(٥١) غريب القرآن : ١٢٥ .
(٥٢) سورة ص / الآية ٣١ .
(٥٣) معاني القرآن للفراء : ٢ / ٢٢٦ ، تفسير الطبري ١٧ / ١١٨ ، اعراب القرآن للنحاس : ٢ / ٤٠٣ ، ومختصر في شواذ القراءات : ٩٥ ، والمحتسب : ٢ / ٨١ — ٨٢ ، والكشاف : ٣ / ١٤ والتبيان : ٢ / ١٤٤ ، والجامع لاحكام القرآن : ١٢ / ٦١ ، والبحر المحيط : ٦ / ٣٦٩ ، واتحاف فضلاء البشر : ٣١٥ .
(٥٤) سورة يوسف / الآية ٧٢ وعليها الرسم المصحفي .
(٥٥) غريب القرآن : ١٢٩ .
(٥٦) تفسير الطبري : ١٣ / ١٣ ، واعراب القرآن للنحاس : ٢ / ١٤٩ ، ومختصر في شواذ القراءات : ٦٤ ، والمحتسب : ١ / ٣٤٦ والكشاف : ٢ / ٣٣٤ ، وتفسير الرازي : ١٨ / ١٧٩ ، والتبيان ٢ / ٥٦ ، والبحر المحيط : ٥ / ٣٣٠ .
(٥٧) سورة الكهف / الآية ٩٦ وعليها الرسم المصحفي .
(٥٨) غريب القرآن : ١٢٩ .
(٥٩) مختصر في شواذ القراءات : ٨٢ ، والبحر المحيط : ٦ / ١٦٤ — ١٦٥ .
(٦٠) المحتسب : ٢ / ٣٤ .
(٦١) سورة السجدة / الآية ١٠ (٦٢) غريب القرآن : ٣٧١
(٦٣) البحر المحيط : ٧ / ٢٠٠ .
(٦٤) ديوان الحطيئة : ٨٢ .
(٦٥) معاني القران للفراء : ٢ / ٣٣١ ، وتفسير الطبري : ٢١ / ٦١ ، واعراب القرآن للنحاس : ٢ / ٦١١ ، ومختصر في شواذ القراءات : ١١٧ — ١١٨ ، والمحتسب : ٢ / ١٧٣ / ١٧٤ ، والجامع

لاحكام القرآن : ١٤ / ٩٢ ، والبحر المحيط : ٧ / ٢٠٠ .

(٦٦) سورة طه / الاية ٢٠ ، وسورة النازعات / الاية ١٦ ورسمت في المصحف الشريف فيهما ﴿ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ .

(٦٧) غريب القرآن : ١٣٥ .

(٦٨) معاني القرآن للفراء : ٢ / ١٧٥ ، واعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٦١٩ ، ومختصر في شواذ القراءات ٨٧ ، والكشاف : ٢ / ٥٣١ ، والتبيان : ٢ / ١١٩ ، والجامع لاحكام القرآن : ١١ / ١٧٥ ، والبحر المحيط : ٦ / ٢٣١ ، واتحاف فضلاء البشر : ٣٠٢ .

(٦٩) سورة البقرة / الاية ٨٨ وعليها الرسم المصحفي .

(٧٠) غريب القرآن : ١٤٨ .

(٧١) كتاب السبعة : ١٦٤ .

(٧٢) تفسير الطبري : ٢ / ٣٢٤ ، ومختصر في شواذ القراءات : ٨ ، والتبيان : ١ / ٥٠ ، والجامع لاحكام القرآن : ٢ / ٢٥ ، والبحر المحيط : ١ / ٣٠٠ ، واتحاف فضلاء البشر : ١٤١ .

(٧٣) سورة ابراهيم / الاية ٥٠ .

(٧٤) غريب القرآن : ١٥٧ . (٧٥) المبسوط : ٢١٨ .

(٧٦) تفسير الطبري : ١٣ / ١٦٧ ، ومختصر في شواذ القراءات : ٧٠ ، والمحتسب : ١ / ٣٦٦ — ٣٦٧ ، والكشاف : ٢ / ٣٨٤ — ٣٨٥ ، والتبيان : ٢ / ٧١ ، والجامع لاحكام القرآن : ٩ / ٣٨٥ .

(٧٧) سورة طه / الاية ٢٠ .

(٧٨) في : غريب القرآن : ١٥٨ ﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً ﴾ بالضّاد المعجمة فيهما . وهو من خطأ النّاسخ ، وصحة القراءة بالصّاد المهملة .

(٧٩) غريب القرآن : ١٥٧ — ١٥٨ .

(٨٠) البحر المحيط : ٦ / ٢٧٣ ، واتحاف فضلاء البشر : ٣٠٧ .

(٨١) معاني القرآن للفراء : ٢ / ١٩٠ ، ومختصر في شواذ القراءات : ٨٩ ، والمحتسب : ٢ / ٥٥ — ٥٦ ، والكشاف : ٢ / ٥٥١ ، والتبيان : ٢ / ١٢٦ ، والجامع لاحكام القرآن : ١١ / ٢٤٠ ، والبحر المحيط : ٦ / ٢٧٣ ، واتحاف فضلاء البشر : ٣٠٧ .

(٨٢) سورة المرسلات / الاية ٣٢ ﴿ تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴾ .

(٨٣) غريب القرآن : ١٥٩ .

(٨٤) معاني القرآن للاخفش : ٢ / ٧٢٥ — ٧٢٦ ، واعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٥٩٦ — ٥٩٧ ، ومختصر في شواذ القراءات : ١٦٧ ، والمحتسب : ٢ / ٣٤٦ — ٣٤٧ ، والكشاف : ٤ / ٢٠٤ ، والتبيان : ٢ / ٢٧٨ ، والجامع لاحكام القرآن : ١٩ / ١٦٣ — ١٦٤ ، والبحر المحيط : ٨ / ٤٠٢ — ٤٠٣ .

(٨٥) سورة يوسف / الاية ٣١ ﴿ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً ﴾ .

(٨٦) الزُّمَاوَرْدُ : طعام يصنع من البيض واللّحم . (مُعَرَّب) .

(٨٧) غريب القرآن : ١٨٦ .

(٨٨) معاني القرآن للفراء : ٢ / ٤٢ ، ومختصر في شواذ القراءات : ٦٣ ، والمحتسب : ١ / ٣٣٩ — ٣٤٠ ، والكشاف : ٢ / ٣١٦ ، والتبيان : ٢ / ٥٢ ، والجامع لاحكام القرآن : ٩ / ١٧٨ ، والبحر المحيط : ٥ / ٣٠٢ .

(٨٩) سورة هود / الاية ٥ .

(٩٠) سورة هود / الاية ٥ .

(٩١) غريب القرآن : ٢١٧ — ٢١٨ .

(٩٢) اعراب القرآن للنحاس : ٢ / ٨٠ ، والمحتسب : ١ / ٣١٩ .

(٩٣) سورة الصافات / الاية ٩٤ وعليها الرسم المصحفي .

(٩٤) البيت للمخبّل السّعدي يهجو الحُضَين المعروف بالزّبرقان وقوله المعروفين بالجذاع . ويروى (أَبْلُ وأَقْهِرا) أي : وُجِد كذلك . (لسان العرب : ٥ / ١٢٠ ، ٨ / ٤٥ ، وتاج العروس : ١٣ / ٤٩٦) .

(٩٥) معاني القرآن واعرابه : ٤ / ٣٠٩ .

(٩٦) غريب القرآن : ٢٢١ — ٢٢٢ .

(٩٧) معاني القرآن للفراء : ٢ / ٣٨٩ ، واعراب القرآن للنحاس : ٢ / ٧٥٨ — ٧٥٩ ، ومختصر في شواذ القراءات : ١٢٨ ، والمحتسب : ٢ / ٢٢١ — ٢٢٢ والكشاف : ٣ / ٣٤٥ ، والتبيان : ٢ / ٢٠٧ ، والجامع لاحكام القرآن : ١٥ / ٩٥ — ٩٦ ، والبحر المحيط : ٧ / ٣٦٦ .

(٩٨) سورة الزخرف / الاية ٣٦ .

(٩٩) الديوان : ١٢٥ .

(١٠٠) غريب القرآن : ٢٢٢ — ٢٢٣ .

(١٠١) معاني القرآن للفراء : ٣ / ٣٢ ، وتفسير الطبري : ٢٥ / ٤٢ ، والكشاف : ٣ / ٤٨٧ — ٤٨٨ ، والجامع لاحكام القرآن : ١٦ / ٨٨ ، والبحر المحيط : ٨ / ١٥ — ١٦ .

فهرس المصادر والمراجع

١ — القرآن الكريم .

٢ — إتحاف فضلاء البشر في القراءات الاربع عشر — للإمام أحمد بن محمد الدمياطي الشهير بالبناء (ت ١١١٧ هـ) تح ؛ علي محمد الضباع — القاهرة — ١٣٥٩ هـ .

٣ — اعراب القرآن — لابي جعفر أحمد بن محمد النّحاس (ت ٣٣٨ هـ) تحـ د : زهير غازي زاهد ، بغداد — مطبعة العاني — ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م .

٤ — البحر المحيط — لابي حيان محمد بن يوسف الاندلسي (ت ٧٤٥ هـ) القاهرة — مطبعة السعادة — ١٣٧٨ هـ .

٥ — تاج العروس من جواهر القاموس — لمحب الدين محمد مرتضى الحسيني الزّبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) الكويت — وزارة الارشاد والانباء — الاجزاء من (١ — ٢٠) تحقيق جماعة من العلماء .

٦ — التبيان في اعراب القرآن — لابي البقاء عبد الله بن الحسين

العكبري (ت ٦١٦ هـ) بيروت ـ دار الكتب العلمية ـ ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م .
وقد طبع باسم « إملاء ما مَنّ به الرحمن ... » .

٧ ـ تفسير الرازي ـ مفاتيح الغيب ـ لفخر الدين محمد بن عمر ابن حسين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت (لا . ت) .

٨ ـ تفسير الطبري ـ جامع البيان عن تاويل آي القرآن ـ لابي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) تحـ : أحمد محمد شاكر ، القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٣٧٤ هـ .

٩ ـ الجامع لاحكام القرآن ـ لابي عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي (ت ٦٧١ هـ) القاهرة ـ دار الكاتب العربي ـ ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م .

١٠ ـ حجة القراءات ـ لابي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة (ت بعد ٤٠٠ هـ) تحـ : سعيد الافغاني ، بيروت ـ مؤسسة الرسالة ـ ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م .

١١ ـ ديوان الحطيئة ـ بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني ـ تحـ . نعمان أمين طه ـ القاهرة ـ مطبعة عيسى البابي ، ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م .

١٢ ـ غريب القرآن ـ المسمى نزهة القلوب ـ لابي بكر محمد ابن عزيز السجستاني (ت ٣٣٠ هـ) بيروت ـ دار الرائد العربي ـ الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٢ = ١٩٨٢ م .

١٣ ـ القراءات القرآنية المتواترة في غريب القرآن للسجستاني : د . صالح مهدي عباس ، بحث منشور في مجلة المورد العراقية ـ المجلد الثامن والعشرين ، العدد الرابع ، ١٤٢١ هـ = ٢٠٠٠ م .

١٤ ـ كتاب السبعة في القراءات ـ لابي بكر أحمد بن موسى بن العباس ابن مجاهد التميمي (ت ٣٢٤ هـ) تحـ د : شوقي ضيف ، القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٧٢ م .

١٥ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل ـ لجار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) بيروت ـ دار المعرفة . (لا . ت) .

١٦ ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ـ لمكيّ بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) تحـ د : محيي الدين رمضان ـ دمشق ـ ١٣٩٤ هـ = ١٩٤٧ م .

١٧ ـ لسان العرب ـ للعلامة جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري (ت ٧١١ هـ) بيروت ، دار صادر ودار بيروت ـ ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م .

١٨ ـ لطائف الاشارات لفنون القراءات ـ لشهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني (ت ٩٢٣ هـ) تحـ : عبد الصبور شاهين والشيخ عامر السيد عثمان ، القاهرة ـ المجلس الاعلى للشؤون الإسلامية ـ ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .

١٩ ـ المبسوط في القراءات العشر ـ لابي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الاصبهاني (ت ٣٨١ هـ) تحـ : سبيع حمزة حاكمي ، دار القبلة جدّة ومؤسسة علوم القرآن ـ بيروت ـ ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

٢٠ ـ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها ـ لابي الفتح بن جني (ت ٣٩٥ هـ) تحـ : علي النجدي ناصف وزميليه القاهرة ـ ١٣٨٦ م .

٢١ ـ مختصر في شواذ القرآن ـ لابي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) عني بنشره ، ج . برجستراسر ، دار الهجرة . (لا . ت) .

٢٢ ـ معاني القرآن للاخفش ـ لسعيد بن مسعدة المجاشعي (ت بعد ٢١٠ هـ) تحـ د : عبد الامير الورد ، بيروت ـ عالم الكتب ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

٢٣ ـ معاني القرآن للفراء ـ لابي زكريا يحيى بن زياد (ت ٢٠٧ هـ) تحـ : أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار ، القاهرة ـ دار الكتب المصرية ـ ١٩٥٥ م .

٢٤ ـ معاني القرآن واعرابه ـ لابي اسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١١ هـ) تحـ د : عبد الجليل عبده شلبي ، بيروت ـ عالم الكتب ـ ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

٢٥ ـ منجد المقرئين ومرشد الطالبين ـ لشمس الدين محمد بن محمد بن محمد ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) القاهرة ـ مكتبة القدسي ـ ١٣٥٠ هـ = ١٩٣١ م .

٢٦ ـ النشر في القراءات العشر ـ لشمس الدين ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) صححه وراجعه : علي محمد الضباع ، بيروت ـ دار الفكر . (لا . ت) .

٢٧ ـ النهاية في غريب الحديث والاثر ـ لابي السعادات المبارك بن محمد الشيباني ابن الاثير (ت ٦٠٦ هـ) تحـ : طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناحي ، القاهرة ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ ١٩٦٣ م = ١٩٦٦ م .

كعب بن زهير

بين الغربة والانتماء في نصه الشعري

د. عبد الرزاق خليفة محمود الدليمي

جامعة بغداد - كلية الآداب

في عملية الابداع تتداعى مفردات العمل الفني من منافذ متشعبة قد لا يكون قسط الوعي فيها اوضح من قسط اللاوعي ، ولعل الابداع الشعري بشكل خاص اوضح ميادين نشاط اللاوعي في عملية تشكيل التفاصيل الدقيقة والرئيسة للعمل الفني .

وحين يعاني الشاعر من معضلات شخصية اواجتماعية حادة ، وتغدو اثار تلك المعضلات جزءاً من تكوينه النفسي ، يكون على القراءة النقدية ان تتجه الى استكشاف بصمات اللاوعي في شعره اكثر من اتجاهها الى محاولة استكشاف اثار الوعي في بلورة الباعث الادبي على انتاج النص ، على ان تلك القراءة مسؤولة عن ان تتجه الى تامل اثر تكوين لاوعي الشاعر في عملية اختيار تجاربه الشعرية دون سواها من مجمل تجاربه الانسانية المتاحة .

ويندر ان يخلو التكوين النفسي لاي شاعر من اثار منعطفات حادة في حياته ، بيد ان الامر خاضع لتباين نسبي ، شانه شان اية ظاهرة انسانية اخرى ، ولسنا نريد ان نغلو فنزعم ان كمية تلك المنعطفات او حدتها هما المسؤولان عن انبثاق العبقريات الشعرية وتميزها ولكننا قد نلمح ان كبرى العبقريات الشعرية في عصور الشعر العربي تنتمي الى مجاري حياة شخصية لا تخلو من منعطفات نفسية يكون لها اثرها الواضح في نتاج كل منها .

وكعب بن زهير ـ الشاعر الجاهلي المخضرم ـ صورة متميزة من صور هذه العبقريات الشعرية التي تشكل معظم نتاجها الشعري في اطار المعاناة النفسية الحادة التي بلورتها تجارب حياته المنيفة ، فقد كان لطبيعة ولادته ومجرى سيرته الشخصية والقبلية وما رافقها من تغيرات حادة ان تحفر اثارها الحادة والعميقة في نتاجه الشعري وتشكل الطبيعة المتميزة لمجاريه الفكرية والفنية على السواء .

ولد كعب بن زهير في مضارب بني مرة الغطفانيين بالحاجر من نجد ، ونشا في كنف ابيه الشاعر زهير بن ابي سلمى ، وكان زهير ينحدر من اصل مزني ولكنه ولد في بني مرة الغطفانيين ، فقد روى الاصفهاني ان ابا سلمى (ربيعة بن رياح) والد زهير كان يعيش في اخواله من بني مرة فاغار مع اخواله على طيء فاصابوا نعماً كثيرة فلما عادوا اقتسموا فلم يفرضوا له شيئاً فارتحل عنهم الى قوم ابيه مزينة واقام فيها حيناً ثم اغار برهط منهم على ذبيان ، فلما نظروا ارض ذبيان تطايروا عنه راجعين ، فاقبل حتى دخل في اخواله بني مرة فلم يزل ولده فيهم [1]

ولد تزوج ابو سلمى امراة مرية هي اخت الشاعر بشامة

ابن الغدير الذي ذكر الرواد ان زهيراً اخذ الشعر عنه [٢]

وولد لابي سلمى منها ابناه زهير واوس وابنتاه سلمى والخنساء ...

وتزوج زهير نفسه من امراة مرية ايضاً هي كبشة بنت عمار بن سحيم [٣] فولدت له ابناءه كعباً وبجيراً وسالماً وابنته وبرة ويبدو ان اقامة ابي سلمى وأبنائه واحفاده في بني مرة كانت السبب في ترجح العلماء بين اعادة نسبته الى قومه مزينة مرة والى اخواله المريين مرة اخرى ، فقد قرر ابن سلام في ترجمة زهير بن ابي سلمى انه مزني [٤] ولكنه ذكر في ترجمة كعب ابنه ان ابا سلمى واهل بيته كانوا في بني عبد الله بن غطفان فيهم يعرفون واليهم ينسبون وان اهل العلم من غطفان يؤكدون هذا النسب ولكن العامة ينسبونهم الى مزينة [٥] .

وعلى هذا الترجح ابن قتيبة الذي ترجم زهيراً مرتين فيقول في اول ترجمتيه ان (الناس ينسبونه الى مزينة وانما نسبه في غطفان) ويقول في الاخرى انه (من مزينة مضر) [٦] وتابع ابن قتيبة على ترجحه ابن هشام [٧] والسجستاني [٨] بيد ان الشواهد القاطعة تقوم على صحة انتماء ابي سلمى وعقبه الى مزينة فكعب بن زهير نفسه يصرح بهذا النسب في شعره فهو يقول في مهاجاة له مع مزرد بن ضرار ...

أعـــاِرتني عِـــزّاً عـــزيـــزاً ومَفْشَـــراً
كِـــراماً بَنَـــوا لي المجـدَ في بـــاذخٍ أشَمّ
هُمُ الاصــــــلُ مني حيثُ كنتُ وإنّني
من المُـــزنيـــيّنَ المُصَفّـــينَ بـــالكَـــرَمْ [٩]

ويكرر هذا التصريح في موضعين اخرين من ديوانه [١٠] فضلًا عن ان ابن ميادة الشاعر هاجى احد احفاد كعب فصرح بنسبه المزني [١١] .

والذي يعنينا من مسالة النسب هذه ان كعباً ولد في مضارب اخواله بني مرة الغطفانيين وهو يعلم ان انتماءه ليس اليهم وانما الى قومه مزينة ، وولادة المرء ونشاته في قوم لا تربطه بهم إلا اواصر الخؤولة والمصاهرة امر له شانه في المجتمع القبلي الذي يشكل الانتماء الدموي فيه اللبنة الاساسية لوجود الفرد الانساني وكرامته الاجتماعية .

ولقد واجه زهير والد كعب الامر نفسه حين ولد في بني الغطفانيين وهو يعلم ان انتماءه الى مزينة وان اقامته في اخواله المريين امر حتمه عليه استقرار ابيه فيهم فما كان منه الا ان وطن نفسه على الاقامة الدائمة فتزوج فيهم وانجب ، وكان ان تجنب اي موقف يستثير الحاجة الانية الى الانتماء الدموي ، ولعل ذلك احد اسرار ما اتفق عليه العلماء من روايات تؤكد تنزيه خلقه وبعده عن الدنايا ومواقف العنف ، فقد ذكروا انه كان (يتعفف في شعره) [١٢] وانه ممن (حرم على نفسه الخمر في الجاهلية) [١٣] وانه كان (من مترهبة العرب) [١٤] .

ولعل العودة الى ديوان زهير كفيلة بان تقرر ان الرجل كاد يقصر شعره على مديح رجال بني مرة وفزارة فاذا تجاوز المديح مارس رثاء من يموت منهم ، ويكاد ديوانه بعد ذلك يخلو من الفخر القبلي ، اما الهجاء فانه لم يمارسه الا في ثلاثة مواقف[١٥] وعلى الرغم من انه لم يهج الا مضطراً فانه بادر الى القول « ما خرجت في ليلة ظلماء الا خشيت الله ان يصيبني بعقوبة لهجائي قوماً ظلمتهم » [١٦] .

وهكذا واجه زهير عقدة الانتزاع من الانتماء بالتسامي الإنساني ، اما كعب ابنه فقد واجه العقدة من موقع اخر تماماً ، فهو متمرد على الواقع الذي فرض عليه بالولادة ، فشخصيته العنيفة ومزاجه الحاد كانا يحركانه دائماً الى محاولة خوض مواقف الصراع والمواجهة ، وذلك امر يحتاج في المجتمع البدوي الى اتكاء على وشيجة دم لم تكن مهياة له وهو يقيم في قوم لا تربطه بهم الا رابطة الخؤولة فضلًا عن رغبة هؤلاء القوم عن خوض أي صراع واعراضهم حتى عن المشاركة في حرب داحس والغبراء التي خاضها ابناء عمهم من عبس وذبيان بل سعيهم في اطفاء نار تلك الحرب وتمكنهم من ذلك بما بذلوه من جهد ومال .

ولعل كعباً كان حرياً بان يغادر مضارب أخواله المريين المسالمين الى مضارب قومه المزنيين الذين كانوا يخوضون صراعاً عنيفاً مع الخزرج وغيرهم لولا انه كان مفتقراً الى اعالة ابيه له ولاسرته فقد ذكر الرواة انه كان فقيراً وان اباه (كان موسعاً عليه في بره) [١٧] على ان اضطراره الى الاستقرار في بني مرة لم يكن ليمحو من اعماقه هذا الاحساس بالغربة والضياع وعدم القدرة على التعبير عن هذا الاندفاع في الشخصية والحدة في المزاج .

ولنا الا نستبعد ان يكون مبعث ما تداوله الرواة من ان اباه منعه من قول الشعر اول شبابه (مخافة ان يروى عنه مالا خير فيه) [١٨] لم يكن لهذا السبب فحسب وانما لخوف الاب ان يستعمل ابنه سلاح الشعر الفتاك في امور قد تجلب عليه مالا تحمد عقباه ، والذي يؤكد ما نذهب اليه انه حين سمح له ابوه بقول الشعر بعد ان اختبر شاعريته عاد وهو يقول :

أبيتُ فـــلا أهْجُـــو الصَّـــديقَ ومن يَبِـــعْ
بعِـــرْضِ أبيـــه في المَعـــاشِرِ يُنْفِقِ [١٩]

فالبيت اشارة حاسمة الى ان اباه لم يكن معنياً بقوله الشعر اوامتناعه عن قوله قدر عنايته بان يكون شعره بعيداً عن اثارة ما قد ينثلب من المكانة الاجتماعية السامية التي تحققت له ولآل ابي سلمى في بني مرة وبين احياء العرب ، وتلك حقيقة اكدها كعب نفسه في موضع اخر من شعره حين قال :

وبـــالعَفْـــوِ وَصّـــاني أبي وَعشـــيرتي
وبـــالـــدَّفـــعِ عَنْهـــا في أمُـــورٍ تَـــريبُهـــا

قـــومَـــكَ فـــاستبْقِ المَـــودَّةَ فيهمُ
ونفسَـــكَ جنِّبْها الـذي قـد يَعيبُها (٢٠)

ولكن ذلك كله لم يكن كفيلاً بكبح جماح شخصية كعب التي ظلت تجد في غربتها وافتقادها الانتماء الدموي باعث تمرد ومواجهة لا باعث مهادنة وتكيف للظروف .

لقد اثار كعب من الخصومات التي ادرك ولده زهير ان ابنه سيثيرها عندما حاول أن يمنعه من قول الشعر ، فقد ذكر الرواة ان زيد الخيل الطائي اغار على غطفان ـ وكان بين غطفان وطيء غزو واغارة ـ فاسر فيمن اسر بجير بن زهير ، فلما ساله عن اسمه ونسبه وعرفه اطلقه اكراماً لابيه فاتى بجير اباه واخبره بما فعل زيد فارسل زهير بفرس كميت كان لكعب هبة الى زيد ، وكان كعب غائباً ، فلما حضر اخبر بخبر الفرس وبذل له ابوه ثمنه فابى ، وقال ابياتاً يدعو بني ملقط الطائيين فيها الى انتزاع فرسه من زيد واعادته اليه ويعرض بزيد فقالت له زوجه : (اما استحيت من ابيك في سنه وشرفه ان ترد هبته ؟) فما كان منه الا ان اصدر ابياته هجاء لها فقال :

الا بَكَـــرت عِـــرسي تُـــوائمُ مَنْ لَحَى
وأَقـــرِبْ بـــأحـــلامِ النِّســـاءِ من الرَّدَى

وفيها يقول :

يـــا راكِبـــاً إمـــا عَـــرَضْتَ فبلِّغَنْ
بَني مُلْقَطٍ عنِّي اذا قيـــل مَن غَنَى

× × × × × × × × ×

لقـد نـــال زَيْـدُ الخَيْـلِ مـالَ أخيكمُ
وأصبـح زيـدٌ بعـد فقـرٍ قـد اقْتَنَى

فلما سمع زهير الهجاء قال لابنه : « لقد هجوت من ابي مكنف ـ وابو مكنف كنية زيد الخيل ـ ، رجلاً غير مفحم ، وانه لخليق ان يظهر عليك » وقد رد زيد الخيل على كعب بقصيدة توخى الا يفحش فيها وصرح بسبب ذلك في قوله :

فلـــولا زُهـــيرٌ أن أُكـــدِّرَ نِعمـــةً
لقـــاذَعْتُ كَعْبـــاً مـــا بَقِيتُ ومـا بقَى (٢١)

ان احساس كعب بالغربة القاتلة عن انتمائه زرع في نفسه بذرة الشك في كل انتماء سواه ، ومن هنا نستطيع ان نفسر سر تنافره مع والده في هذه الحادثة وفي سواها ، فقد ذكر الرواة ان زهيراً حين هدد بني الصيداء بالهجاء لما انتهبوا إبلاً وعبداً له وقف كعب ليقول له ساخراً : « أوسعتهم سباً واودوا بالابل » (٢٢) فذهب قوله مثلاً .

وان كان كعب يلتزم بحد ما في علاقته بابيه فانه لم يلتزم باي حدود في علاقته الاسرية الخاصة مع زوجته ، فبدا انتماؤه الى هذه الاسرة واهياً معرضاً للانهيار في كل لحظة :

إنّ عِـــرسي قـــد آذنتني أخيـــراً
لم تُعـــرِّجْ ولم تُـــؤامِـــرْ أميـــراً
أجِهـــاراً جـــاهـــرت لا عَتْبَ فيـــه
أمْ أرادت خيـــانـــةً وفجُـــوراً

× × × × × × × × ×

مـــا أرانـــا نَقـــولُ إلّا رَجيعـــاً
ومُعـــاداً من قـــولنـــا مَكـــرُورا (٢٣)

لقد كانت تفاصيل الحياة اليومية تستثير كعباً فيصب جام غضبه على زوجته فهو حين ينزل به اضياف فينحر لهم بكراً كان لزوجته ثم يسمع منها عتاباً على نحره بكرها يبادر الى القسم بانه لولا ما يتوقعه من لوم الناس لطلقها وفصلت بينهما صحارى موحشة .

أفي جَنبِ بَكْـــرٍ قطّعتني مَـــلامـــةً
لعَمـــري لقـــد كـــانت مَـــلامتُهـــا ثِنَى
ألا لا تلُـــومي ـ وَيبَ غيـــرِكِ ـ عـــاريـــاً
رأى ثـوبَه يـــومـاً من الـدهـرِ فـاكْتَسَى
فـــأقسم لـــولا أن أسرَّ نـــدامـــةً
وأعلِنَ أخـــرى إن تَـــراخَتْ بِـكَ النَّـوى
وقيـــلُ رجـــالٍ لا يُبـــالـــون شـــأننـــا
غَـــوَى أمـــرُ كَعبٍ مـــا أراد ومـا أرتأى
لقـــد سَكنتْ بيني وبَيْنَـــك جقيـــةٌ
بـــأطـلائهـا العينُ المُلمَّعـةُ الشَّـوى (٢٤)

وما يدرينا لعل كثرة ما ضمه ديوان كعب من نصوص توحي الى برمه بالعلاقة الاسرية (٢٥) هي التي دفعت السكري شارح ديوانه الى ان يقول في تقديم احدى قصائده : (وكان لا يزال يكون بينه وبين امرأته شر في فقره وسوء خلقه)(٢٦) وان يقول في شرح اخرى : (وكان كعب بن زهير رجلاً شريراً شرساً محارفاً مملاقاً لا ينمى له مال ، وعتبت عليه امرأته ...)(٢٧) .

لقد نفض كعب يده من الانتماء الاسري ، ومن هنا كان للمرأة التي ظل يحرص على ان يجعلها في مقدماته التقليدية مثالاً للجمال الانثوي الباهر ان تغدو رمزاً للغدر والخيانة والكذب والتلون ، فها هي (ام شداد) التي رسم لها صورة جمالية رائعة فيشبهها بظبية تطيف بوليدها ، ويشبه عينها بعيني بقرة وحشية ترعى بين الرياض والخمائل ويشبه ثناياها باقاح ترتوي من عروق

تغلغلت في تربة الروض يعود ليهدم هذا المثال الجمالي الصابح فيقول :

فأصبحتْ قد أنكرتُ منها شمائلاً
فما شئتَ من بُخلٍ ومن مَنْعِ نائلِ
وما ذاكَ عن شيءٍ أكونُ اجترفتُهُ
سوى أن شيباً في المفارقِ شاملي
فإن تصرميني وَيْبَ غيركِ تُصرمي
وأوذنت إيذانَ الخليطِ المزايلِ[28]

ويبدو ان الصيغة لازمت كعباً طوال حياته ، فما صورة (سعاد) في البردة التي قالها عند اسلامه ببعيدة عن صورة (ام شداد) فهي (اغن غضيض الطرف مكحول) وهي تبتسم عن عوارض يجري عليها ريق كانه الراح الممزوجة بماء بارد صاف ، ولكن هذا المثال الجمالي الاخاذ يتحطم تماماً عندما تكتشف حقيقة الشر الكامنة وراء الجمال .

يا وَيْحَها خُلَّةً أنها صدقتْ
ما وَعدَتْ أولوَ أنَّ النُصحَ مقبولُ
لكنها خُلَّةٌ قد سيط من دمِها
فَجعٌ وولعٌ وإخلافٌ وتبديلُ
فما تَدومُ على حالٍ تكونُ بها
كما تَلَوَّنُ في أثوابها الغُولُ
وما تمسَّكُ بالوَصلِ الذي زعمت
إلا كما تُمسكُ الماءَ الغرابيلُ
ارجو وآملُ ان يعجلن في ابدٍ
وما لهنَّ طوالَ الدهرِ تعجيلُ[29]

الا تكشف صيغة جمع المؤنث التي وردت في البيت الاخير عن هذه العقدة الخفية التي شكلتها حياته الاسرية القلقة فانعكست على علاقته بالمرأة بوجه عام ؟ ان قناعتنا بان المرأة في مقدمات القصيدة الجاهلية تستمير ملامحها من ملامح المناخ النفسي العام لموضوع القصيدة نفسها فان اطراد رسم المثال الجمالي ثم تهديمه في مقدمات كعب لا يخلو من مدلول يقرر اتجاهاً شخصياً فرض اثاره على نتاج الشاعر بشكل عام سواء في اختياره لموضوعات قصائده ام في انعكاس ملامح الموضوعات على ملامح المقدمات .

لقد كان انتماء كعب الى اسرة ابيه واهناً قلقاً ، وكان انتماؤه الى اسرته وزوجه اكثر وهناً واشد قلقاً ، وكان لابد له من انتماء تطمئن له نفسه الحائرة ، اما العودة الى مزينة فلم تكن متاحة له وهو لا يجد لقمة العيش الا من مال ابيه المقيم في بني مرة ، واما البقاء في بني مرة والتمسك بالتقاليد السلمية التي مارسوها فلم يكن يمنحه فرصة التعبير عن عنف شخصيته وحدة مزاجه ، ومن هنا كان له ان يبحث في احلامه الشعرية في الاقل عن انتماء من نمط سبقه الشنفرى الى التمسك به على صعيد الواقع حين غادر قومه ليعيش مطمئناً بين وحوش الصحراء متخذاً منهم اهلاً بعد هجر الاهل . وعلى الرغم من ان كعباً لم يتصعلك بل ظل مقيماً في بني مرة طوال حياته ابيه فانه مارس في شعره تصوير حياة التفرد في صحراء لا يكدر صفاء الانتماء اليها نصح اب ولا لوم زوجة ولا حرمان من انتماء دموي .

وعلى رمال تلك الصحراء ظل كعب يجد انتماءه الحقيقي خارج اطار المجتمع الذي لم يبق له من يطمئن اليه فيه الا خليل يمارس معه لذته ويشاركه نزواته ثم لا يمل من امتداد الشوط مهما امتد .

وقد أشهدُ الكاسَ الرَّوِيَّةَ لاهياً
أُعلُّ قُبَيلَ الصُّبحِ منها وأُنهَلُ
يُنازعُنيها لَيِّنٌ غيرُ فاحشٍ
مُبادرُ غاياتِ التِّجارِ معذَّلُ
إذا غلَبتهُ الكاسُ لا متعبِّسٌ
حَصورٌ ولا من دُونِها يتبسَّلُ
وليس خليلي بالملولِ ولا الذي
يلُومُ على البُخلِ البخيلَ ويَبخَلُ[30]

ومع هذا الخليل كعب عالمه الذي اختاره في مجاهل الارض ، فهو يمارس معه حياة الصعاليك التي تبرز فيها الذات وتحقق وجودها الذي تطمح الى تحقيقه خارج اطار الانتماء .

ونارٍ قُبيلَ الصُّبحِ بادرتُ قَدحَها
حَيَا النَّارِ قَدْ أوقدتُها لمُسافرِ
فلوَّحَ فيها زادَهُ وركابَهُ
على مَرْقبٍ يَعلُو الاخرةَ قاهرِ
ولمَّا أجنَّ الليلُ نقباً ولَمْ أخفْ
على أثرٍ مِنِّي ولا عَينِ ناظرِ
أخذتُ سلاحي وأنحدرتُ الى امرىءٍ
قليلٍ أذاهُ صدرهُ غيرُ واغرِ[31]

الصديق الصعلوك هو اخر الخيوط التي ظلت تربط بين كعب والمجتمع الانساني الذي لم يعد يعني كثيراً بتوثيق اواصر الانتماء اليه ، وما يعنيه من هذا الانتماء الذي لا تنميه اليه وشيجة لم تتيح له من ان يمارس ما يصبو اليه من تعبير عن شخصية عنيفة ومزاج حاد ؟

لقد اتجه كعب الى عالم الصحراء يمارس انتماءه في وحشته ويعبر عن تطلع الى خوض صراع لم يكن مهيأ له ان يخوضه في اطاره الاجتماعي ، وذلك هو سر الغزارة الواضحة في عدد لوحات الرحلة من مقدمات قصائده والغزارة الواضحة لصور الصحراء في تلك اللوحات فضلاً عن غزارة قصائده ذات المقدمات التقليدية ، وتلك حقائق استخلصناها من دراسة إحصائية أجريناها على ديوان كعب ودواوين اربعة من معاصريه وتضمنها المسرد الاتي[32]

ونحن نريد ان نركن الى المدلول الكمي وحده في تقرير حقيقة عمق انتماء كعب الى عالم الصحراء وتعبيره عن وجوده الانساني

اسم الشاعر	عدد قصائد الديوان ومقطوعاته	المقطوعات والقصائد ذات الموضوع الواحد	نسبتها الى نصوص الديوان	القصائد ذات المقدمات التقليدية	نسبتها الى نصوص الديوان	عدد لوحات الرحلة	نسبتها الى عدد القصائد ذات الموضوعات التقليدية	عدد لوحات الرحلة التي تقتصر على وصف الناقة او الفرس	نسبتها الى عدد لوحات الرحلة	عدد لوحات الرحلة التي تتضمن وصف الصحراء مع وصف الناقة او الفرس	نسبتها الى عدد لوحات الرحلة
زهير بن ابي سلمى	٥٥	٢٥	٪٤٥،٤٥	٣٠	٪٥٤،٥٥	١٩	٪٦٣،٣٣	١٠	٪٥٢،٦٤	٩	٪٤٧،١٦
النابغة النبياني	٥٧	٥٥	٪٧٣،٣٣	٢٠	٪٢٦،٦٧	١١	٪٥٥	٨	٪٧٢،٧٣	٣	٪٢٧،٢٧
لبيد ابن ربيعة العامري	٦٤	٤٥	٪٧٠،٣٢	١٩	٪٢٩،٦٨	٩	٪٤٧،٣٧	٧	٪٧٧،٧٨	٢	٪٢٢،٢٢
الحطيئة	١٠٦	٧٤	٪٦٩،٨١	٣٢	٪٣٠،١٩	١٣	٪٤٠،٦٣	٩	٪٦٩،٢٤	٤	٪٣٠،٧٦
كعب ابن زهير	٣١	١٢	٪٣٨،٧١	١٩	٪٦١،٢٩	١٦	٪٨٤،٢١	٧	٪٤٣،٧٥	٩	٪٥٦،٢٥

من خلال خوض مخاطرها ، بل نقيم قناعتنا على استقراء طبيعة التفاصيل التي ضخمها في لوحات رحلته وهو يتحدث عن صحرائه التي ارتاد مجاهلها وواجه مخاطرها وعرض ذلك كله باسلوب ينم عن رغبة جامحة في تكرار تجربة الارتياد والمواجهة من خلال تعميق التفاصيل حتى كأن الصحراء غدت وطنه الذي لا يحس بالانتماء الا اليه ، وذلك هو السر في تحول لوحات كعب من نمط الوصف التقريري الذي نتأمله في دواوين شعراء القبائل الى نمط وصف الصعاليك الذي يشيع فيه تدفق التفاصيل وعفوية المعالجة المنبئة عن ان الشاعر يتحدث عن عالم مألوف يعيش فيه وليس العالم الذي يمر به مروراً كلما دعت الحاجة الى ذلك .

الم يكن رمل الصحراء وحده هو الوطن الذي تهفو اليه نفس كعب ؟ فعلى ذلك الرمل خلق الشاعر لنفسه مجتمعاً من مخلوقات غريبة ظل يعبر عن مدى قربها من نفسه وعمق رغبته في الانتماء اليها بعد ان انتزع نفسه من معاناة الاخفاق في التعبير عن ذاته في اطار الانتماء الى مجتمعه الانساني .

ففي صحراء كعب تعمر الجن تلك المجاهل التي لا يعمرها انسان ولكن عزيف الجن لا يبعث في قلب كعب الا الرغبة في الإصغاء لعله يعدن ما يسمع .

وضَرمــــاءَ مِــــذكـــارٍ كـــانّ دويَّهـــا
بُعيـــدَ جَنَـــانِ الليـــلِ ممـــا يُخيِّـــلُ
حـــديثُ أنـــاسيّ فلمـــا سَمعتُـــهُ
إذا ليس فيـــه مـــا أبـــينُ فـــأعقـــلُ[٣٣]

وتبقى صورة الجن ماثلة في لوحات صحراء كعب[٣٤] لتنبيء عن رغبته العارمة في ارتياد مالا يرتاده البشر من ارجائها القصية ، على انه يستحضر صورة اخرى عن الرغبة نفسها ، ففي الصحراء التي يمر بها جثث نوق هلكى جرب اصحابها ان يرتادوا بها الصحراء فكان الموت مصير الجميع :

ولا حب كحصـــيرِ الـــرامـــلاتِ تـــرى
من المَطيِّ عـــلى حـــافـــاتـــه جيفَـــا
والمــــذئبـــاتِ عليهـــا الطـــيرُ تنقـــرُهـــا
إمـــا لهيـــداً وإمـــا زاحفـــاً نَطِفَـــا[٣٥]

وتتكرر الصورة نفسها في لوحات رحلة كعب[٣٦] ...
واذ يدرك كعب ان صورة الابل الهلكى في الصحراء قد تغري بالظن

بان ثمة من ارتادها قبله فاخفق فانه يذهب الى ابعد من هذا فيستحضر صورة صحراء آمنت فيها القطا مرور العابرين فبنت اعشاشها على اديمها وتركت فراخها في تلك الاعشاش واثقة ان احداً لن يرتاد مواضع اعشاشها النائية :

ومُستهلـك يَهـدي الضّلـولَ كـأنّـه
حصـيرُ صناعٍ بـينَ أيـدي الـرّوامـلِ
مَتى مـا تشـا تَسمـعْ إذا مـا هبطتَـهُ
تَـراطُنَ سِرب مَغـرب الشمسِ نـازلِ
روايـا فِـراخٍ بـالفَـلاةِ قـوائم
تحطّمَ عنهـا البيضُ حُمـرِ الحـواصلِ
تـوائمَ أشبـاهٍ بغـير عـلامـةٍ
وُضِعنَ بمجهـولٍ من الارضِ خامـلِ(٣٧)

ونادراً ما يواجه كعب عالمه الصحراوي مع خليله الصعلوك الذي رأينا أنه مارس معه نشوة حياة الصعلكة في احد نصوصه ، فهو يفضل ان يقطع اخر خيوط الانتماء الانساني حين يستقبل افق صحرائه ليشكل خيوط انتماء جديد ، ففي وحشة تلك الصحراء ينسج كعب قصة استقباله لذئب وغراب يبغيان القرى فلا يجدان هذه ما يفيض عن قوته :

لطمتُ بُمـاشيني متضـانـلُ
من الطُلس احيـانـاً يخبُّ ويَفسِـلُ
يُحبُّ نُدُو الإنس منـه ومـا بـه
إلى أحـد يـومـاً من الإنس مَنـزلُ
تلـزّب حتّى قلتُ لم يَـدنُ هكـذا
من الإنس إلا جـاهـلٌ اومضلـلُ
مدى النَبلِ تلمشـاني إذا مـا زجـرتُهُ
قُشعـريـرةٌ من وجهـه وهـوَ مُقبـلُ
إذا مـا عوى مُستقبل الـرّيـح جـاوبتْ
مسـامعـه فـاهُ عـلى الـزّاد مُعـوِلُ
كنـوب إلى أن شبْ من كَشب واحـدٍ
مُحـالفـه الإقتـارُ لا يتمـوّلُ
كـأنّ نُخـانَ الـرِّمثِ خـالط لـونـهُ
يُغَـلُ بـه من بـاطنٍ ويُجلّـلُ
بصـيرٌ بـادغـال الضراء إذا خـدا
يَميـل ويخفى بـالجهـاد ويمثُـلُ

تـراهُ سميناً مـا شتـا وكـانّـهُ
حَميٌ إذا مـا صـافَ أو هـو أهـزلُ
ـان نسـاهُ شرعـةٌ وكـانـه
اذا مـا تمطى وجهـة الـريـح مِخمـلُ
وخمش بصـبـيحُ المقلتين كـانه
اذا مـا مشى مستكـرهً الـريـح اقـزل

يكـاد يرى مـا لا تـرى عـين واحـد
يُتيحُ لـهُ مـا غيُب الثُـربُ مغـوّلُ
إذا حضراني قلتُ لـو تعلمـانـه
ألم تَعلمـا أني من الـزاد مُـزمـلُ
غـرابٌ وذئبٌ ينظـران متى أرى
مُنـاخ مبيتٍ اومقيـلًا فـانـزلُ
أغـارا عـلى مـا خُيِّلتْ وكِـلاهمـا
سيخلفُـهُ منّي الـذي كـان يَـامُـلُ(٣٨)

وتشير المتابعة المتأنية لصورة الذئب والغراب الى هذه اللذة الخفية التي كان كعب يعيش كل لحظة من لحظاتها وهو ينغمر في انتمائه الذي اختاره فيتابع ملامح شخصياته ويصور ادق الانفعالات التي تنتابه وهو يتأمل تلك الشخصيات ويرسم صورها التي حفرت عميقاً في ذاكرته ، اما ضمير المتكلم المفرد فهو اشارة حاسمة اخرى الى ان كعباً لم يكن يتحدث عن (رحلة) عادة ما كان اهل البادية يقطعونها في ركب جماعي ، انه يتحدث عن ارض يحس ان جذوره وحدها ينبغي ان تنغرس فيها ، ومجتمع يريد ان يمد جسور انتمائه المتفرد إليه .

واذ يمثل الجن والقطا وجثث الرذايا والذئب والغراب مخلوقات مجتمع كعب الصحراوي فان ثمة مخلوقاً اخر ظل يرفقه في رحلته ليمثل القاسم المشترك بين المجتمع الانساني الذي غادره والمجتمع الصحراوي الذي يطمح الى ان يذوب فيه ، انه (الناقة) التي بدت في كل لوحاته اداة مواجهة تمتلك مواصفات القدرة والصلابة والضخامة سواء من خلال سماتها الخارجية المنظورة أم من خلال قدراتها الكامنة في عزمها المتجدد على مواصلة الشوط المجهول .

ان تركيز كعب على وصف الناقة وامتداد ذلك الوصف على مساحة متميزة في بعض قصائده(٣٩) لا ينبغي ان يشغلنا عن حقيقة مدهشة وهي ان هذه الناقة تغادر واقعها الحيواني احياناً لتتقمص الصورة التي ظلت تشكل عقدة حرمان كعب من الحياة الاسرية المستقرة ، فهي غالباً ما تحتل الموضع الذي كان ينبغي ان تحتله شريكة الحياة في رحلة العمر .

ناقة كعب تتحول رمزاً للأمان والسكن والاطمئنان ، بل انه ليغلو في تعميق علاقته الانسانية بها وهما يواجهان ليلًا موحشاً في مهمة قفر فينيخها ويتوسد الرمل تاركاً لها ان تحرسه ولكنه ما يكاد يغفو حتى يهب حين يحس انها هي بحاجة الى النوم فيؤامر نفسه ايتولى حراستها كما تولت أم ينام ويدع مصيرهما كليهما للاقدار .

انخت قلـوصي واكتـلاتُ بمينهـا
وآمـرتُ نفسي أيّ امـريْ أفعـلُ
أأكلـؤهـا خـوفَ الحـوادث إنهـا
تـريبُ عـلى الانسـان أم أتـوكّـلُ(٤٠)

أليست الزوجة التي تعين على متاعب الحياة أليق بهذه الصورة من الناقة ؟

من هنا كان هاجس كعب في لوحات رحلته ان يقرن بين صورتي الناقة والمرأة بوسائل فنية مختلفة فهو يعمد الى الربط المباشر بين صورة أوب ذراعي ناقته وأوب ذراعي النائحة الثكلى التي يبعثها حنانها الاسري على الافراط في ايلام نفسها وتعذيب جسدها وقد واجهت مصيبة فقد ولدها البكر .

كــأن أوب ذراعيهــا وقــد عــرقتْ
وقــد تلفَّــع بــالقــورِ العســاقيـلُ
يــوماً يظلُّ بــه الحرباءُ مصطخداً
(?)

كأن ضاحيه بالشمس مملولُ
وقــال للقــوم حــاديهم وقــد جَعَلتْ
وُرق الجنــادب يــركضْن الحصى قيلــوا
شــدُّ النهــار ذراعــا عيطــلٍ نصف
قــامتْ فجــاوبهــا نُكْــدٌ مثــاكيـلُ
نــوّاحــةٌ رخــوةُ الضبعــين ليس لهــا
لمّــا نعى بكــرهــا النــاعــون معقــولُ
تَفــري اللبــان بكفَّيهــا ومــدرعُهــا
مشقَّقٌ عن تــراقيهــا رعــابيــلُ[11]

على ان صورة المرأة تتسلل الى مقاطع وصف الناقة من منافذ اكثر خفاء واقدر على بعث دهشة المتلقي فعين ناقة كعب التي تبرها للدرب الممتد حتى الافق اشبه بمرآة الصناع الحاذقة التي تعرف كيف تتزين لزوجها فتظهر له ابهى محاسنها وتواري ما سواها .

وتــديــرُ للخــرق البعيــد نيــاطُــهُ
بَعْــدَ الكــلال وبَعْــدَ نَــوم السّــاري
عينــا كمــرآة الصّنــاع تُــديــرهــا
بــأنــامــل الكفّــين كــلَّ مُــدار
بجمــال محجــرهــا وتعلمُ مــا الــذي
تُبــدي لنظــرة زوجهــا وتُــواري[12]

أليس من حقنا ان نظن ان المرأة الوفية الرقيقة الحريصة على رضى زوجها وده كانت عقدة نقص كعب التي عانى منها وهو يواجه واقع الشر الذي كان يدور بينه وبين زوجه لفقره وسوء خلقه ؟

وما دام كعب غير قادر على تغيير واقعه الاسري الممزق فان من حقه ان يعمد الى ممارسة نمط من احلام اليقظة التي يعوض فيها عن حرمانه باعادة تشكيل ملامح ناقته في عالمه الصحراوي الذي ما كان ينبغي ان تحتله المراة المثال في عالمه الانساني الذي غادره الى غير رجعة .

لقد بلورت حياة كعب في بني مرة الغطفانيين هذا التوجه العنيف الى التحول بالانتماء من الاطار الاجتماعي الى الاطار الصحراوي الذي كاد نمط كعب الشعري فيه يبدو اقرب الى نمط الصعاليك ، أما الحس القبلي وما يتمخض عنه عادة من آثار واضحة في شعر شعراء القبائل ويتوزع بين مديح وهجاء وفخر ورثاء فإننا نكاد لا نلمح له اثراً في نتاج كعب في المرحلة التي قضاها في بني مرة ، فديوانه كله لا يضم الا نصاً واحداً من ثلاثة ابيات توجه الى (آل بهثة) يدعوهم الى العودة الى ذبيان بعد ان غادروا ارضهم مغاضبين واستقروا في موضع يقال له (تثليث) ، وهي ابيات لا تنم عن تفاعل صادق ولهذا بدت ادنى الى النثرية في اطارها الادائي :

هلمَّ اليـنــا آل بُهثــة إنمــا
هي الــدّارُ لا نعتــاضهــا ونهينهــا
هلمّ الى ذبيــان ان بــلادهــا
حُصُــون وانّ السمهــريّ قــرونُهــا
ولا الفينكم تمكُثُــون بقُنّــة
بتثليث انتم جُنُــدهــا وقطينُهــا[13]

لقد ظل كعب يتطلع الى انتمائه الدموي المفقود وهو مضطر الى العيش في كنف ابيه الذي ظل مقيما في اخواله المريين ، ولكن وفاة ابيه فتحت امامه فرصة اللحاق بانتمائه المزني الذي لم يعد له منفذ للحياة الكريمة سواه . وكانت مزينة تخوض مشكلات عنيفةمع الخزرج ، فقد روي ان رجلًا مزنياً يقال له (جوي) نزل على حلفاء مزينة من الاوس ، وكانوا في قتال مع الخزرج ، فخرج معهم للقتال فاصيب فرآه ثابت بن منذر والد حسان الشاعر فشمت به وعرض بمزينة فاقسم جوي وهو يجود بانفاسه ان مزينة ستقتل به من الخزرج خمسين ليس فيهم اعور ولا اعرج[14] وبلغ الخبر مزينة ولكن يبدو انها لم تكن مهياة لطلب الثار ، وهنا وجد كعب فرصته للتعبير عن عنف الشخصية وحدة مزاجه ، فراح يحرض مزينة على الثار لعلها تخوض اتون حرب ظلت نفسه تتوق الى خوضها عندما كان مقيماً في اخواله المريين ، وكان ان توجه الى قومه بقصيدة تحريض اقام مضمونها على نمط من الايلام النفسي القائم على التهكم ، فهو يعلن عن خشيته من ان يطول الزمن حتى يموت القتلة ثم يموت اولادهم فلا تجد مزينة من تثار منه مكتفيه بالوعيد الفارغ الذي لا طائل وراءه .

فــابلــغ ان عــرضت بنــا رســولًا
أبــا الملــوح إنَّ لــه جــلالا
أســود خلفكم هــرَمــاً ولمــا
تــذوقــوا من عــداوتنــا نكــالا
ولَمّــا تفعلــوا إلّا وعيــداً
وينقــلُ من أمــاكنهــا الجبــالا[15]

وتبلغ قصيدة كعب مبلغها من نفوس المزنيين فيغيرون على الخزرج في يوم بعاث ويقتلون منهم عدة وياسرون ثابت بن المنذر ويابون ان يفادوه الا بتيس اسود اجم امعاناً في اذلاله .

وكان ذلك كله موقفاً يشفي نفس كعب وينفس عن هذا

الاندفاع المكبوت في اعماق نفسه سنين طوالًا ، فتلك هي الحياة التي كان يبحث عنها وهو مكتوم الانفاس في اخواله المزنيين اليس من حقه وهو يشارك في اول معركة ويحرز اول نصر ان يتدفق بنشيد انتقام يودعه كل انفعالات مزاجه الحاد وشخصيته المندفعة التي وجدت متنفسها في اجواء خوض سيل الدم وادراك الثار .

لقد ولي أليته جوي
معاشر غير مطلولٍ أخوها
فان تهلك جُويُّ فكل نفسٍ
سيجلبُها كذلك جالبوها
وان تهلك جُويُّ فإن حرباً
كظنك كان بعدك موقدوها
وما ساءت ظنونُك يوم تُولي
بارماحٍ ولي لك مشرعوها
كانكَ كنت تعلمُ يوم بُزّتْ
ثيابُك ما سيلقى سالبوها
لنذرك والنذورُ لها وفاءُ
إذا بلغ الخزاية بالغوها
صبحنا الخزرجية مُرهفات
أباد نوي ارومتها نووها
فما عُتِرَ الظباء بحيّ كعب
ولا الخمسون قطّر طالبوها(٤٦)

ولم تكن هي الفرصة الوحيدة التي اتاحت لكعب منفذ التعبير عن هاجس العنف الذي لم يكن متاحاً له الا من خلال انتمائه الدموي الذي عاد اليه ، فقد قتلت بنو سليم ربيعة بن مكدم وكان لكعب خؤولة في كنانة قوم ربيعة ، وبلغه ان بني سليم يعرضون دية ربيعة على كنانة فخشي ان يقبلوها وعمد الى تحريضهم على رفض الدية ودعاهم الى خوض مثل ما خاضته مزينة يوم بعاث لادراك ثار قتيلها جوي ، فكان ان تدفق بقصيدة يقول في بعض ابياتها .

أبلغ كنانة غثها وسمينُها
البائلين رباغها بالقاطنِ
إن المذلة ان تُطلَّ دماؤكم
ودماء عوف ضامنٌ في الساهنِ
أموالكم عوضٌ لهم بدمائهم
ودماؤكم كلفٌ لهم بظعائنِ
طلبوا فادرك وترهم مولاهمُ
وأبت سماتكم ابناء الحارن
شُدوا المآزر فاثاروا باخيكمُ
إن المكارم نعم ربحُ الثامن(٤٧)

وتبقى (موثبات) كعب مفعمة بدلالاتها على عمق رغبته في اثارة الخصومات واذكاء نار الحرب عن طريق الموازنة بين موقفي الذل والكرامة وسحب المتلقي الى اختيار موقف المواجهة من خلال التذكير بالهوان الذي سيكون عند اختيار أي طريق آخر .

وتلك هو سر بحث كعب عن انتمائه القبلي الذي ظل يطمح الى ان يعبر فيه عن ذاته بعد ان عاني من كبت الواقع المسالم الذي اضطر الى الرضوخ له ، وهو في اخواله المزنيين ، ولم يستطع التمرد عليه الا من خلال احلام يقظته التي مارسها في لوحات رحلته التي رأينا تفاصيلها المتجهة الى فتح منافذ المغامرة والتنفيس عن طاقة الشر المكبوت .

ويبزغ نور الاسلام وكعب يعيش بين ظهراني قومه المزنيين الذين لم يدخلوا في الإسلام ، وكانت تلك فرصة جديدة للتعبير عن عنف الشخصية وحدة المزاج بعد ان توفرت أرضية الانتماء الكفيلة بمنحه ثقة الاطمئنان الى القوة الضامنة لحمايته حين تدلهم الخطوب .

وتتباين الاراء في مسالة موقف كعب من الإسلام ، فالمعروف ان الرسول (ﷺ) كان يبلغه هجاء شعراء المشركين فلا يزيد على ان يوجه الشعراء المسلمين للرد عليهم ، ولم يهدر دم احد منهم إلا كعب بن الاشرف الذي أمعن فشبب بنساء المسلمين وأفحش ، ومن هنا لنا ان ناخذ بما رواه ابن الاثير الذي ذهب الى الرسول (ﷺ) انما أهدر دم كعب بن زهير لتشبيبه بام هانيء بنت ابي طالب التي كان الرسول (ﷺ) يرغب في الزواج بها ثم لم تقسم له(٤٨) .

وكان ان دخلت مزينة في الاسلام فخذلت كعباً الذي بقي مطارداً حتى جاء هو واخوه بجير فنزلا موضعاً يقال له (ابرق العزاف) يستطلعان اخبار الرسول (ﷺ) ، فقال بجير لكعب اثبت حتى آتي الرجل فانظر ما يقول . فلما لقي بجير الرسول (ﷺ) شرح صدره للإسلام فاسلم وأرسل الى كعب ان اقبل فإن الرجل لا يقتل أحداً جاءه تائباً ، ولكن كعباً ارسل الى اخيه شعراً يعاتبه فيه على خذلانه له فاجابه بجير بشعر مثله(٤٩) .

وتضيق الارض بكعب فلا يجد الا ان يقبل على الرسول (ﷺ) ليعلن إسلامه وينشده بردته(٥٠) .

ويذهب الدكتور طه حسين مذهباً متفرداً في اضاءة بعض جوانب قصة اسلام كعب حين يقرر ان كعباً وبجيراً عندما وردا ابرق العزاف كانا قد ائتمرا على اغتيال الرسول (ﷺ) وان الذي تطوع للمهمة هو بجير على حين كانت مهمة كعب هي انتظاره لتسهيل امر الهرب ، بيد ان بجيراً اسلم فاسقط في يد كعب وذلك هو سر طبيعة عتاب كعب لبجير في ابياته التي وجهها اليه حيث يقول :

الا أبلغا عني بجيراً رسالة
فهل لك فيما قلت بالخيف هل لكا(٥١)

ونحن نعترف بأن طه حسين ـ لو صدق ـ ادنى الى التعبير عن شخصية كعب العنيفة ولكننا نفتقد التوثيق التاريخي له .

ويبدو ان دخول كعب في الإسلام لم يلغ من شخصيته هذا الميل العنيف في الاندفاع والحدة ففي بردته ـ وهي اولى قصائده

التي أنشدها بعد اسلامه ـ تبدو (سعاد) التي افتتح قصيدته بالنسيب بها كائنة خداعة (سيط من دمها فجع وولع واخلاف وتبديل) ، وهي صيغة رأيناها شائعة في نصوصه الجاهلية التي انبثق اكثرها في مواقف الشر والخصومة التي عكست آثارها على صور المرأة في مقدمات قصائده ، بيد ان ذلك لا يثلب من وجاهة ما ذهب اليه الدكتور عناد غزوان من تحليله للبردة حين ذهب الى ان صورة (سعاد)هي معادل صورة (العصبة) التي كان كعب يعتمد على مساندتها في محاربته للإسلام ولكنها خذلته فتركته وحيداً امام تهديد الموت[52] وثم حقيقة اخرى ينبغي لنا ان نتاملها وهي ان اولى قصيدتين قالهما كعب بعد اسلامه وهما (البردة) و (الرائية في مدح الانصار) ضمنتا لوحتي رحلة على ناقة ، وفي كل لوحة منهما عودة الى الصحراء الموحشة التي كانت منفذه للتعبير عن احساسه بالانسلاخ من الانتماء الاجتماعي وانغماره في الانتماء الى عالم التفرد في اجواء الوحشة والانقطاع ، وذلك ما يغرينا بالظن بان كعباً عاد الى احساسه بالغربة وهو يعيش في مجتمعه الاسلامي الجديد الذي يبدو انه دخله اولًا فزعاً من إهدار الدم ، بيد ان هذا الاحساس لم يدم طويلًا ، فقد انغمر كعب في انتمائه الاسلامي الجديد وحسن اسلامه حتى انه ليتوجه الى قومه المزنيين الذين يبدو نقضوا اسلامهم فارتدوا يدعوهم في قصيدة له الى ان يجمعوا امرهم ويوفوا بما عاقدوا الرسول (ﷺ) :

رحلتُ الى قومي لادعو جُلَّهم
الى أمرِ حزمٍ أحكمتهُ الجوامعُ
ليوفوا بما كانوا عليه تعاقدوا
بخيف مني والله راء وسامعُ
وتُوصل أرحامٌ ويفرج مُغرمٌ
وترجع بالوُدِّ القديم النوازعُ
فابلغ بها افناء عُثمانَ كلَّها
وأوساً فبلِّغها الذي أنا صانعُ
سادعوهمُ جهدي الى البِرِّ والتقى
وأمرِ العُلا ما شايعتني الاصابعُ
فكونوا جميعاً ما استطعتم فانه
سيلبسكم ثوبٌ من الله واسعُ[53]

ومضمون القصيدة وتفاصيلها يقدمان اشارة حاسمة الى تمكن العقيدة من نفس كعب وتوجهه بانتمائه كله الى هذا المجتمع الاسلامي الذي لم يعد الانتماء القبلي يضاهيه باية حال .

وعلى الرغم من اننا لا نسمع لكعب شعراً إسلامياً بعد هذه العينية فانها وحدها كفيلة بان تمنحنا الاطمئنان الى تصورنا لطبيعة استقرار الرجل على انتمائه الجديد .

لقد عانى كعب من واقع انتمائه المزدوج في الجاهلية ، وعانى من الواقع نفسه أبان بزوغ نور الإسلام وظلت نفسه المضطربة تبحث عن التعبير عن اندفاعها وحدتها من خلال انتماء يضمن لها ذلك التعبير في مجتمع لا وزن فيه الا للفعل الجماعي ، من هنا تحولت حياته الى سلسلة من الاضطراب بحثاً عن هذا الانتماء حتى وجدت استقرارها الامثل في ظل العقيدة الاسلامية ، ولكن الاجل لم يدع له فرصة التعبير الواضح عن اطمئنانه الى هذا الانتماء الا في قصيدته العينية ، وما يدرينا لعل العمر لو امتد بكعب لسمعنا ما يؤكد هذه الحقيقة التي استنبطناها من نص فريد ، ثم ما يدرينا لعل فيما ضاع من شعره مالو كشفت عنه الايام لاتاح لنا فرصة إقامة الاستنباط على أسس توثيقية جديدة .

■ الهوامش والمصادر

(١) ينظر الاغاني ، لابي فرج الاصفهاني ، طبعة دار الكتب ، ١٠ / ٢٩١ ـ ٢٩٣ .

(٢) ينظر شرح ديوان زهير ، طبعة دار الكتب ١٩٤٤ م ، ٢٢٥ والاغاني ١٠ / ٣١٢ .

(٣) ينظر شرح ديوان زهير ٢١٣ والاغاني ١٧ / ٨٢ .

(٤) طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مصر ١٩٧٤ م ، ١ / ٥١ .

(٥) م ٠ ن ١ / ١٠٩ ، ١٠٦ .

(٦) الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، مصر ١٩٦٧ م ، ١ / ١٤١ ، ١٣٧ .

(٧) ينظر السيرة النبوية ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مصر ١٩٧٧ م ، ١ / ١١٤ .

(٨) ينظر المعمرون والوصايا ، تحقيق عبد المنعم عامر ، مصر ١٩٦١ م ، ٨٣ .

(٩) ديوانه طبعة دار الكتب ، ١٩٥٠ م ، ٦٧ .

(١٠) م ٠ ن ، ١١٢ ، ٦٩ .

(١١) الاغاني ، ٢ / ٦٢٨ .

(١٢) الشعر والشعراء ١ / ١٣٩ .

(١٣) ينظر المحبر ، لابن حبيب ، تحقيق ايلزة ليختن ، بيروت (د . ت) ، ٢٢٨ .

(١٤) جمهرة اشعار العرب ، لابي زيد القرشي تحقيق علي محمد البجاوي ، مصر ١٩٦٧ م ، ١ / ٧١ .

(١٥) ينظر ديوانه ، ١٦٤ ، ٣٠٠ ، ٢٢١ .

(١٦) ديوانه ٥٦ .

(١٧) ينظر ديوانه ٢١٣ .

(١٨) ينظر الاغاني ١٧ / ٨٤ ـ ٨٥ .

(١٩) تنظر تفاصيل الرواية كاملة مع الشعر في ديوان زهير ٢٥٦ وما بعدها .

(٢٠) ديوانه ٢٠٩ .
(٢١) تنظر تفاصيل الحادثة والنص في ديوان كعب ١٢٦ وما بعدها . توائم : توافق ، لحى : لام ، قاذعت : دافعت وشاتمت ، وقد اخذنا برواية الاحوال لهذه الكلمة فهي أليق من (قادعت) بالدال المهملة التي وردت في رواية السكري .
(٢٢) ينظر الفاخر للمفضل بن سلمة تحقيق تشالز انبروز ، لايدن ١٩١٠ م ، ١٤٥ .
(٢٣) ديوانه ١٥٣ ، لم تعرج : لم تعطف . لم تؤامر : لم تشاور ، امين: قيم عليها ، رجيعاً : مكرراً .
(٢٤) ديوانه ١٢٨ ، ثنى : مرة بعد مرة . ويب : ويح ، العين : بقر الوحش واحدتها عيناء ، الملمعة الشوى : التي في قوامها بقع تخالف سائر لونها .
(٢٥) تنظر نصوص اخرى من هذا النمط في ديوانه ٧٠ ، ٤١ .
(٢٦) ديوانه ٢١٣ .
(٢٧) م . ن ١٥٣ . والمحارف : الذي لا ينمى له مال .
(٢٨) م . ن ٩٢ . الخليط المزايل : الشريك المفارق .
(٢٩)م . ن ٨ . سيط : خلط ، ولع : كذب .
(٣٠) م . ن ٤٢ . غير فاحش : دمث الخلق ، غايات التجار : اقصى ثمن يطلبون . حصور : ضيق . يتبسل : يعبس .
(٣١) م . ن ١٨٥ . حيا النار : لاحياء النار : رباته يرقبت له ، مرقب : مكان شرف ، الاحزة : جمع حزيزة وهي المكان الغليظ . نقباً : طريقاً في الجبل ، واغر : حاقد .
(٣٢) اعتمدنا في استخراج حقائق المسرد على دواوين الشعراء المحققة تحقيقاً علمياً فرجعنا الى ديوان النابغة تحقيق د . شكري فيصل ، دمشق ١٩٦٨ م وديوان لبيد تحقيق د . احسان عباس ، الكويت ١٩٦٢ م ، وديوان الحطيئة تحقيق نعمان امين طه ، مصر ١٩٥٨ م ، وطبعة دار الكتب لديواني زهير وكعب .
(٣٣) ديوان كعب ٤٥ . صرماء : ارض لا نبت فيها ولا ماء ، مذكار : لا يسلكها الا الذكور ، دويها : عزيف الجن فيها ، جنان الليل : ظلمته .
(٣٤) ينظر ديوانه ٩٤ .
(٣٥) م . ن ٧٢ ، لاحب : طريق بين ، الراملات : الناسجات ، المرنيات : الهزلى المعيبة ، لهيداً : لهدها الحمل فنقب جنبها فتفسخ . النطف : الذي هجم الدبر على جوفه .
(٣٦) ينظر ديوانه ١٢٤ .
(٣٧) م . ن ٩٢ ، مستهلك : طريق ، الروامل : النواسج ، وتنظر صورة مماثلة في الديوان ٧٦ .
(٣٨) م . ن ٤٦ . متضائل : نحيف ، الطلس : الذئاب . يعسل : العسلان مشي الذئب . جاوبت مسامعه فاه : أي تدخل الريح من فمه وتخرج من مسامعه لخلاء جوفه ، الاقتار : الفقر ، الرمث : نوع من الشجر يعل يدخل في آباطه ، يجلل : يعلى عل متنه ، الضراء الشجر الذي يواري الانسان ، يميل : يميل الجهاد : الصلب ، يمثل : ينتصب ، مشرعة : وتر ، محمل محمل السيف شبه به لدقته ، حمش : غراب ، اقزل : اعرج ، معول : شبه منقاره به ، مرمل : ناقص الزاد ، شجاعي رملة : حيتا رمل .
(٣٩) ينظر مثلاً ديوانه ٩ ـ ١٨ ، ٢٢ ـ ٢٦ ، ٨٠ ـ ٨١ ، ٩٤ـ ٩٧ ، ١١٥ ـ ١١٨ ، ١٣٨ ـ ١٣٩ ، ١٥٩ ـ ١٦١ ، ٢١٧ ـ ٢٢٢ ، ٢٢٥ ـ ٢٢٧ .
(٤٠) ديوانه ٥٥ . اكتلات : كلا ، حفظ .
(٤١) م . ن ١٦ . أوب : رجع ، القور : الجبال ، العساقيل السراب ، ورق : ذات لون رمادي ، شد النهار : ارتفاع النهار ، عيطل : امرأة طويلة ، نصف : بين الشابة والمسنة ، الضبعين : العضدين ، تفرى اللبان : تشق وما حوله ، تراقيها : جمع ترقوة وعنى بها الترقوتين وما حولهما ، رعابيل : متخرقة .
(٤٢) م . ن ٤٠ . الخرق : الذي انخرق في الفلاة فذهب ، نياطه : مايتعلق به من نهاية ، الكلال : الاعياء ، الصناع : المرأة الحاذقة .
(٤٣) م . ن ٢٠٧ . نمتاضها : نتركها ، السمهري : الرمح ، قرونها : ما تناطح به أعداءها ، قنة : رأس جبل ، تثليث : موضع .
(٤٤) تنظر تفاصيل الحادثة في ديوان كعب ٢٠٩ .
(٤٥) م . ن ٢٠٥ . معود : هالك ، خلفكم : أولادكم ، تخدج : تضع قبل تمام الجنين .
(٤٦) م . ن ٢١١ . اليته : حلفته ، تولي : تقسم ، عتر الظباء : أي نبحث الظباء بدلاً من النذر .
(٤٧) ينظر الخبر والقصيدة كاملة في الاغاني ١٦ / ٦١ وبعض ابيات القصيدة في ديوان كعب ٢٢٩ .
(٤٨) ينظر الكامل في التاريخ ، ابن الاثير ، بيروت ١٩٦٦ م ، ٢ / ٢٧٤ ؟
(٤٩) تنظر المقطوعتان في ديوان كعب ٣ ، ٤ .
(٥٠) تنظر تفاصيل قصة إسلام كعب في السيرة النبوية لإبن هشام تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مصر ١٩٣٧ م ٤ / ١٤٩ .
(٥١) ينظر تفصيل راي الدكتور طه حسين في كتابه في الادب الجاهلي ، مصر ١٩٢٧ م ، ٢٩١ .
(٥٢) تنظر دراسته للبردة في مجلة الطليعة الادبية ، العدد ٥ ، بغداد ١٩٧٩ م .
(٥٣) ديوانه ١١٢ . اوس وعثمان ولدا عمرو بن اد بن طابخة وامهما مزينة بنت كلب بن وبرة واليها ينسب عقبها وزعم الاصمعي ان القصيدة لاوس بن حجر ولا يعقل ذلك فاوس تميمي وليس مزنياً .

مجالس ابن الجوزي في بغداد وآثارها الاجتماعية

أ . د . حسن عيسى الحكيم
جامعة الكوفة

ادرك ابن الجوزي معظم القرن السادس الهجري ، وعايش ظواهر اجتماعية خطيرة ، واضطرابات سياسية واسعة في ظل السيطرة السلجوقية على الخلافة العباسية ، وقد شهدت مدينة بغداد تيارات اجتماعية وفكرية متناحرة بالاضافة الى افتقارها للاستقرار السياسي ، فقد كانت تعاني من تضارب التيارات وصراعاتها الداخلية دون ادراك واع لاخطارها على حاضر المجتمع ومستقبله ، وقد عاصر ابن الجوزي احداث بغداد السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية ، ورأى بأم عينيه اتساع الفتن الاجتماعية ، واصبح من واجبه الشرعي ارشاد الناس الى الفضيلة ، وجرهم الى جادة الصواب ، وذلك عن طريق مجالسه الوعظية ، واراد ابعاد الوعاظ والزهاء عن التكسب والحفاظ على رسالة الواعظ الانسانية في مراميها ، والدينية في اهدافها ، والنقية في غاياتها ، وقد تصدى للذين انحرفوا عن هذه الاغراض في كتابه « تلبيس ابليس » بجرأة وبسالة ، وقد اكتسبت مجالسه الوعظية ارضية اجتماعية واسعة النطاق ، ولم تحصل لغيره من اعلام عصره الذي كان زاخراً بالوعاظ والزهاد ، ولذا مارس النقد الاجتماعي من خلال تقويمه للعديد من الانماط السلوكية والفكرية للمجتمع البغدادي ، وتسليط الاضواء على اخطار بعض الانماط السلوكية التي كانت سائدة في المجتمع ، كما تبدو جرأته في تناول موضوعات كان الاخرون يتجنبون الخوض فيها .

وقد اسهم ذلك في بروزه كخطيب يمتاز بسمعة كبيرة ، فهو خطيب بغداد وواعظها وفقيهها ومؤرخها حتى انه لقب بعالم العراق وواعظ الافاق[١] . وقد عد مجالس وعظه واجبا دينياً يجب ان يؤدى بصورة صحيحة سليمة فيقول : « وما زالت نفسي تنازعني بما يوجبه مجلس الوعظ وتوبة التائبين »[٢] . وعن هذا الطريق تمكن ابن الجوزي من الاتصال بالجماهير مما ادى الى الالتصاق به في حله وترحاله . ولقيت مجالسه اصداء واسعة في المجتمع البغدادي ، وحوّل دروسه الوعظيةّ الى كتب مستقلة لاقت هي الاخرى تقديراً خاصاً لدى قرائها والمعنيين بمسائلها[٣] . واشار ابن رجب (ت ٧٩٥ هـ) الى هذه الظاهرة بقوله : « أن مجالسه الوعظية لم يكن لها نظير ولم يسمع بمثلها » .[٤] ويقول ابن جبير (ت ٦١٤ هـ) : « فشاهدنا هولا يملأ النفوس انابة وندامة ، ويذكرها هول القيامة ، فلو لم نركب ثبج البحر ، ونعتسف مفازات القفر الا لمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل لكانت الصفقة الرابحة والوجهة المفلحة الناجحة »[٥] وكشف هذا الرحالة المعاصر لابن الجوزي عن تلك المجالس الوعظية واقبال الجماهير البغدادية اليها في رحلته ، وتحدث عنها ابن الجوزي في كتبه ، وقد تركت في النفوس في حينها حاكمين ومحكومين آثاراً عميقة غيرت بعض الملامح السلوكية والنفسية لكثير من الناس ، وهذا يمكننا تحديد هذه الاثار بما يلي :

١ - الاثر الاجتماعي العام

قدّر ابن الجوزي حضار مجلسه باكثر من مائة الف نسمة[٦] . في نص آخر قدر العدد بثلاثمائة الف[٧] . وقد تكون في هذه الارقام مبالغة وضخامة ، فهي مع ذلك تكشف عن كثافة جماهيرية واسعة ، وتعلق عميق بشخصيته ، واذا تغلغلت كلماته الوعظية في النفوس تساقط عليه الحضور معلنين التوبة ، وليس غريباً ان يصبح ابن الجوزي مناراً يهتدى به للسلوك القويم ، لانه كان قريباً من فئات المجتمع البغدادي وشاعراً بمعاناته ، وقد لعبت اراؤه المنبرية الوعظية دورها في التفاف المجتمع حوله وقدم ارشاداته باسلوب بعيد عن التكلف والتصنع ، معززاً احاديثه بآيات من القرآن الكريم والسنة الشريفة ، وقد اشار ابن جبير الى هذه الخصائص بقوله : « اتى بعد ان فرغ من خطبته برقائق من الوعظ . وايات بينات من الذكر ، طارت لها النفوس اشتياقاً وذابت بها الانفس احتراماً ، الى ان علا الضجيج وتردد بشهقاته النشيج ، واعلى التائبون بالصياح ، وتساقطوا عليه تساقط الفراش على المصباح ، كل يلقي ناصيته بيده فيجزها ويمسح على راسه داعياً له ، منهم من يغشى عليه فيرفع في الاذرع

اليه »[8] . واشار ابن الجوزي الى مجلس عام ٥٧١ هـ ، الذي عقده في يوم عرفة ، بانه كان مجلساً عظيماً تاب فيه خلق كثير ، وقطعت شعوراً كثيرة[9] . ويشير هذا التاثير الاجتماعي الى عمق ثقافة ابن الجوزي ، والاسلوب الادبي الجميل الذي يمتاز به ، بحيث اذا وعظ اختلس القلوب ، وتشققت النفوس دون الجيوب[10] . وكان يقول : « ما زالت اعظ الناس واحرضهم على التوبة والتقوى فقد تاب على يدي اكثر من مائة الف رجل » ويقول : وقطعت من شعور الصبيان اللاهين اكثر من عشرة الاف طائلة[11] . وكان قد تصدى لهؤلاء الصبية الذين استخفوا بالاعراف المرعية والاداب العامة بانحراف سلوكيتهم عن الطريق السوي ، فاعادتهم هذه المجالس الى رشدهم وصوابهم ، فاعلنوا التوبة ، وندموا على طرقهم الملتوية ، وكان هؤلاء التائبون ينتظرون انعقاد هذه المجالس ليقدموا نواصيهم لابن الجوزي ليجزها ، ويمسح برؤوسهم ، ويدعو لهم[12] . ويبدو ان ابن الجوزي قد اثارت انتباهه بعض الانماط السلوكية لدى الشباب والصبيان الذين انحرفوا عن معايير المجتمع ، لانهم عاصروا اوضاعاً نفسية واجتماعية سيئة ، وتزداد معاناة هؤلاء من الفراغ الروحي والوازع الديني ، مما جعل هذه الشريحة من الناس تختار لنفسها حلولاً للخروج من هذه المعاناة ، او اتباع نوع معين من السلوك تحدياً للواقع الاجتماعي وردود فعل سريعة عليه . كان يرتدوا نوعاً من اللباس غير المقبول اجتماعياً ، واطالة شعورهم تشبهاً بالنساء ، ولذا ركز ابن الجوزي على هذه الشريحة من الناس ، فعادت الى صوابها ورشدها ، فاعلنت التوبة اسفة بما بدا منها من انحلال وتفسخ ، والعودة الى الدين وقيمه السامية ، وقد جاءت مجالس ابن الجوزي لتعيد الثقة الى نفوس التائهين وغيرهم من الناس ، فقد كانوا ينتظرون انعقاد هذه المجالس ليتزودوا بزاد روحي يدعو الى محاسبة النفس مما يخلق في دواخلها من احساسات تجعلها ترفض الذنوب والاثام ، يقول ابن رجب : « ابدت النفوس سر شوقها المكنون ، وتطارح الناس عليه بذنوبهم معترفين بالتوبة معلنين وطاشت الاسباب والعقول وكثر الوله والذهول »[13] . ولذا يكون الدين احد الوسائل التي تعزز الضبط الاجتماعي ويغرس في النفوس الفضائل والقيم والاخلاق .

ولم يكن ابن الجوزي مؤثراً في المجتمع البغدادي بخطبه المنبرية الوعظية ، وانما في شعره ايضاً ، فقد وصفه ابن جبير بقوله : « فاما نظمه فرضي الطباع ، مهياري الانطباع »[14] . ولكن في الحقيقة ان شعره لا يعدو مستوى نظم الفقهاء ، وقد امتزج بالوعظ والزهد والقناعة ، وهذا ناتج من عمق ثقافته الدينية وتضلعه بالخطابة ومنه :[15]

اذا رضيت بميسور من القوت
اصبحت في الناس حراً غير ممقوت
ياقوت نفسي اذا ما در خلفك لي
فلست اسى على در وياقوت

واوصى ان تكتب على قبره هذه الابيات :

يا كثير العفو عمن
كثر الذنب لديه
جاءك المذنب يرجو
الصفح عن جرم لديه
انا ضيف وجزاء
الضيف احسان اليه

وانشد عند نفيه الى مدينة واسط عام ٥٩٠ هـ قائلاً :

يا ساكن الدنيا تاهب
وانتظر يوم الفراق
واعذر الى دار الرحيل
فسوف يحدى بالرفاق
وابك الذنوب بادمع
تنهل من سحب المآق
يا من اضاع زمانه
ارضيت ما يفني بباق

ويعود شعر ابن الجوزي في الوعظ والارشاد الى كونه محدثاً وفقيها ومفسراً وخطيباً يستمع اليه الغفير من الناس ، وحصل له من الحظوة في الوعظ ما لم تحصل لغيره من الوعاظ والخطباء ، ومع هذا كان يعلن التوبة من خطاياه ، ويطلب الرحمة والمغفرة من الله تعالى قائلاً :

اتوب اليك يا رحمن مما
جنيت فقد تعاظمت الذنوب
واما من هوى ليلي وتركي
زيارتها فاني لا اتوب

وكان يطعم مجالس الوعظ احياناً باشعار من النسيب ، مبرحة التشويق بديعة الترقيق ، تشعل القلوب وجداً ، ويعود موضعها النسيبي زهداً بقوله :[16]

اين فؤادي اذابه الوجد
واين قلبي فما صحا بعد
يا سعد زدني جوى بذكرهم
بالله قل لي فديت يا سعد

وهذا التلون في فن الخطابة عند ابن الجوزي جعل الناس ينشدون اليه ، ويتذوقون خطبه ، وحينما يصل في وعظه الى حد التذكر باليوم الاخر ومحاسبة النفس يجيش الحاضرون بالبكاء والنحيب ، وان الكثير من هذه المجالس تعقد استجابة لطلب من اهالي محلة من محال بغداد ، ففي عام ٥٦٩ هـ عقد ابن الجوزي مجالساً في الحربية حتى انقلبت بغداد ، وعبر اهلها عبوراً زاد على نصف شعبات زيادة كثيرة ، وقد استقبل بالشموع ، وقد وصف هذا المشهد بقوله : « فما رأيت البرية الا مملوءة ضوءاً ، وخرج اهل المحال والرجال والنساء ، والصبيان ينظرون ، وكان الزحام في البرية كالزحام في سوق الثلاثاء »[17] .

وقد افتخر ابن الجوزي بانهاء تفسيره للقرآن الكريم وهو على المنبر عام ٥٧٠ هـ وقد سجد اثناء وعظه شاكراً لله تعالى على اتمام تفسيره فيقول : « ما عرفت واعظاً فسر القرآن كله في مجلس الوعظ منذ نزل القرآن فالحمد لله النعم »[18] . وكان يشير الى ان مجالسه الوعظية قد حققت في الغالب غرضين اساسيين

هما : التوبة على يديه من قبل الناس وقص الشعور الطائلة للصبيان ، ففي عام ٥٧٢ هـ ، قدم اليه الحاضرون وهو في مجلس الوعظ تائباً فقطع شعره فقال ذلك التائب : ثلاثة اسابيع ارى رسول الله (ص) في المنام كانه في كل مجلس ياتي اليك فيقبل صدرك »[١٩] .

٢ - اثر المجالس في الطبقة الحاكمة

جعلت مؤهلات ابن الجوزي العلمية طريقاً لتوثيق الصلات مع الطبقة الحاكمة ، وكان هذا طريقاً اخر لايصال صوته للمسؤولين في سبيل اسعاد الناس ورفع المظالم عنهم ، فقد كان الخليفة المستضيء بامر الله ، والوزراء والقادة ، يحضرون مجالسه ، لان عصر ابن الجوزي شهد حماساً دينياً ووطنياً من قبل الخليفة والسلطة الحاكمة من جهة ، والمجتمع البغدادي من جهة اخرى ، فهو قد عاصر جزءاً من فترة السلاجقة وحكمهم في العراق ، وقد صور طبيعة العلاقة بين الخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية ، والصراعات القائمة بين اقطاب البيت السلجوقي ، وما ترك ذلك من احداث مؤلمة ادت الى مقتل الخليفة المسترشد بالله عام ٥٢٩ هـ ، والخليفة المستنجد بالله عام ٥٦٦ هـ . والخليفة المستضيء بامر الله عام ٥٧٥ هـ واراد ان يفرز الثقة في نفوس الحاكمين من اجل التخلص من النفوذ الاجنبي مستغلاً حضورهم مجالس وعظه فيقول : « لم ير لواعظ قط مثل مجلس جمع الخليفة والوزير وصاحب المخزن وكبار العلماء »[٢٠] ففي عام ٥٧٠ هـ حضر الخليفة مجلس الوعظ ، واخذ الناس اماكنهم في المجلس بعد صلاة الفجر ، واكتريت دكاكين ، وكان مكان محل رجل بقيراط حتى انه اكترى دكانا لثمانية عشر بثمانية عشر قيراطاً ، ثم جاء رجل فاعطاهم ستة قراريط حتى يجلس معهم[٢١] . وقد خصص ليوم عاشوراء مجالس خاصة ، وذلك لاهميته الدينية حيث استشهد فيه الامام الحسين عليه السلام واصحابه ، وترك هذا الحدث في نفوس البغداديين موقعاً اليماً ، وآثر الخليفة ان يحضر هذه المناسبة بنفسه ، ففي عام ٥٧١ هـ . اقبل الناس الى المجلس من نصف الليل وكان الزحام شديداً زائداً على الحد ، ووقف بعضهم على الطرقات وفي عام ٥٧٢ هـ امتلأ المكان من وقت السحر ، ولما طلع الفجر ، وليس لاحد طريق فرجع بعضهم ، وقد امتلأت الطرق بالناس ، وفي عام ٥٧٣ هـ حضر خلق كبير من نصف الليل بالاضواء فما طلع الفجر ولا يوجد لاحد موضع قدم[٢٢] . وفي مثل هذه المجالس الحاشدة يستقبل ابن الجوزي حضور الخليفة والوزير والمسؤولين ، فيطرح عليهم مشاكل المجتمع ، ويدعو الى حلها باسلوب وعظي ، غرضه تقويم السلوك للطبقتين الحاكمة والمحكومة ، وبذلك حقق غرضاً مهماً على الصعيد الاجتماعي والاداري ، فقد تطرق ذات يوم الى قضية حصلت بين الخليفة المستضيء بالله واحد افراد الحاشية ، مما ادى الى هرب ذلك الشخص فالزم الخليفة اخاه وصادره واخذ امواله ، فشكا الى ابن الجوزي ، ولما فهم قضيته طالبه بحضور مجلس الوعظ ، ولما اخذ الناس اماكنهم اخذ ابن الجوزي في الحديث مستعرضاً كون البريء لا يؤخذ بجريرة المذنب ، وطلب من الخليفة تطبيق العدل بين الرعية قائلاً :[٢٣]

قفي ثم اخبرينا يا سعاد ... بذنب الطرف لم سلب الفؤاد
وابن قضية حكمت اذا ما ... جنى زيد به عمرو يقاد
يعاد حديثكم فيزيد حسناً ... وقد يستحسن الشيء المعاد

وقد انتبه الخليفة الى حديث ابن الجوزي ، ومغزى هذه الابيات ، فاعاد المال الى صاحبه ، وكان قد استمع ذات يوم الى ابن الجوزي وهو ينشد تحت داره قائلاً :

ستنقلك المنايا عن ديارك ... ويبدلك الردى داراً بدارك
وتترك ما عنيت به زماناً ... وتنقل من غناك الى افتقارك
فدود القبر في عينيك يرعى ... وترعى عين غيرك في ديارك

وقد تركت هذه الابيات في نفس الخليفة المستضيء اثراً عميقاً ، فجعلته يمشي في داره ويردد : « اي والله وترى عين غيرك في ديارك » وهو يبكي حتى الليل . وفي عام ٥٧٢ هـ حضر الخليفة مجلس الوعظ وبعد الانتهاء من الحديث قام بعض الحاضرين يتظلم في المجلس ، فبعث الخليفة في الحال من كشف ظلامته[٢٤] .

ووجه ابن الجوزي للخليفة المستضيء بامر الله حكماً ومواعظ منها قوله : « يا امير المؤمنين ان تكلمت خفت منك ، وان سكت خفت عليك ، فانا اقدم خوفي عليك من خوفي منك ، اقول قول الناصح اتق الله ، خير من قول القائل انتم اهل بيت مغفور لكم »[٢٥] . ويكشف هذا القول عن تبرير اجتماعي للواقع الذي يتخوف منه الناس من الطبقة الحاكمة عند مفاتحتهم للاخطاء التي يقعون فيها ، مما يبعد اصابع الاتهام الموجهة نحو الحاكمين فان ضعفها وعدم قدرتها في السيطرة على الاوضاع هو سبب لمشكلات المجتمع البغدادي اذاك ، وان جرأة ابن الجوزي قد اماطت اللثام عن هذا التخوف مستغلاً حضور الخليفة وغيره مجالس وعظه ، ويصل تأثر الخليفة البالغ بابن الجوزي عام ٥٧٤ هـ الى درجة تقديم الصدقات واطلاق السجناء[٢٦] . وفي رجب من هذه السنة حضر الخليفة المجلس المعقود تحت المنظرة وكان الزحام شديداً ، فاستغل ابن الجوزي هذا الحشد الكبير ، واراد اقناع الخليفة ان يسلك سلوك الرشيد تجاه رعيته بقوله : « بالغت في وعظ امير المؤمنين ، فما حكيت بكاء الرشيد قال لشيبان : عظني ، فقال : يا امير المؤمنين ، لان تصحب من يخوفك حتى يدركك الامن خير لك من ان تصحب من يؤمنك حتى يدركك الخوف ، قال : فسر لي هذا ، فقال : ان يقول لك انت مسؤول من الرعية ، فاتق الله انصح لك مما يقول انتم اهل بيت مغفور لكم وانتم قرابة نبيكم ، فبكى الرشيد وبكى رحمه الله من حوله[٢٧] .

٣ - اثر المجالس في اهل الذمة

جذبت مجالس ابن الجوزي جماعة من اهل الذمة بمدينة بغداد ، فاستمعوا لمواعظه ونصائحه حتى دخلت في اعماق نفوسهم الى درجة اعلان اسلامهم ، وقدر من اسلم على يدي ابن الجوزي من اهل الذمة مائة الف نسمة[٢٨]. فقد استطاع ابن الجوزي توليد قناعة ذاتية لدى اهل الذمة من خلال احاديثه المستمدة من القرآن الكريم ، والسنة الشريفة ، وان هؤلاء بحكم معاشرتهم للمسلمين في بغداد جعلت مجالس ابن الجوزي مصدر جذب لهم مع بقية شرائح المجتمع البغدادي التي تشدهم الانماط والمعايير السلوكية اليومية ، فكان ابن الجوزي وهو على المنبر يتسلم رقاع الناس فيجيب عنها ، فيقول ابن جبير : « يبتدرون المسائل ، وتطير اليه الرقاع ، فيجاوب اسرع من طرفة عين ، وربما كان اكثر مجلسه الرائق من نتائج تلك المسائل »[٢٩].

واستطاع ابن الجوزي ان يدخل في اعماق المجتمع البغدادي من مسلمين وذميين ، وحاكمين ومحكومين . والى هذه الحقيقة اشار ابن جبير بقوله : « ما كنا نحسب ان متكلما في الدنيا يعطي من ملكة النفس والتلاعب بها ما اعطى هذا الرجل »[٣٠] ، وحينما وافته المنية ليلة الجمعة ، في الثاني عشر من شهر رمضان عام ٥٩٧ هـ ، حملت جنازته على رؤوس الناس الى مقبرة باب حرب فدفن عند ابيه ، وكان يوماً مشهوداً بكثرة مشيعيه حتى افطر جماعة من الناس من شدة الزحام وحرارة الجو[٣١] ، وحزن عليه البغداديون حزناً عميقاً ، وبكوا عليه بكاءاً شديداً ، وباتوا عند قبره طيلة شهر رمضان يختمون القرآن الكريم بالشموع والقناديل[٣٢] .

● هوامش البحث ●

(١) الذهبي : تذكره الحفاظ ٤ / ١٣٤٢
(٢) ابن الجوزي : صيد الخاطر ص ٢٦
(٣) الحكيم : ابن الجوزي ص ٣٧
(٤) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ١/ ٤١٠ .
(٥) ابن جبير : الرحلة ص ٢٠٨ - ص ٢٠٩
(٦) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٢٤٢ ، ٢٦٣ ، ٢٨٤ ، لفتة الكبد ص ٨١
(٧) ن . م ١٠ / ٢٤٣
(٨) ابن جبير : الرحلة ص ٢٠٨
(٩) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٢٦٠
(١٠) ابن رجب : الذيل ١ / ٤١٣
(١١) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٢٣٧ ، ٢٨٤ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٤ / ٣٣٠
(١٢) ابن جبير : الرحلة ص ٢٠٨
(١٣)ابن رجب: الذيل ١ / ٤١٠
(١٤) ابن جبير : الرحلة ص ٢٠٧
(١٥) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٨ / ق ١ / ٥٠٢
(١٦) ابن جبير : الرحلة ص ٢٠٨ - ص ٢٠٩
(١٧) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٢٤٣
(١٨ - ٢٢) م . ن ١٠ / ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٦ ، ٢٦٧ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ .
(٢٣) اليافعي : مرآة الجنان ٣ / ٤٩١
(٢٤) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٢٦٢
(٢٥) الذهبي : تذكرة الحفاظ ٤ / ١٣٤٥ ، الداودي : طبقات المفسرين ١ / ٢٧٣
(٢٦) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٢٨٣
(٢٧) م . ن ١٠ / ٢٨٥
(٢٨) ابن العماد : شذرات الذهب ٤ / ٣٣٠
(٢٩) ابن جبير : الرحلة ص٢٠٨
(٣٠) ن . م ص ٢١٠
(٣١) ابن الساعي : الجامع المختصر ٩ / ٦٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٣ / ٣٠
(٣٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٨ / ق ٢ / ٥٠٠

المصادر والمراجع

ابن جبير : ابو الحسين محمد بن احمد الكناني الاندلسي (ت ٦١٤ هـ)
١ - رحلة ابن جبير ، تحقيق الدكتور حسين نصار ، دار مصر للطباعة . بلا تاريخ .
ابن الجوزي : جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ)
٢ - صيد الخاطر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الاولى ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٧ م
٣ - لفتة الكبد الى نصيحة الولد ، مطبعة المنار ، مصر ١٣٤٩ هـ
٤ - المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية / حيدر اباد الدكن ، الطبعة الاولى ١٣٥٩ هـ .
الحكيم : حسن عيسى علي (الدكتور)
٥ - ابن الجوزي ، اصدار هيئة كتابة التاريخ (نوابغ الفكر العربي) دار الشؤون الثقافية العامة / بغداد ١٩٨٨ م
الداودي : شمس الدين محمد بن علي بن احمد (ت ٩٤٥ هـ)
٦ - طبقات المفسرين ، تحقيق علي محمد عمر ، مطبعة الاستقلال الكبرى / القاهرة الطبعة الاولى ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م
الذهبي : شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ)
٧ - كتاب تذكرة الحفاظ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية / حيدر اباد الدكن ، الطبعة الثالثة ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م
ابن رجب : زين الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن احمد البغدادي الدمشقي (ت ٧٩٥ هـ)
٨ - كتاب الذيل على طبقات الحنابلة مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٢ م
ابن الساعي : تاج الدين ابو طالب علي بن انجب الخازن (ت ٦٧٤ هـ)
٩ - الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير ، المطبعة السريانية الكاثوليكية ، بغداد ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م
سبط ابن الجوزي : شمس الدين ابو المظفر يوسف بن قزاوغلي (ت ٦٥٤ هـ)
١٠ - مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية / حيدر اباد الدكن ، الطبعة الاولى ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م
ابن العماد : ابو الفلاح عبد الحي الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ)
١١ - شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، مكتبة القدسي / القاهرة ١٣٥٠ هـ
ابن كثير : ابو الفداء الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)
١٢ - البداية والنهاية ، بيروت الطبعة الاولى ١٩٦٦ م
اليافعي : ابو محمد عبد الله بن اسعد بن علي المكي (ت ٧٧٨ هـ)
١٣ - مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، مطبعة دائرة المعارف النظامية ، حيدر اباد الدكن ، الطبعة الاولى ١٣٣٨ هـ .

مشيخة الغزاة ودورها في بلاد الاندلس

د. مزاحم علاوي الشاهري

قسم التاريخ - كلية التربية / جامعة الموصل

المقدمة :

مع هزيمة دولة الموحدين في موقعة العقاب Las Navas de Tolosa سنة ٦٠٩ هـ/ ١٢١٢ م . ومع ازدياد اسباب انحلالها ، واجه المغرب والاندلس تطورات سياسية خطيرة لم تقو الامارات الاربع الناهضة من جسد الدولة الموحدية على مواجهتها[١] وبالذات في الاندلس حيث تقوم مملكة غرناطة GRANADA وريثة الموحدين في تلك البقعة التي مثلت الجزء المتبقي من السيادة العربية في الاندلس .

واذا كانت رياح الغزو الاسباني تعصف في اوقات متفاوتة بمدن المغرب العربي فان غرناطة ما برحت تعيش هول العواصف وتعاقب الكوارث القادمة من الممالك الاسبانية وعلى وجه الخصوص قشتالة Castilla التي قادت بقية الممالك الاسبانية في مهمة القضاء نهائيا على الوجود العربي الاسلامي هناك ، في وقت غاب عن غرناطة كل ناصر ، ولم يستجب لاستغاثاتها احد من بلاد العرب المسلمين[٢] .

في ظل تلك الاوضاع بزغ أمل جديد لبني نصر ، تمثل بظهور المرينيين ، ودعمهم العسكري والمادي لهم . ذلك الدعم الذي تعددت اشكاله[٣] ، فكان من بينه ، منصب مشيخة الغزاة الذي يعتمد في تشكيلاته على المغاربة ـ جندا وقادة ـ المرابطين في ثغور غرناطة الشرقية والغربية .

ان منصب مشيخة الغزاة الذي استمر اكثر من مائة عام قد اسدى خدمات جلية لغرناطة في ميدان المرابطة والجهاد ، لكن هذه الخدمات كانت تمثل وجها واحدا للدور الذي لعبه شيوخ الغزاة ، اذ ان الوقائع السياسية الداخلية والخارجية لغرناطة ، قد زجت بعض قادته في معترك الحياة السياسية وجعلتهم عرضة لاهوائها ونزاعاتها الدائرة في الداخل والخارج ، فاذهبت بالبعض منهم الى حتفه فيما اسهموا بدورهم في اقامة وعزل بعض امراء بني نصر .

لقد حاول البحث ان يقدم صورة دقيقة عن هذه الخطة العسكرية ، وبغية الاحاطة الدقيقة ، اعتمد البحث على المصادر التي عاصرت تلك الاحداث فكان في مقدمة من اعتمدنا عليه المؤرخ لسان الدين ابن الخطيب ت ٧٧٦ هـ/ ١٣٧٥ م وابن ابي زرع ت ٧٤١ هـ/ ١٣٤٠ م وابن خلدون ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥ م ، غير ان الملاحظة التي تسترعي الانتباه ، ان بعضا منها قد اغفلت بعض شيوخ الغزاة[٤] ، واحيانا تباينت فيما بينها في السياق التاريخي لشيوخ الغزاة وفترات امارتهم ، الا اننا حاولنا قدر الامكان ان نصل الى تتبع تاريخي لهم ، ورصد فترات امارتهم ، والاحداث التي شاركوا فيها ، واثرها في الحياة الغرناطية على وجه التحديد .

هذا ومن الله التوفيق

مشيخة الغزاة بين التاسيس والاستقرار :

ترجع بدايات مشيخة الغزاة الى الاحداث التي وقعت في بلاد المغرب الاقصى ومفادها قيام اولاد ادريس بن عبدالحق المريني[*] بالثورة على عمهم السلطان يعقوب بن عبدالحق بجبال غمارة لقناعتهم باحقيتهم بالامارة منه لكن الاخير تمكن من ارضائهم عن طريق ارسالهم الى الاندلس كقادة على رأس قوة تقدر بثلاثة الاف متطوع سنة (٦٦١ هـ / ١٢٦٣ م) لاداء فريضة الجهاد ، وفور عبور قوتهم قاد عامر بن ادريس حملة عسكرية على مدينة شريس Jerez ، فاقتحم ربضها بالسيف ، وطرد القوات القشتالية منها[١] .

بعدها رجعوا الى المغرب لينقلبوا على عمهم مرة اخرى سنة ٦٦٩ هـ / ١٢٧٠ م وذلك بسبب بيعة السلطان يعقوب لولده الامير عبدالواحد كولي للعهد على حكم المرينيين سيما وان الدولة الموحدية قد سقطت عاصمتها على ايديهم سنة ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م[٧] غير ان هذه المرة كان تمردهم قد اتسع وذلك بتضامن اولاد ادريس بن عبدالحق وابناء عمومتهم اولاد عبدالله ورحو وابي عباد ، فالتحقوا بجبل علودان من بلاد غمارة ، معلنين الثورة على عمهم ، الا ان حكمة السلطان يعقوب قد اذهب بريحهم ، فاخمد فورة غضبهم ، وتمكن من اقناعهم مرة اخرى ، فعفا عنهم وارسلهم الى الاندلس لقيادة المتطوعة المغاربة هناك[٨] ، فانيطت رياستهم ولاول مرة للشيخ موسى بن رحو ابن عبدالحق سنة ٦٧٣ هـ / ١٢٧٤ م . ثم لاخيه عبدالحق من بعده حيث انصرف الاول الى المغرب[٩] .

وتجدر الاشارة الى ان الثورة الاولى لمشيخة الغزاة وتسمية قادتهم كانت في اول امرهم من مسؤولية الدولة المرينية فواقع هذا المنصب لم يتوضح في نظام غرناطة الا بعد الدفعات التي ارسلها المرينيون للفترة الواقعة بين سنتي ٦٦١ / ١٢٦٢ م و ٦٧٦ / ١٢٧٧ م الى ان العبور الى الاندلس كان يمثل رغبة دينية بالدرجة الاولى وسياسية تدافع عليها ابناء الامراء والعامة من المغرب الدربي بوجه عام[١٠] .

وبطبيعة الحال فان اجازة المتطوعة وجهادهم في احواز غرناطة لم تكن بمشيئة الدولة المرينية وحدها ، بل كانت رغبة بني الاحمر حكام غرناطة ايضا . ففي واقع الحال حقق الغرناطيون امرين اولهما : كسب ود المرينيين حكام فاس من حيث توثيق الروابط العسكرية وتبادل وجهات النظر الحربية ، وليكون هؤلاء صلة الوصل[١١] ، وثانيهما تحقيق دعم عسكري ومادي لغرناطة في وقت باتت تعاني بلاد الاندلس من غياب اي شكل من اشكال الدعم العسكري بعد زوال الموحدين وانحسار دعم الحفصيين[١٢] الذي استنزفوا بطلمات قليلة الكثير من المال والرجال لحداثة نشاة دولتهم[١٣] .

على اية حال ، فقد انيطت مهمة قيادة المتطوعة لموسى ابن رحو ابن عبدالحق الذي عبر سنة ٦٧٠ هـ / ١٢٧١ م ، ولم يلبث هناك فخلفه اخوه عبدالحق ثم تولاها ابراهيم بن عيسى ابن يحيى الوسنارمن ثم لموسى مرة اخرى ولحمو بن عبدالحق من بعده « فكانت هذه الامارة متصلة في بني رحو الى ان انتقلت منهم الى اخوانهم من بني ابي العلاء[١٤] .

ومهما يكن من امر فقد التقت رغبتا الدولتين في هذا المنصب ، ذلك المنصب الذي اصبح قوة عسكرية لها ثقلها وصنفا اساسا من صنفين في الجيش الغرناطي يخضع لادارة غرناطة ، وينفذ واجباتها ، ويرتبط رؤساؤه بحاكم غرناطة ، على ان يكون رؤساؤه من اسرة المرينيين ، يقول ابن الخطيب : « وجندهم صنفان اندلسي وبربري ، والبربري ترجع قبائله المرينية والزيانية والتجانية والعجيسية .. الى اقطاب ورؤوس يرجع امرهم الى رئيس على رؤسائهم وقلب لعرفائهم من كبار القبائل المرينية يمت الى ملك المغرب بنسب »[١٥] .

على ان وجود مشيخة الغزاة وجندها المرتبطين بالسلطان النصري لم تمنع من تواجد قوات مرينية اخرى مرتبطة بحكام المغرب تتسلم اوامرها من العاصمة فاس ، فالسلطان يوسف بن يعقوب على سبيل المثال ابقى في الاندلس ثلاثة الاف فارس بقيادة علي بن يوسف بن يرناجن سنة ٦٨٥ / ١٢٨٦ ، مهمتها شن الغارات على المدن القشتالية حسب الخطة المرسومة من قبل المرينيين[١٦] .

اما عن طبيعة مشيخة الغزاة ، فهي من الخطط التي انشات في هذه الفترة ، يعرف قائدها بـ « شيخ الغزاة » او « امير الغزاة »[١٧] او لـ « امير الجند المغربي »[١٨] او « شيخ الدولة »[١٩] وعند تعيينه يصدر سلطان بني الاحمر مرسوما بذلك ، ويعلن على الملا ، وتحدد فيه واجباته بالاضافة الى خلاصة عن سيرة هذا الشيخ »[٢٠] .

كما تتفرع عن هذا المنصب كتائب يتولاها اشخاص يمتون بصلة قربى الى الاسرة النصرية او المرينية وينوبون عن كتائبهم في « عرض مسائلهم ، وقرى وافدهم واجراء عوائدهم »[٢١] .

اما عن مواقع هذه الكتائب فتشمل ثغور غرناطة التي تشكل قواعد تتواجد فيها قوات الغزاة ، ولكنها قاعدة مجموعة من المدن

الصغيرة ، فهناك القاعدة الغربية وهي مالقة Malaga تنتظم تحت مسؤولية قائدها مدنا مثل رنده .

ونكوان وما اليها وكذلك المرية Almeria ووادي اش Guadix[٢٢] .

اما عن اساليب قتالهم فقد كان له طابعه الخاص فهو يعتمد على اسلوب حربي اقترن باسم زناته ، فابن الخطيب مثلا يصف احد امراء غرناطة « كان زناتي الشكل والركض والاله »[٢٣] ، كما يلاحظ ايضا ان ملوك قشتالة اتخذوا فرقا الى جانب قواتهم تجاوب على طريقة الزناتيين « الخفيفة الحركة ذات الدروع الجلدية والركاب المرتفع وطريقة الكر والفر في القتال ، واطلقوا عليهم اسم (Jiuete) وهو لفظ مشتق من زناته[٢٤] .

جهود شيوخ الغــزاة العسكريــة في بلاد الاندلس :ـ

ابلى شيوخ الغزاة بلاء حسنا في حماية ثغور غرناطة ، يتدافعوا في سوح الجهاد ، مستبسلين في صد الهجمات الخارجية ، فقد خاضوا معارك مهمة بوجه الممالك الاسبانية منذ الوهلة الاولى لعبورهم فقد تمكن قائدهم عامر بن ادريس ان

يخوض معركة ضد القوات القشتالية تمكن فيها من اعادة شريش الى احضان غرناطة وان ذلك لفترة قصيرة[٢٥] ، كما شهدت سنة ٦٧٩ هـ/ ١٢٨٠ معركة قادها تاشفين بين معطي وطلحة بن محلي ضد القوات القشتالية التي زحفت تجاه غرناطة وقد تمكنا من ايقاف زحفها[٢٦] .

كما يظهر دور مشيخة الغزاة في عهد عبدالله بن ابي العلاء الذي خاض سلسلة من المعارك حتى استشهد وهو في عدة الجهاد سنة ٦٩٣ هـ/ ١٢٩٣ فقدم السلطان النصري اخاه عثمان بن ابي العلاء الذي كان قائدا على الحامية في مالقه المناطق المجاورة لها ، ليصبح بعد ذلك قائدا عاما للمحاربين من المغاربة[٢٧] .

ثم تاتي سنة ٦٩٥ هـ/ ١٢٩٥ ليساهم المتطوعة المغاربة بقيادة اميرهم تحت لواء بني الاحمر في فتح قيجاطة ، وحصار القنداق Alcaudete سنة ٦٩٩ هـ/ ١٢٩٩ م[٢٨] .

اما في سنة ٧٠٩ / ١٣٠٩ فقد تصدى شيوخ الغزاة لقوات قشتالة المتوجهة نحو مرشانة ، وتمكن القائد عثمان ابن ابي العلاء من القضاء على القوات القشتالية ، ثم تقدم باتجاه القوات القشتالية المحاصرة لسماته واسطبونه Estepona حيث اشتبك العباس بن رحو وعثمان بن ابي العلاء في معركة ضد القوات القشتالية في اسطبونة وقتل قائدها « بيرش » واكثر من ثلاثة الاف قشتالي ، بعدها بعث ملك قشتالة فرديناندو الرابع الذي كان محاصرا لجبل طارق ببعض قوات لكنها فشلت حتى هلك سنة ٧١٢ هـ/ ١٣١٢ م[٢٩] .

على ان المعركة التي اظهرت مكانة مشيخة الغزاة ودورهم في حماية غرناطة هي المعركة الكبيرة التي حدثت في سنة ٧١٩ هـ/ ١٣١٩ م ، ومجرياتها ابتدأت بزحف اعداد كبيرة من القوات القشتالية وتمكنت من الوصول الى مرج غرناطة ، وظن الكثير ان نهاية غرناطة قد اوشكت ، يقود الحملة اثنان من القادة هما الدون جوان والدون بدرو ، وهما من الاوصياء على عرش الفونسو الحادي عشر القاصر في حينها ، ومدعمين بقوات عسكرية بلغت نحو خمسة وثلاثين الفا من الفرسان وعلى نحو الف من الرجالة المقاتلة[٣٠] .

وما ان عرف اهل غرناطة باخبار الحملة حتى ارسلوا صريخهم الى السلطان المريني عثمان بن يعقوب المعروف بابي سعيد الذي لم يستجب في وقتها ، فلم يكن امام الغرناطيين غير الاعتماد على انفسهم ، فتقدم الشيخ عثمان بن ابي العلاء بفرسانه ومن التحق معه ، وباسلوبهم المتميز ، تمكنوا من اختراق الجيش القشتالي وخلخلة صفوفه ، حتى تمكن المغاربة من قتل قائدي الحملة بعد ان دامت ثلاثة ايام ، كما علقت جثة قائدها الدون بدرو على ابواب غرناطة دليلا على انتصار المسلمين ، وعبرة لمن يفكر في غزوها مرة اخرى[٣١] . كما مكنت في حينها غرناطة من السيطرة على مدن مثل تشقار واورش وغالبير ومارطوش[٣٢] ، والسيطرة على مدينة مرتوس Martos سنة ٧٢٥ هـ/ ١٣٢٥[٣٣] .

على أن جهود شيوخ الغزاة لم تتوقف عند ذلك فبعد ان توفي عثمان بن ابي العلاء سنة ٧٣٠ هـ/ ١٣٢٩ خلفه ولده عامر ابن عثمان الذي سار على منهج ابيه و « عظم شانه قوة وشكيمة »[٣٤] . كما وصفه ابن الخطيب بـ « قريع دهره في الذكاء والدهاء المسلم له في الرتبة عنانا ورايا وثباتا »[٣٥] ، ثم تعاقب عليها بعده عدد من الشيوخ[٣٦] حتى انتهت من نظام الجيش في غرناطة بمحوها من قبل السلطان محمد الخامس بامارته الثانية سنة ٧٧٠ هـ/ ١٣٦٨ وتولى قيادتها بنفسه[٣٧] .

آثار مشيخة الغزاة على الحياة السياسية الداخلية والخارجية :ـ

فرضت الاوضاع الداخلية والخارجية لمملكة غرناطة واقعها على مواقف شيوخ الغزاة ودفعتهم مرة الى تبني مواقف املتها طبيعة الاحداث ومرة ثانية الى اظهار نياتهم السياسية ان كان على الصعيد الداخلي المتمثل بغرناطة كما وصف حالهم ابن خلدون « لما تزاحمهم مناكب السلطان في قومهم وتغص بهم الدولة فينزعون الى الاندلس مغنين بها من باسهم وشوكتهم في المدافعة عن المسلمين ويخلصون من ذلك على حظ من الدولة بمكان »[٣٨] .

او على الصعيد الخارجي ونعني بذلك في علاقتهم مع بني عمومتهم سلاطين بني مرين ، حيث اتبع بنو الاحمر اسلوب المناورة احيانا مع المرينيين ، فكان شيوخ الغزاة اداة لسياسة غرناطة في الاستظهار بهم على ابناء عمومتهم[٣٩] .

على ان رياح السياسة النصرية كثيرا ما تحولت الى عواصف اقتلعت بعضهم من خلال نفس الاداة التي حركوها في اوقات اخرى ، والسبب في ذلك يعود الى ضعف النصريين بسبب الظروف الداخلية والخارجية من جانب وقوة شيوخ الغزاة من جانب اخر . الامر الذي مكنهم احيانا من استخدام قوة السيف ضد النصريين ومقاسمتهم اكثر الجباية في الاعطية والارزاق دون ان يظهروا اي رد فعل وذلك للحاجة القتالية التي لا تستطيع غرناطة الاستغناء عنها[٤٠] .

على اية حال فان المتتبع لتاريخ بني الاحمر سيلحظ ذلك ، فعلى صعيد تأثيرهم في الحياة الداخلية ، يظهر ذلك واضحا اثناء حكم نصر بن محمد (٧٠٨ ـ ٧١٣ / ١٣٠٨ ـ ١٣١٣) فبينما كان عثمان بن أبي العلاء قائدا على حامية مالقة ، داخله ابن عم السلطان اسماعيل بن فرج واقنعه بالخروج على السلطان ، فوافق عثمان بن ابي العلاء ، وزحف تجاه غرناطة سنة ٧١٣ / ١٣١٣ ، وتم لهم ما ارادوا ، وخلعوا السلطان ، وتمت البيعة لابي الوليد اسماعيل بن فرج (٧١٣ ـ ٧٢٥ / ١٣١٢ ـ ١٣٢٤) وجزاء ذلك عين السلطان الجديد عثمان ابن العلاء اميرا عاما على الغزاة وانتقل معه الى العاصمة فيما خلع امير الغزاة عبدالحق بن عثمان[٤١] ايضا والتحق بسلطانه الذي اقام في وادي آش[٤٢] .

ثم تتكرر النزاعات مرة اخرى ، ففي عهد السلطان محمد الرابع (٧٢٥ ـ ٧٣٣ / ١٣٢٥ ـ ١٣٣٣) الذي نصب بعد اغتيال ابيه ، وهو لما يزل لم يبلغ الحلم ، حصل ان إستبد بامره وزيره محمد بن المحروق الذي حاول مضايقة عثمان بن ابي العلاء ، فاضطر الاخير الى مغادرة غرناطة حيث أستقر بمرسى الحرية في ١٨ صفر سنة ٧٢٧ هـ / ١٣٢٦ م وبينما هو يكثر من معاونيه في حصن اندراش من ضواحي المرية ، أتصل بملك قشتالة الذي شجعه وحثه على القتال ، فاحتل حصن ويرله وما اليه من الحصون ، وقامت معارك عديدة مع الوزير الغرناطي انتهت بمقتل الاخير وعودة عثمان بن ابي العلاء اميرا على الغزاة حتى وفاته سنة ٧٣٠ / ١٢٢٩[٤٣] . ليخلفه في مكانه ولده عامر ، على ان السلطان محمد الرابع[٤٤] لم يسلم من بطش شيوخ الغزاة ، فحينما عبر الى المغرب سنة ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ للقاء السلطان علي بن عثمان المريني[٤٥] بشان جبل طارق وسيطرة قشتالة عليه واثناء دعوته الى الاندلس عرف بنو العلاء ان في المباحثات التي جرت بين الطرفين امرا ضدهم[٤٦] ، لذلك دبروا له مكيده ، فنصبوا له كمينا بضفة وادي السقائين ، وبينما كان السلطان في طريقه قتلوه في يوم الاربعاء الثالث عشر من ذي الحجة سنة ٧٣٧ / ١٣٣٦ .

واعلنوا عن تعيين اخيه السلطان يوسف الاول (٧٣٣ ـ ٧٥٥ / ١٣٣٢ ـ ١٣٥٤)[٤٧] الا ان الاخير خشي على نفسه من اسرة بني العلاء وشيخها عامر بن عثمان ، فتحين الفرصة بهم ، وتمكن من القاء القبض عليهم ، وغربهم الى افريقية حيث نزلوا عند السلطان الحفصي ابي يحيى[٤٨] ، ثم عين بدلا عنه الشيخ يحيى بن عمر سنة ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ وظل ملازما لابي الحجاج ، موديا واجباته بكفاية عالية حتى اذا هلك السلطان في عيد الفطر سنة ٧٥٥ هـ / ١٣٥٤[٤٩] ، وبويع بدلا عنه ولده محمد بن يوسف ٧٥٥ ـ ٧٦٠ / ١٣٥٤ ـ ١٣٥٨ ، استمر الحاجب رضوان وشيخ الغزاة يعملان على تسيير شؤون الحكم حتى نشبت الفتنة التي دبرها ابن عم السلطان محمد ابن اسماعيل الذي نصب اخا السلطان اسماعيل بدلا عنه ، وقتل الحاجب رضوان ، وعين ادريس بن عثمان شيخا للغزاة بدلا عن يحيى الذي تردد في مبايعة السلطان الجديد[٥٠] وقد هرب يحيى مضطرا الى تخوم قشتالة[٥١] .

لكن موجة الاضطرابات لم تهدأ اذ اطاحت باسماعيل الثاني الذي دام حكمه اقل من سنة ، ليسيطر على الحكم محمد السادس الملقب بالغالب بالله[٥٢] ، حيث قام بانقلاب في ٨ شعبان سنة ٧٦١ هـ / ١٣٥٩ وقد حاول ملاحقة السلطان المخلوع محمد

الخامس وذلك عن طريق الاتصال بالسلطان المريني ابي سالم(٥٣) الذي طلب منه حجزه عنده في فاس لقاء اعتقال اولاد عمه من مشيخة الغزاة ، لكن هذا الاتفاق ذهب سريعا اذ سرعان ما انقلب سلطان المغرب عليهم ، مقدما للسلطان النصري محمد الخامس كل الدعم لاستعادة عرشه(٥٤) ، وما ان استعاد عرشه حتى عين الشيخ يحيى بن عمر اميرا على الغزاة وقربه اليه لكن الملفت للنظر انه سرعان ما انقلب عليه واودعه السجن هووولده(٥٥) ، وليعلن عن تعيين الشيخ علي بن بدر الدين بن محمد بن رحو ، يقول ابن الخطيب(٥٦) ، وقبض عليه وعلى ابنه فاركبه الادهم الحرون واسكنه الطبق بقصبة المنكب سنة ٧٦٤ هـ فاستليه جاها عريضا وملكا كبيرا واحاق به مكروها مبيراً ثم بوفاة الاخير قام بتعيين الامير عبدالرحمن بن ابي يفلوسن(٥٧) .

لقد ادرك محمد الخامس من خلال استقراء ذكي للاحداث الداخلية والخارجية ان الفرض الاساسي من وجود مشيخة الغزاة قد انتهى بل انهم شكلوا عبئاً عليه ، ومنافسة له في ملكه ، لذلك استغل ضعفهم ، ورغبة البلاط المريني ، فاعلن عن محوها من بلاده وقاد تشكيلاتها بنفسه سنة ٧٧٠ هـ / ١٣٦٨ وحتى مرت سنوات ليقودها ابناؤه(٥٨) من بعده .

اما مصير عبد الرحمن بن ابي يفلوسن فلم يكن افضل من حظ الذي سبقه اذ سرعان ما تحركت خيوط الاتفاقات بين البلاطين النصري والمريني ، فاعتقلته تحسيناً للعلاقات الجديدة مع سلطان المغرب عبدالعزيز بن ابي الحسن ، ثم اطلق سراحه بعد ان آل الامر الى الوزير ابي بكر بن غازي ، ليرسله الى المغرب داعيا له ، ومزودا بقوة عسكرية لا يستهان بها(٥٩) .

ومن المؤسف ان تلاحظ ان الظروف السياسية قد الجأت بعض شيوخ الغزاة الهرب والاقامة في بلاط قشتالة وبرشلونة ، فهذا يحيى بن عمر بن رحو يهرب ومعه اكثر من مائتي فارس ليقيم في عهد ملكها بدرو الاول الملقب بالقاسي(٦٠) .

في حين ان شيخ الغزاة ادريس بن عثمان بن ابي العلاء كان قد امضى سنوات في برشلونة عند بطرس الرابع ، وبقيت صلاتهما قائمة حتى انه اراد ان يحول محمد الخامس عن محالفة قشتالة له وتقريبه الى صديقه(٦١) ، كذلك كانت هذه الاقامة سبباً في استمرار الرسائل وتبادل الهدايا والتشاور في مجريات الامور(٦٢) .

يضاف الى ذلك فقد سعت غرناطة في اوقات انشغال المرينيين باوضاع بلادهم الداخلية الى دفع شيوخ الغزاة المطالبة بعروش البلاد ، ولعل المثال الواضح هو الدعم الذي تلقيه عثمان ابن ابي العلاء عندما احتل سبتة ، وظل مقاوما ثلاثة سلاطين مرينيين تعاقبوا عليه دون ان يظفروا به لهربه في الاخير وعودته الى الاندلس(٦٣) .

على ان هذا الدعم حالما يتحول في اوقات اخرى الى ضعف وتنصل عن شيوخ الغزاة من قبل ابي نصر ، فعلى سبيل المثال سعى السلطان عثمان بن يعقوب(٦٤) المعروف بابي سعيد الى ارسال عثمان بن ابي العلاء واولاده له ، فرفض بنو الاحمر طلبه ، في حين استجابوا لطلب ولده علي بن عثمان واعتقلوا اسرة بني العلاء وجردوهم من وظائفهم وانتهى مصيرهم رغم جهودهم بنفيهم خارج الاندلس ، حيث نزلوا عند السلطان الحفصي(٦٥) طالبين شفاعته وكرمه في التماس العفو عنهم من قبل الخليفة المريني ابي الحسن الذي استجاب اول الامر لكنه سجنهم في فاس حتى اطلق سراحهم بعد ذلك ولده السلطان ابو عنان(٦٦) .

من كل ما تقدم يتبين ان بني الاحمر قد تعاملوا مع شيوخ الغزاة حسب طبيعة المناخ السياسي السائد مع المرينيين ، وتحديدا وفق مبدأ ايهما انفع واكثر اهمية وتاثيرا في الاحداث الداخلية والخارجية لمملكة غرناطة .

يضاف الى ذلك ، ان اهمية هذه الخطة العسكرية قد اذهبت بحسناتها الاحداث الداخلية التي زج فيها شيوخ الغزاة ، كما ان دورهم الواضح خلال مائة عام في حماية القواعد الشرقية والغربية للاندلس قد تلاشى ، وسبب فراغا وتصدعا في المواجهة العربية ، وللتدليل على ذلك يكفي ان نشير الى ان الفتنة التي وقعت بين الوزير محمد المحروق وعثمان بن ابي العلاء قد اتاحت لقشتالة فرصة في اجتياح ثغر البيرة والحصون المجاورة له(٦٧) .

واخيرا فان ما قدموه للمتطوعة المغاربة في خطة مشيخة الغزاة تعد ظاهرة سياسية وعسكرية لها اهميتها ، اظهرت من جانب حالة التضامن بين العرب والمسلمين من اجل حماية اخر صرح عربي في اندلس الحضارة العربية . كما كشفت عن حالة غرناطة السياسية والعسكرية والهجمات التي تتعرض اليها ، بل ان معاناتها العسكرية قد تكون وجها يسوغ مواقف حكامها من اجل استمرار الوجود العربي الاسلامي في الاندلس .

جدول بامراء بني نصر وشيوخ مشيخة الغزاة

محمد بن الاحمر « الغالب بالله » ٦٣٥ - ٦٧١/١٢٣٧ - ١٢٧٢ م	عامر بن ادريس + عبدالله بن ابي العلاء
محمد الثاني الفقيه ٦٧١ - ٧٠١ هـ/ ١٢٧٢ - ١٣٠١ م	موسى بن رحو + عبدالحق بن رحو + ابراهيم الوسنافي + موسى بن رحو
محمد الثالث - المخلوع ٧٠١ - ٧٠٨ هـ/ ١٣٠١ - ١٣٠٨	حمو بن عبدالحق
نصر « ابو الجيوش » ٧٠٨ - ٧١٣ هـ/ ١٣٠٨ - ١٣١٣ م	حمو بن عبدالحق + عبدالحق بن عثمان
ابو الوليد اسماعيل الاول ٧١٣ - ٧٢٥ هـ/١٣١٣ - ١٣٢٤ م	عثمان بن ابي العلاء
ابو عبدالله محمد الرابع ٧٣٥ - ٧٣٣ هـ/ ١٣٣٤ - ١٣٣٢	عثمان بن ابي العلاء + يحيى بن عمر بن رحو + عثمان بن ابي العلاء + عامر بن عثمان بن ابي العلاء
يوسف الاول « ابو الحجاج ٧٣٣ - ٧٥٥ هـ/ ١٣٣٢ - ١٣٥٤ م	عامر بن عثمان + يحيى بن عمر بن رحو
محمد الخامس « المغني بالله » ٧٥٥ - ٧٦٠ هـ/ ١٣٥٤ - ١٣٥٨ م	يحيى بن عمر
اسماعيل الثاني ٧٦٠ - ٧٦١ هـ/ ١٣٥٨ - ١٣٥٩ م	يحيى بن عمر + ادريس بن عثمان
ابو عبدالله بن ابي الوليد بن ابي محمد المعروف « البرميخو » ٧٦١ - ٧٦٣ هـ/ ١٣٥٩ - ١٣٦١ م	ادريس بن عثمان
محمد الخامس الغني بالله ٧٦١ - ٧٩٢ / ١٣٦١ - ١٣٨٩	يحيى بن عمر + علي بن بدر الدين + عبدالرحمن بن علي بن يفلوسن

الهوامش

(١) وهم الحفصيون في تونس والزيانيون في الجزائر والمرينيون في المغرب الاقصى وغرناطة في القسم الجنوبي من اسبانيا ، جوليان ـ شارل اندريا ـ تاريخ افريقيا الشمالية تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر (تونس : ١٩٨٥) ٢ / ١٧٣) .

(٢) فقد العرب المسلمون في الاندلس خلال فترة حكم مؤسس غرناطة من المدن والحصون مائة وخمسة ، منها في سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م نحو اربعين سورا واكثرها في غرب الاندلس ومن جملتها شريش والمدينة والقلعة وبجير ، ابن عذارى ـ البيان المغرب في اختصار ملوك الاندلس والمغرب ، نشر محمد بن تاويت واخرون ، معهد مولاى الحسن (تطوان : ١٩٦٤) ٣ / ٤٧٠ عنان ـ محمد عبدالله ـ نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين ٢٧٠ (القاهرة : ١٩٥٨) ١٦ .

٣) محمد ـ مزاحم علاوي ـ الدور السياسي والعسكري ليعقوب ابن عبدالحق المريني في بلاد الاندلس ، مجلة المؤرخين العرب ـ الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب (بغداد : ١٩٨٩) عدد ١٨ ٠ ٩٤ وما بعدها ، الدولة المرينية في عصر ابي الحسن علي ابن عثمان رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية الاداب في جامعة الموصل ١٩٨٥ ، ٥٣ ـ ٦٨ .

٤) لم يذكر ابن الخطيب شيئا عن منصب شيوخ الغزاة حتى عهد الامير ابي الوليد اسماعيل بن فرج وهو السلطان الخامس الذي حكم للفترة من ٧١٣ هـ ـ ٧٢٥ هـ وكذلك تجاهل بعض الشيوخ المجايلين له في عهد محمد الخامس في امارته الثانية من بينهم علي بن بدر الدين ت ٧٦٨ هـ / ١٢٧٠ واخرهم عبدالرحمن بن علي ابن يفلوسن الذي تولاها حتى سنة ٧٧٠ هـ / ١٣٦٨ م ، قارن ابن الخطيب ـ الاحاطة في اخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبدالله عنان نشر مكتبة الخانجي (القاهرة : ١٩٧٤) ٢/ ٣٨ ـ ٣٩ اللمحة البدرية في الدولة النصرية ـ ص ٢١ ، دار الافاق الجديدة (بيروت) ١٩٨٠) ٨٠ ، ١٣٠ وابن خلدون ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر ، مؤسسة الاعلمي (بيروت ، ١٩٥٩) ٧ / ٣٦٦ وما بعدها .

٥) قتل ادريس بن عبدالحق ووالده في معركة بالقرب من وادي سبور على بعد اميال من تافر طاست مع عرب رياح وكان ادريس هو الابن البكر لابيه ، ابن مرزوق ـ المسند الصحيح الحسن في مأثر مولانا ابي الحسن ، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا ، الشركة الوطنية (الجزائر : ١٩٨١) ١١١ ـ ١١٢ .

٦) ابن ابي زرع ـ الانيس المطرب بروض القرطاس ، نشر دار المنصور للطباعة والوراقة (الرباط ١٩٧٣) ٣٠٢ ، الذخيرة السنية في اخبار الدولة المرينية ، نشر دار المنصور (الرباط : ١٩٧٣) ١٠٠ ـ ١٠١ .

المقرى ـ نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب تحقيق احسان عباس (بيروت : ١٩٦٨) ١ / ٤٤٨ .

(٧) سقطت الدولة الموحدية وعاصمتها مراكش سنة ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م فاختار المرينيون فاسا عاصمة لهم بدلا من مراكش ، وكان هذا على يد مؤسس دولتهم السلطان يعقوب بن عبدالحق : مجهول ـ الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية ، تحقيق د . سهيل زكار وعبدالقادر زمامة دار الرشاد الحديث الدار البيضاء : ١٩٧٩) ١٧١ .

(٨) الناصري ـ الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى تحقيق جعفر ومحمد الناصري الدار البيضاء (٥٤ ـ ٩٥٩) ٣ / ٢٣ ـ ٢٩ ـ ٣٠ .

(٩) ابن خلدون العبر : ٧ / ٣٦٨ .

(١٠) ابن خلدون ـ العبر : ٧ / ٣٦٦ .

(١١) المقرى ـ نفح الطيب ١ / ٤٥٢ ، شبانة كمال محمد ـ يوسف الاول بن الاحمر ، نخبة البيان العربي (الرباط : ١١٦٩) ٨٣ .

(١٢) قامت الدولة الحفصية في تونس واعلن عن تاسيسها واستقلالها عن الدولة الموحدية ابو زكريا الحفصي سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٣٦ م للمزيد ينظر جوليان ـ شارل اندريا ـ تاريخ افريقيا الشمالية تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة الدار التونسية للنشر (تونس : ١٩٨٥) ٢ / ١٧٣ وما بعدها .

(١٣) ابن خلدون ـ العبر : ٧ / ٣٦٦ .

(١٤) العبر ـ ٧ / ٣٦٧ ـ ٣٦٨ .

(١٥) اللمحة البدرية : ٣٩ .

(١٦) ابن ابي زرع ـ الانيس المطرب : ٣٧٦ ـ ٣٧٩ ـ ٣٨٠ .

(١٧) ابن خلدون ـ العبر : ٧ / ٣٦٨ .

(١٨) ابن الخطيب ـ نفاضة الجراب في علالة الاغتراب نشر وتعليق د . احمد مختار العبادي ، دار الشؤون الثقافية في بغداد : بلا ، ١١ .

(١٩) ابن الخطيب ـ نفاضة الجراب تحقيق احمد مختار العبادي ، دار الكتاب « القاهرة بلا » ٢ / ٦٩ ـ ٧٠ .

(٢٠) قدم لنا ابن الخطيب في ريحانة الكتاب بعض المراسيم التي تصدر عن السلطان النصري منها الظهير القاضي بتعيين يحيى بن عمر وادريس بن ابي العلا وابي الحسن علي بن بدر الدين ينظر : ٢ / ٦٤ ـ ٦٩ .

(٢١) ابن الخطيب ـ ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب : تحقيق محمد عبدالله عنان ، نشر مكتبة الخانجي (القاهرة : ٨١) ٢ / ٨٩ .

(٢٢) ابن الخطيب ـ نفاضة الجراب : ٢ / ٧٠ .

(٢٣) العبادي ـ مقدمة نفاضة الجراب : ١٧ .

(٢٤) العبادي : مقدمة نفاضة الجراب : ١٧ .

(٢٥) ابن ابي زرعـ الذخيرة السنية : ١١٢ : عنان ـ محمد عبدالله ـ نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين ط ٢ (القاهرة : ١٩٥٨) ٤٠ .

(٢٦) ابن خلدون ـ العبر : ٧ / ٣٦٨ .

(٢٧) المقري ـ نفح الطيب : ١ / ١٤٩ ـ ٤٥١ .

(٢٨) ابن الخطيب ـ اللمحة البدرية : ٥٣ ـ ٥٤ ، يضيف مارمول ان معركة وقعت بين جيان وارجونه قتل فيها الدون الريق ، وبحلول فصل الربيع حاصر العرب مدينة جيان ودخلوا ارباضها ، وقتلوا عاملها هذريق بيريزدي ارانا وهو عامل الدون فرناده ثم فتحوا قيجاطه ينظر ، افريقيا ، ترجمة محمد حجي واخرون ، نشر مكتبة المعارف

(الرباط، ١٩٨٤) ١/ ٣٩٥ .
(٢٩) ابن خلدون ـ العبر : ٧/ ٢٤٩ ، فرحات يوسف شكري ـ غرناطة في ظل بني الاحمر، ١٧ المؤسسة الجامعية للدراسات (بيروت : ١٩٨٢ : ٣٩ ـ ٤٠ .
(٣٠) الناصري ـ الاستقصا : ٣/ ١٠٩ ـ ١١٠ .
(٣١) ابن الخطيب / اعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام تحقيق ليفي بروفنسال دار المكشوف (بيروت ، ١٩٥٦) ٢٩٥ ابن خلدون ـ العبر : ٤ / ١٧٣ ، ٧ / ٣٧١ ، الحجي عبدالرحمن علي ، التاريخ الاندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة : ١٧ (دمشق ١٩٧٦) ٥٢٥ . فرحات . غرناطة في ظل بني الاحمر : ٤١ .
(٣٢) مارمول ـ افريقيا : ١ / ٢٩٨ .
(٣٣) المقري ـ نفح الطيب ١ / ٤٤٩ ، فرحات : غرناطة في ظل بني الاحمر : ٤١ .
(٣٤) ابن خلدون ـ العبر : ٧/ ٢٧٢ .
(٣٥) اللمحة البدرية : ٣/ ١٠٥ .
(٣٦) تولاها بعد ذلك يحيى بن عمر ثم ادريس بن عثمان بن ابي العلاء ثم علي بن بدر الدين بن موسى بن رحو ثم اخرهم عبدالرحمن بن علي ابي يفلوسن الذي اعتقله رغبة في توثيق العلاقة مع القائم بحكم المغرب انذاك ابي بكر بن غازي للمزيد ينظر العبر : ٧/ ٣٧٤ ـ ٣٧٧ ، المقري ـ نفح الطيب : ٥/ ٨٤ ـ ٩٥ .
(٣٧) ابن خلدون ـ العبر : ٧/ ٣٧٨ ، في حين يشير العبادي انه الغاها سنة ٧٧٥ / ١٣٧٣ . ينظر نفاضة الجراب ـ المقدمة : ١٧ .
(٣٨) العبر : ٤/ ١٧١ ـ ١٧٢ .
(٣٩) ابن خلدون ـ العبر : ٧/ ٣٦٧ .
(٤٠) ابن خلدون ـ العبر : ٧/ ٣٧٧ .
(٤١) توفي في سنة ٧٣٨ هـ / في تلمسان للمزيد ينظر ابن الخطيب ـ الاحاطة : ٣/ ٥٣٧ .
(٤٢) ابن خلدون ـ العبر : ٤/ ١٧٣ ـ ٧٠/ ٣٧١ ، فرحات ـ غرناطة في ظل بني الاحمر : ٤٠ .
(٤٣) ابن الخطيب ـ اعمال الاعلام : ٢٩٦ ـ ٢٩٧ .
(٤٤) وصفه ابن الخطيب بانه « كان شرها لسانه غير جزوع » وقد توغرت عليه صدور رؤساء . جنده المغاربة ، اللمحة البدرية : ٩٦ .
(٤٥) هو ابو الحسن علي بن عثمان حكم المغرب الاقصى من سنة ٧٣١ هـ/ ١٣٣١ م ولغاية ٧٥٢ / ١٣٥٢ م وقد اعتبره المؤرخون اقوى ملك في القرن الرابع عشر الميلادي للمزيد ينظر محمد مزاحم علاوي ـ الدولة المرينية في عصر ابي الحسن : ٣٣ وما بعدها .
(٤٦) ابن خلدون ـ العبر : ٧/ ٣٧٢ .
(٤٧) ابن الخطيب ـ اعمال الاعلام : ٢٩٨ ، اللمحة البدرية : ٩٧ .
(٤٨) ابن خلدون ـ العبر : ٧/ ٣٧٢ ـ ابن الخطيب ـ اللمحة البدرية : ١٠٥ .
(٤٩) ابن الخطيب ـ اعمال الاعلام : ٢٠٦ .
(٥٠) ابن خلدون ـ العبر : ٧/ ٣٢٤ وما بعدها .
(٥١) العبادي احمد ـ مختار ـ فترة مضطربة في تاريخ غرناطة ـ صحيفة معهد الدراسات الاسلامية (مدريد ـ ٥٩ ـ ٦٠) م ٧ و ٨/ ٦٦ .
(٥٢) تلقبه المصادر الاسبانية بابي سعيد البرميخو وذلك نسبة الى لون لحيته وشعره ، ينظر العبادي ـ فترة مضطربة في تاريخ غرناطة : ٤٣ .
(٥٣) اصبح ملكا على المغرب (٧٥٩ ـ ٧٦٣ هـ/ ١٣٥٧ ـ ١٣٦١ م) .
(٥٤) ابن الخطيب ـ نفاضة الجراب : ١٨٣ وما بعدها .
(٥٥) يذكر المقري ان عثمان بن يحيى بن عمر كان قد لحق اباه حيث استقر في بلاط قشتالة ، ازهار الرياض في اخبار عياض ـ نشر اللجنة المشتركة لنشر التراث الاسلامي (الرياض ، ١٩٧٨) ١ / ٣٠٨ ـ ٣٠٩ .
(٥٦) اللمحة البدرية : ١٣٠ المقري ـ ازهار الرياض : ١ / ٣٠٩ ، ويذهب ابن خلدون الى ان اعتقال يحيى بن عمر كان تدبيرا من ابن الخطيب حرصا على اخلاء الجوله ، العبر : ٤/ ١٧٥ .
(٥٧) ابن خلدون ـ العبر : ٧/٣٧٧٦ ، المقري ـ ازهار الرياض : ١ / ٢١٠ .
(٥٨) العبر : ٧ / ٦٧٨ ، وينظر الى الظهيرين اللذين اعلنهما السلطان محمد بتوليه ولديه عبدالله والاسعد .
ابن الخطيب ـ ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب ٢ / ٧٣ ـ ٨٠ .
٢ / ٧٣ ـ ٨٠ فرحات ـ غرناطة في ظل بني نصر : ٤٩ .
(٥٩) تمكن عبدالرحمن ان يقاسم ابا بكر ملك المغرب ، فاستقر بمراكش ليكون وادي ملوية حدا فاصلا بين الحاكمين للمزيد ينظر ابن خلدون ـ العبر : ٧/ ٣٩٩ ـ ٢٧٨ .
(٦٠) ابن خلدون ـ العبر : ٧/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥ .
(٦١) ابن الخطيب ـ الاحاطة : ١ / ٥٢٩ ـ ٥٣٠ ، فرحات غرناطة في ظل بني نصر : ٨٩ .
(٦٢) من بين الرسائل رسالة موجهة من الدون خايم الثاني ملك اراغون الى شيخ الغزاة ادريس بن عثمان مؤرخة في ١٨ ربيع الثاني ٨٢١ هـ للمزيد ينظر حمادة محمد مسافر الوثائق السياسية والادارية في الاندلس وشمال افريقيا ط ١ مؤسسة الرسالة (بيروت : ٤٦٠ ـ ١٩٨٠) .
(٦٣) ينظر عن هذه الاحداث ابن ابي زرع ـ الانيس المطرب : ٣٨٨ ـ ٣٨٩ ، ٣٩٤ ، العافية عبدالقادر ـ الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون واحوازها ـ وزارة الاوقاف مطبعة فضالة (المحمدية ـ ١٩٨٣) ٢٩ ـ ٣١ .
(٦٤) حكم الدولة المرينية للفترة الواقعة بين سنتي ٧١٠ ـ ٧٣١ هـ/ ١٣١٠ ـ ١٣٣١ .
(٦٥) هو ابو يحيى بن ابي زكريا ، حكم الدولة الحفصية منذ سنة ٧١٧ هـ وحتى ٧٤٧ هـ للمزيد عنه ينظر ابن القنفذ ـ الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبدالمجيد التركي الدار التونسية للنشر (تونس ١٩٧٨) : ١٦٠ ـ ١٦٨ .
(٦٦) الناصري ـ الاستقصا : ٣ / ١٣٩ .
(٦٧) ابن الخطيب ـ الاحاطة : ١ / ٥٣٥ ـ ٥٣٦ .

مقام الاطباء عند الخليفة

المتوكل على الله

٢٣٢ - ٢٤٧ هـ / ٨٤٧ - ٨٦١م

أ . د . بهجة كامل عبد اللطيف
قسم التاريخ - كلية الآداب / جامعة بغداد

ابو الفضل جعفر بن محمد (المعتصم) ابن الرشيد بن المنصور بن محمد بن عبد الله بن العباس ولد عام ٢٠٦ هـ / ٨٢١ م ولقب بعد توليه الخلافة ٢٣٢ هـ / ٨٤٧ م بالمتوكل على الله(١) . نشأ في ظروف غير اعتيادية شهدتها الخلافة العباسية اتسمت بعدم الاستقرار وتحول في السلطة الى الموالي الاتراك على حساب العرب بالدرجة الاولى الذين هم سادة الاسلام وبناة دولته وحضارته(٢) . يضاف الى ذلك التحول في الاتجاه الديني للخلافة على اثر اعلان الاعتزال مذهباً رسمياً للخلافة ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م(٣) . كما بلغت الحركة الشعوبية اوج نشاطها الادبي والفكري والاجتماعي خلال هذه الحقبة(٤) .

تعد خلافة المتوكل على الله من حيث النشاط العلمي والفكري امتداداً لمدة الازدهار التي شهدتها الخلافة العباسية ايام هارون الرشيد ١٧٠ - ١٩٣ هـ/ ٧٨٦ - ٨٠٨ م ، والمامون ٢٠٨ - ٢١٨ هـ / ٨٢٣ - ٨٣٣ م فقد كان لرعاية الخليفة المتوكل العلماء والادباء والشعراء وكرمه اثر كبير في دفعهم الى مواصلة التردد الى عاصمة الخلافة(٥) . وكانت مظاهر حب الخليفة للعلم والادب وتشجيعه للمشتغلين بها ان أقدم الكثير منهم على التأليف والكتابة في موضوعات للخليفة او لوزيره او لكبار الموظفين من ذلك اهداء حبيش بن موسى الضبي ت بعد ٢٤٧ هـ / بعد ٨٦١ م كتابه الاغاني للخليفة المتوكل واهداء الشاعر البحتري ت ٢٨٤ هـ/ ٨٩٨م كتابه الحماسة للفتح ابن خاقان وقبله قام الجاحظ ت ٢٥٥ / ٨٦٨ م باهداء معظم كتبه الى كبار المسؤولين في الخلافة طمعاً في الوصول والمنال والتقدير(٦) .

ويكفي المتوكل فخراً ان عصره شهد في مجال العلوم الدينية بزوغ التفاسير الاولى للقرآن الكريم ومنها على سبيل المثال تفسيرابن ابي شيبة ت ٢٣٥ هـ / ٨٥٠ م(٧) وتفسير اسحاق بن ابراهيم الحنظلي ت ٢٢٨ هـ / ٨٥٢ م(٨) وتفسير الاشج ابي سعيد عبد الله بن سعيد الكندي ت ٢٥٧ هـ / ٨٧١ م(٩) . وفي علوم الحديث مسند الامام احمد بن حنبل ت ٢٤١ هـ / ٨٥٥ م(١٠) وصحيح البخاري ت ٢٥٦ هـ / ٨٦٩(١١) ، وصحيح مسلم ت ٢٦١ هـ / ٨٧٤ م(١٢) وابن ماجة ت ٢٧٣ هـ / ٨٨٦ م(١٣) .

أن تردد العلماء والادباء والشعراء على بلاط الخليفة كان مدعاة للتنافس والتناظر فيما بينهم خصوصاً وان تشجيع الخليفة لهم كان له الاثر الكبير في الاندفاع نحو التنافس والتناظر . ولقد

كان للاطباء مكانتهم ودورهم في هذه المجالس العلمية والمناظرات الادبية بما عرف من تشجيع الخلفاء بصورة عامة والمتوكل على الله بصورة خاصة للاطباء وترجمة العلوم الطبية[١٤] فقد عرف عن العرب اهتمامهم بالطب والاطباء منذ قديم الزمان[١٥] . وكان الطب قبل الاسلام يمارسه العرافون والسحرة ويقوم على التعاويذ والطلاسم وكانت الحجامة اكثر الوسائل استعمالاً ومن اقوالهم « اخر الداء الكي . والكي يشفي من كل الامراض »[١٦] .

وبعد ظهور الاسلام وقيام الدولة العربية الاسلامية كان اغلب الاطباء من الذين تخرجوا من مدرسة جنديسابور واشهرهم الحارث ابن كلدة نحو ٥٠ هـ / ٦٧٠ م وولده النضر ت ٢ هـ / ٦٢٤ م[١٧] وان تناقل الروايات التاريخية لزيارة الحارث لكسرى واجابته على مسائل كسرى الطبية والفلسفية تدلل على مدى اهتمام العرب المسلمين بالطب وتشجيعهم له[١٨] . وقد ترك الاسلام الباب مفتوحاً امام العلماء للعمل بحرية دون النظر الى جنسهم او ديانتهم لذلك اسهم اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم جنباً الى جنب مع العرب والمسلمين في دفع عجلة التقدم العلمي والحضاري في الدولة العربية الاسلامية وكان للطب نصيبه الوافر في هذا التقدم ويعود الفضل في ذلك اضافة الى ما ذكر الى سخاء الخلفاء والامراء وسعة صدرهم وتحررهم من التعصب وعطفهم على العلماء والمترجمين مسيحيين كانوا ام يهودا ام صابئة ام مسلمين[١٩] .

ومن الامثلة على رعاية خلفاء بني العباس لاطبائهم ما روي ان الخليفة المنصور ١٣٦ - ١٥٨ هـ / ٧٥٣ - ٧٧٥ م لاحظ يوماً ان صحة طبيبه جورجيوس بن جبرائيل قد ساءت وظن ان سبب ذلك يعود الى منع الخليفة له من شرب النبيذ . فامر وزيره ان يذهب بنفسه الى قطربل ويجلب ما يمكنه من الشراب وتقديمه الى جورجيوس[٢٠] . وفي عام ١٥٢ هـ / ٧٦٩ م مرض جورجيوس مرضاً صعباً . وكان الخليفة يرسل اليه في كل يوم الخدم حتى يعرف خبره ولما اشتد مرضه ، امر به الخليفة فحمل على سرير الى دار العامة ، وخرج اليه الخليفة ماشياً وراءه[٢١] .

ومنها موقف الخليفة هارون الرشيد مع طبيبه جبرئيل بن بختشوع الذي كان موضع تقدير الخليفة وحبه حتى انه كان يدعوه له في الموقف التفت يوماً الى طبيبه قال « يا جبرئيل تعرف مرتبتك عندي ، قال يا سيدي وكيف لا اعلم ، قال له : دعوت لك الله في الموقف دعاء كثيراً ثم التفت الى بني هاشم فقال (عسى انكرتم قولي له ، فقالوا (ياسيدي ذمي ، فقال : نعم ولكن صلاح بدني وقوامه به وصلاح المسلمين بي فصلاحهم بصلاحه وبقائه ، فقالوا « صدقت يا امير المؤمنين »[٢٢] .

كان المعتصم ٢١٨ - ٢٢٧ هـ / ٨٣٣ - ٨٤٢ م يحب طبيبه سلمويه النصراني وينعته بابي ، فلما اعتل سلمويه عاده المعتصم وبكى عنده قال « تشير علي بعدك بما يصلحني .. »[٢٣] فلما مات سلمويه امتنع المعتصم عن الطعام يوم موته ، وامر ان تحضر جنازته الدار ، يصلي عليه بالشمع والبخور على زي النصارى الكامل ففعل بحيث يبصرهم ويباهي في كرامته ، وحزن عليه حزناً شديداً وبلغ اهتمام المعتصم بطبيبه ان قدمه على رجال بلاطه وفي بعض الاحيان على قاضي قضاته لاعتقاده ان الطبيب يحكم في النفس والنفس بالنسبة له اشرف من المال والملك . ومن مظهر تقدير الخليفة لطبيبه انه اذا ورد له كتاب يقتضي توقيعاً ،[٢٤] وكان سلمويه حاضراً امره ان يوقع بخطه ، وكان كل ما يرد على الامراء والقواد من صدور امر وتوقيع من الخليفة فبخط سلمويه »[٢٥] وكان الخليفة يامر ايضاً بتلاوة رسائله على سلمويه ومناظرته فيها فان كان استوعب رأيه امر الخليفة بختمها وايصالها[٢٦] .

هذه شذرات من مواقف بعض خلفاء العصر العباسي لاطباء زمانهم والتي تسلط الضوء وتعطي الدليل القاطع على مدى اهتمامهم بهذه المهنة وسعيهم الحثيث الى تطويرها وتسخيرها لخدمة المجتمع الاسلامي . فلا غرابة ان تجد هذه المكانة تتعزز اكثر واكثر طوال خلافة المتوكل على الله الذي عرف عنه حبه للعلماء والادباء ومجالس البحث والمناظرة . وكان من مظاهر اكرامه لاطبائه انهم اذا حضروا مجلس الخليفة جلسوا معه على السدة ، مما يدل على علو منزلة الطبيب وانبساطه معه . فقد روى ان الطبيب بختشوع بن جبرائيل « دخل يوماً على المتوكل وهو جالس على السدة في وسط الدار الخاصة فجلس بختشوع على عادته معه على السدة وكان عليه دراعه ديباج رومي وقد انفتق ذيلها قليلاً ، فجعل المتوكل يحادث بختشوع ويعبث بذلك الفتق حتى بلغ حد النيفق* ودار بينهما كلام اقتضى ان سال المتوكل بختشوع بماذا تعلم ان المشوش يحتاج الى الشد والقيادة ؟ قال اذا بلغ في فتق دراعه طبيبه الى حد النيفق شددناه فضحك المتوكل حتى استلقى على ظهره وامر له في الحال بخلع سنيه ومال جزيل[٢٧] ويعلق ابن العبري ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م على هذه الحادثة ويقول (هذا يدل على لطف منزلة بختشوع عند المتوكل وانبساطه معه)[٢٨] .

والمتوكل هو الذي امر وزيره وقال (اكتب في ضياع بختشوع فان ضياعي وملكي وان محله منا محل ارواحنا في ابداننا)[٢٩] وبلغ بختشوع من عظم الحال والمنزلة وكثرة المال ما لم يبلغه احد من سائر الاطباء الذين كانوا في عصره . وكان كما يقول ابن ابي اصيبعة ت ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م « يضاهي المتوكل في اللباس والفرش »[٣٠] وبلغت منزلته عند المتوكل على الله انه عندما مرض امر امير المؤمنين ابنه « المعتز » ان يعوده وهو اذ ذاك ولي العهد فعاده ومعه اثنان من كبار رجال المتوكل[٣١] .

وبلغ من رعاية وتقدير الخليفة لطبيبه بختيشوع ان امر بسجن شاعره علي بن الجهم[٣٢] ت ٢٤٩ هـ / ٨٦٣ م عندما هجا بختشوع[٣٣] . وبالرغم من ان الخليفة المتوكل على الله اطلقه بعد عام من هذه الحادثة لكنه عاد ونفاه الى خراسان[٣٤] .

ومن مظاهر اكرامه ايضاً انه اصبح لثياب بختشوع اثرها في عيون الناس وتبرهن على المبالغة في الاكرام والسخاء على الاطباء وتمنى حتى الخلفاء ان يلبسوا مثل هذه الثياب . ومن ذلك

ان الخليفة المعتز ٢٥٢ - ٢٥٥ هـ / ٨٦٦ - ٨٦٩ م ، كان قد اعتل في ايام المتوكل علـه من حرارة امتنع معها من تناول الاطعمة والادوية فشق ذلك على المتوكل هذا العمل لبختشوع وزاد في اكرامه[٣٥] وروى « ان المتوكل اشتهى في بعض الاوقات الحارة ان ياكل مع طعامه خردلاً فمنعه الاطباء من ذلك لحدة مزاجه وحرارة كبده وغائلة الخردل . فقال بختشوع : انا اطعمك اياه وان ضرك علي ؟ فقال افعل فامر باحضاره قرعة وجعل عليها طيناً في تنور واستخرج ماءها وامر بان يقشر الخردل ويضرب بماء القرع . وقال ان الخردل في الدرجة الرابعة من الحرارة والقرع في الدرجة الرابعة من الرطوبة فيعتدلان فكل شهوتك . وبات تلك الليلة ولم يحس بشيء من الاذى ، واصبح كذلك فامر ان يحمل اليه ثلثمائة الف درهم وثلاثون تختاً من اصناف الثياب[٣٦] .

وبالرغم من كل مظاهر الاكرام والرعاية فان بختشوع لم يسلم من دسائس الواشين والحساد الذين نجحوا في الايقاع بينه وبين الخليفة فنكبه الخليفة وقبض على املاكه ووجه به الى مدينة السلام . وعندما عرض بعد ذلك للمتوكل قولنج استحضره الخليفة واعتذر وعالجه وبرأ وانعم عليه ورضي عنه ، واعاد ما كان له[٣٧] .

ثم جرت على بختشوع حيلة اخرى فنكبه نكبة قبض فيها جميع املاكه ووجه به الى البصرة[٣٨] وورد في الطبري ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م انه نفي الى البحرين بعد ان قبض ماله وفي ذاك قال اعرابي[٣٩] :

يـا سخطـة جـاءت على مقـدار
ثـار لـه الليث على اقتـدار
منـه وبختشـوع في اغتـرار
لمـا سمى بـالسـادة الاقمـار
بـالامـراء القـادة الابـرار
ولاة عهـد السيـد المختـار
وبـالمـوالي وبني الاحـرار
رمى بـه في مـوحش القفـار
بسـاحـل البحـرين للصفـار

ويذكر الطبري في حوادث سنة ٢٤٥ هـ (٨٥٩ م) ان بختشوع المتطبب ضرب مائة وخمسين مقرعة واقفل بالحديد وحبس في المطبق[٤٠]

ومن بين الاطباء الذين حظوا برعاية الخليفة المتوكل الطبيب يوحنا بن ماسويه ت ٢٤٤ هـ / ٨٥٨ م وكان طبيباً فاضلاً خبيراً بصناعة الطب وله كلام حسن وتصانيف مشهورة وكان مبجلاً حظياً عند الخلفاء[٤١] .

وروى ابن ابي اصيبعة « كانت ملوك بني هاشم لا يتناولون شيئاً من اطعمتهم الا بحضرته »[٤٢] خدم يوحنا بن ماسويه بصناعة الطب الخلفاء المامون والمعتصم والواثق والمتوكل . ومن نوادر يوحنا مع الخليفة المتوكل ان الخليفة اقتصد يوماً فقال لخاصته وندمائه اهدوا الي يوم فصدي ، فاحتفل كل واحد منهم في هديته ، واهدى اليه الفتح بن خاقان جارية لم ير السروان مثلها حسناً وظرفاً وكمالاً فدخلت عليه ومعها جام ذهب في نهاية الحسن ودن بلور لم ير مثله فيه شراب يتجاوز الصفات ورقعة فيها مكتوب :-

اذا خـرج الامـام من الـدواء
واعقب بـالسـلامـة والشفـاء
فليس لـه دواء غيـر شـرب
بهـذا الجـام من هـذا الطـلاء
وفض الخـاتم المهـدي اليـه
فهـذا صـالـح بعـد الـدواء

واستطرف المتوكل ذلك واستحسنه ، وكان بحضرته يوحنا ابن ماسويه فقال يا امير المؤمنين الفتح والله « يقصد الفتح بن خاقان » اطلب مني فلا تخالف ما اشار به[٤٣] ومن نوادره ايضاً ان المتوكل قال له يوماً بعث بيتي بقصرين . فقال له : اخر الغذاء يا امير المؤمنين اراد المتوكل تعشيت فضرني لانه تصحيفها ، واجابه ابن ما سويه بما تضمن العلاج[٤٤] وعتب ابن حمدون ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م ابن ماسويه بحضرة المتوكل فقال له ابن ماسويه لو ان مكان ما فيك من الجهل عقلاً ثم قسم على مائة خنفساء لكانت كل واحدة منهن اعقل من ارسطو طاليس[٤٥] .

وروى ان ابن ماسويه دخل يوماً على المتوكل ، فقال المتوكل لخادمه : خذ بول فلان في قارورة وائت به الى ابن ماسويه فاتى به فلما نظر اليه قال هذا بول بغل لا محالة . فقال له المتوكل : كيف علمت انه بول بغل : قال ماسويه : احضرني صاحبه حتى اراه ويتبين كذبي من صدقي فقال المتوكل هاتوا الغلام . فلما مثل بين يديه قال له ابن ماسويه : ايش اكلت البارحة قال خبز شعير ، وماء قزاح . فقال ابن ماسويه هذا والله طعام حماري اليوم[٤٦] .

اما الطبيب اسرائيل بن زكريا الطيفوري الذي اختص بوزير المتوكل على الله الفتح بن خاقان . فقد كان المتوكل يرى له الكثير ويعتمد عليه ، وله عند المتوكل المنزلة المكينة . ومن ذلك ان اسرائيل بن زكريا وجد على امير المؤمنين المتوكل لما احتجم بغير اذنه ، فافتدى غضبه بثلاثة الاف دينار وضيعة تغل له في السنة خمسين الف درهم وهبها له وسجل له عليها[٤٧] .

وحكى ان المتوكل على الله قد عاده يوماً وقد غشي عليه فصير يده تحت رأسه مخدة ، ثم قال للوزير « يا عبد الله حياتي معلقة بحياته ان عدمته لا اعيش : هذا دليل قاطع على المكانة العالية التي وصل اليها ابن زكريا في نفس الخليفة وعلى مدى اهتمام خلفاء بني العباس بالطب ورجاله . ويقال ان اسرائيل بن زكريا اعتل يوماً ما فوجه اليه الخليفة سعيد بن صالح حاجبه وموسى بن عبد الملك كاتبه يعودانه[٤٨] .

وبلغ ابن زكريا من علو المنزلة بعد ان انس به المتوكل وجعله في مرتبة بختشوع ومن عظم قدره كان متى ركب الى دار الخلافة يكون موكبه مثل موكب الامراء واجلاء القواد ، وبين يديه

اصحاب المقارع ، ولم يكتف تقدير الخليفة عند هذا القدر من مظاهر الابهة والتكريم فقد اقطعه قطيعة بسامراء حسب اختياره وبعد ان اختار المكان الذي بيده دفع اليه الخليفة ثلثمائة الف درهم للنفقة عليه[٤٩] .

ويأتي على رأس قائمة الاطباء الذين اكرمهم الخليفة المتوكل على الله الطبيب حنين بن اسحاق الذي اختير في بادىء الامر للترجمة واؤتمن عليها ووضع للخليفة كتاباً نحارير عالمين بالترجمة كانوا يترجمون ويتصفح ما ترجموا[٥٠] .

ومن مظاهر تكريم الخليفة له انه كان يلبس زنارا وبلغت مكانته عند الخليفة انه لما استدعى في احدى الليالي دفع المتوكل على الله للخادم الذي هداه الى محله ثلاثين الف درهم .

وقد حسده الطبيب بختشوع بن جبرائيل على علو مكانته وعلمه وفضله وما هو عليه من جودة النقل واحتال عليه بخديعة عند الخليفة وتم مكره عليه حتى اوقع المتوكل به وحبسه . ويرجع السبب في علو منزلة حنين الى علمه وحذاقته في الترجمة وصدقه مع الخليفة فقد روى انه لما قوى امر حنين وانتشر ذكره بين الاطباء واتصل خبره بالخليفة امر باحضاره فلما احضر اقطع اقطاعات حسنة وقرر له جار جيد وكان يشمره بزبور الروم وكان الخليفة يسمع بعلمه ولا ياخذ بقوله دواء يصفه حتى يشاور فيه غيره واحب امتحانه حتى يزول ما في نفسه عليه ظناً منه ان ملك الروم ربما كان عمل شيئاً من الحيلة به[٥١] .

فاستدعاه يوماً وامر بان يخلع عليه ، واحضر توقيعاً فيه قطاع يشتمل على خمسين الف درهم ، فشكر له حنين هذا الفعل ، ثم قال بعد اشياء جرت اريد ان تصف لي دواء يقتل عدواً نريد قتله ولم يمكن اشهاره ونريده سراً فقال حنين يا امير المؤمنين : اني لم اتعلم الا الادوية النافعة وما علمت ان امير المؤمنين يطلب مني غيرها ، فان احب ان امضي واتعلم فعلت ذلك فقال هذا شيء يطول ، ورغبه هدده وهولا يزيد على ما قاله الى ان امر بحبسه في بعض القلاع ووكل به من يوصل خبره اليه وقتاً بوقت ويوماً بيوم فمكث سنة في حبسه دأبه النقل والتفسير والتصنيف ... فقال حنين قد قلت لامير المؤمنين اني لم احسن الا الشيء النافع ، ولم اتعلم غيره فقال الخليفة فاني اقتلك . قال حنين لي رب ياخذ بحقي غدا في الموقف الاعظم . فان اختار امير المؤمنين ان يظلم نفسه فليفعل فتبسم الخليفة وقال له يا حنين طب نفساً وثق الينا فهذا الفعل كان منا لا متحانك لانا حذرنا من كيد الملوك واعجبنا بك ، فاردنا الطمانينه اليك والثقة بك لننتفع بعلمك ...[٥٢] .

وكان الاطباء يحسدون حنين على علمه وفضله وما هو عليه من علو المنزلة . فقد روى ان المتوكل خرج يوماً وبه خمار فقعد في مقعده فاخذته الشمس وكان بين يديه الطيفوري النصراني وحنين ابن اسحاق فقال له الطيفوري يا امير المؤمنين الشمس تضر بالخمار فقال المتوكل لحنين ما عندك فيما قال ؟ فقال حنين يا امير المؤمنين الشمس لا تضر بالخمار فلما تناقضا بين يديه كشفهما عن صحة احد القولين . فقال حنين يا امير المؤمنين الخمار حار للخمر ، والشمس لا تضر بالخمار انما تضر بالمخمور فقال المتوكل لقد احرز من طبائع الالفاظ وتحديد المعاني ما فاق به تضرأة فوجم لها الطيفوري ، فلما كان في غد ذلك اليوم اخرج حنين من كمه كتاباً فيه صورة المسيح مصلوباً وصور ناس حوله ..

فقال له الطيفوري يا حنين هؤلاء صلبوا المسيح ؟ قال نعم . فقال له ... عليهم . قال حنين لا افعل ، قال الطيفوري ولم ؟ قال لانهم ليسوا الذين صلبوا المسيح انما هي صور ، فاشتد ذلك على الطيفوري ورغمه الى المتوكل يساله اباحة الحكم عليه بديانة النصرانية .

فبعث الى الجاثليق والاساقفة وسئلوا عن ذلك ، فاوجبوا اللعنة على حنين فلعن سبعين لعنة بحضره الملا من النصارى وقطع زناره ، وامر المتوكل ان لا يصل اليه دواء من قبل حنين حتى يستشرف على علمه الطيفوري ...[٥٣] .

ومع هذا فلم يسلم حنين من مكائد حساده ودسائسهم لان الخليفة فضله على سائر اطبائه ، فقد صار حنين حظياً عند المتوكل وفضله على بختشوع وعلى غيره من سائر المتطببين ، ولم يزل على ذلك في ايام المتوكل الى ان مرض حنين فيما بعد المرض الذي توفي فيه . وذلك في سنة اربع وستين .. ووصف حنين موقف حساده منه في رسالة الفها فيما اصابه من المحن والشدائد من الذين ناصبوه العداوة من اشرار اطباء زمانه المشهورين يقول فيها « انه لحقني من اعدائي ومضطهدي الكافرين بنعمتي الجاحدين لحقي ، الظالمين لي ، المعتدين علي من المحن والمصائب والشرور ما منعني من النوم وأسهر عيني واشغلني عن مهماتي . وكل ذلك من الحسد لي على علمي وما وهبه الله عز وجل لي من علو المرتبة على اهل زماني واكثر اولئك اهلي واقربائي ، فانهم اول شروري وابتداء محنتي ...[٥٤] » .

والخلاصة ان الطب من الاركان الاساسية التي ارتكزت عليها الخلافة ولهذا اهتم الخلفاء العباسيون بصورة عامة والمتوكل بصورة خاصة بهذه الصناعة واغدقوا على اطبائهم الاموال واجزلوا لهم العطاء والمنح وقلدوهم المناصب العالية واصبحت لهم منزلة رفيعة بين رجال البلاط وعلمائه وكان الجميع يرغبون منهم بالبذل والاكرام ، بقطع النظر عن طوائفهم وشيعهم وانسابهم وقد شهد جميع الاطباء على اختلاف مللهم ونحلهم عهداً عظيماً من الحرية والثقة والاطمئنان[٥٥] . وقد رفع هذا التقدير والاحترام والمتابعة المتواصلة من لدن الخليفة المتوكل على الله الى ازدهار صناعة الطب وكان لمدرسة حنين بن اسحاق دورها الرائد .[٥٦] .

(الهوامش والاحالات)

١ - محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م : تاريخ الرسل والملوك ، ليدن ، بريل ١٨٨١ ، ج ٣ ، ص ١٣٦٩ م ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي ابن عبد المسعودي ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ج ٤ ص ٨٥ ؛ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م : تاريخ الخلفاء تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٣٨٣ / ١٩٦٤ ، ط ٢ ، ص . ٣٤ .

٢ - بهجت كامل عبد اللطيف ، (الحس العربي في سياسة المتوكل على الله العباسي ، بحث القي في ندوة سامراء في التراث العربي جامعة تكريت نيسان ١٩٩٢ ؛ مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٥٣ سنة ١٩٩٦ ، ص ١٤٩ - ١٦١ .

٣ - الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٣ ص ١١١٢ فما بعدها ؛ قارن العيون والحدائق في اخبار الحقائق مؤلف مجهول ليدن بريل ١٨٦٩ ، ص ٣٧٦ ، ص ٣٧٦ - ٣٧٧ ؛ زهدى جار الله : المعتزلة ، بيروت الاهلية للنشر والتوزيع ١٩٧٤ ط ٢ ص ١٦٢ .

٤ - سميرة المختار الليثي : الزندقة والشعوبية وانتصار الاسلام عليها ، القاهرة مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٨ ؛ عبد الله سلوم السامرائي : الشعوبية ، حركة مضادة للاسلام والامة العربية ، بغداد ، دار الرشيد ١٩٨٠ ؛ منظمة المؤتمر الاسلامي الشعوبية ودورها التخريبي في الفكر العربي الاسلامي ، بغداد مطبعة الرشاد ١٤٠٨ / ١٩٨٨ ؛ هيئة كتابة التاريخ : وقائع للندوة القومية لمواجهة الحس الشعوبي ، بغداد ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م .

٥ - يونس احمد السامرائي : سامراء في ادب القرن الثالث الهجري ، بغداد مطبعة الارشاد ١٩٦٨ م ؛ احمد عبد الباقي ، معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري ، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٩١ م ط ١ ؛ عماد اسماعيل النعيمي : الخليفة المتوكل على الله العباسي ، بغداد هيئة كتابة التاريخ ١٩٩٠ .

٦ - ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الملقب بالجاحظ ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م : الحيوان شرح وتحقيق يحيى الشامي ، بيروت دار مكتبة الهلال ١٩٨٦ ط ١ ج ١ المقدمة ص ٦ ؛ ابو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الحموى ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م : معجم الادباء ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ط ٣ ، ٤ ، ج ٧ ص . ٢٢ - ٢٢١ ؛ النعيمي عماد اسماعيل ص ٨٣ .

٧ - ابو الفرج محمد ابن اسحق بن النديم ت ٤٣٨ هـ / ١٠٤٦ م : الفهرست في اخبار العلماء والمصنفين من القدماء والمحدثين واسماء كتبهم ، طهران مطبعة الاسدي ، ١٩٧٠ ، ص ٣٧ ؛ احمد عبد الباقي ص ١٦٠ .

٨ - ابو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م : تاريخ بغداد او مدينة السلام ، بيروت دار الكتاب العربي (د . ت) ج ٦ ص ٤٤٨ ؛ ابو العباس شمس الدين احمد ابن محمد ابن خلكان ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م ، وفيات الاعيان وابناء الزمان ، تحقيق احسان عباس بيروت دار الثقافة (د . ت) ج ١ ، ص ١٩٩ - ٢٠١ ؛ احمد عبد الباقي ص ٢١١ .

٩ - ابن النديم ؛ حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله ت ١٠٦٧ هـ / ١٦٠٦ م . كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، قام بتصحيحه محمد شريف بالتقايا ورفعت الكليس ، استانبول ، مطبعة الحكومة ، ١٩٤١ ج ١ ، ص ٣٣٩ ؛ احمد عبد الباقي ، ص ١٦٠ .

١٠ - ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م ؛ مناقب الامام احمد بن حنبل تصحيح محمد امين الخانجي الكتبي ، بيروت خانجي وحمدان (د . ت) ،

W . M . Patton Ahmad Ibn Hanbal and The Mihna , Liden , E . J . Brill 1897 ,

« HANBAL » , Encyclobaedia of Islam , 2 nd ed . Liden , E . J , Brill , 1960 , Vol . 1

١١ - الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ٢ ص ٤ - ٣٦ ؛ ابن خلكان وفيات الاعيان ج ١ ، ص ٤٥٥ ؛ ابو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي ت ٧٧٤ هـ / ١٢٧٢ م البداية والنهاية ، بيروت دار الكتب العلمية ١٤٠٧ / ١٩٨٧ ، ط ٣ ج ١١ ، ص ٢٧ - ٣١ .

J . Robson « AL . Bukhari Muhmmad B . gsma 'IL » , Encyclopaedia of Ismlll Vol ., I .

١٢ - الخطيب البغدادي ، ج ١٣ ، ص ١٠٠ ؛ ابن خلكان ج ٢ ، ص ٩١ ، ابن كثير ج ١١ ، ص ٣٦ - ٣٨ ؛ احمد عبد الباقي ، ص ١٦٠ .

١٣ - ابن خلكان ج ١ ص ٤٨٨ ، ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، بغداد الدار الوطنية ١٩٩٠ ، ج ٥ ، ص ٩٠ .

١٤ - حذيفة الخطيب : الطب عند العرب ، بيروت الاهلية للنشر والتوزيع ١٩٨٨ ، ص ٧٢ ؛ جورج شحاته قنواتي : المسيحية والحضارة العربية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨٤ ، ط ٢ ، ص ١٠٢ ؛ رشيد حميد حسن الجميلي : حركة الترجمة في المشرق الاسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجرة ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ١٩٨٦ ، ص ١٥٦ .

١٥ - امين اسعد خير الله : الطب العربي ، بيروت ، ١٩٤٦ ، ص ٣٦ ؛ كمال السامرائي : مختصر تاريخ الطب العربي ، بغداد ، دائرة الشؤون الثقافية والنشر ١٩٨٤ ، ص ٢٤٧ وما بعدها ؛ عبد الحميد العلوجي : تاريخ الطب العراقي ، بغداد ، مطبعة اسعد ١٣٨٧ / ١٩٦٧ ص ١٤ - ١٥ .

١٦ - امين اسعد خير الله ، ص ٢٤ ؛ كمال السامرائي ص ٢٣٠ - ٢٤٥ .

١٧ - ابو داود سليمان بن حسان الاندلسي المعروف بابن جلجل توفي بعد ٣٧٧ هـ ٤٨٧ . طبقات الاطباء والحكماء تحقيق فؤاد سيد القاهرة المعهد العلمي الفرنسي للاثار الشرقية ١٩٥٥ ، ص ٥٤ - ٥٥ ؛ موفق الدين ابو العباس احمد بن القاسم بن ابي اصيبعة ت ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م ؛ عيون الانباء في طبقات الاطباء ، بيروت دار الثقافة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ، ط ٢ ، ج ٢ ، ص ١٣ ؛ ابو الفرج غريغوريوس المعروف بابن العبري ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م ؛ تاريخ مختصر الدول بيروت دار الرائد اللبناني ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، ص ١٥٦ ؛ ابو الفضل شهاب الدين احمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م ؛ الاصابة في تمييز الصحابة ، بيروت - دار احياء التراث العربي (د . ت) ج ١ ، ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .

١٨ - امين اسعد خير الله : الطب العربي ، ص ٤٣ - ٦٣ ؛ احمد عبد الباقي ، ص ٥١٩ - ٥٢٦ ؛ حذيفة الخطيب ص ١٨٠ - ١٨١ ؛ كمال السامرائي ، ج ١ ، ص ٣٦٨ فما بعدها .

١٩ - امين اسعد خير الله : ص ٤٩ .

٢٠ - ابن ابي اصيبعة ، ج ٢ ، ص ٣٨ ، قطربل : اسم قرية بين بغداد وعكبرا ، ينسب اليها الخمر ، وما زالت متنزهاً للبطالين وحانة للخمارين ... يا قوت الحموى ، معجم البلدان ، بيروت ، دار صادر ، ١٣٧٦ / ١٩٥٧ ، ج ٤ ، ص ٣٧١ - ٣٧٢ .

٢١ - ابن ابي اصيبعة ، ج ٢ ، ص ٣٩ - ٤٠ ، ابو الحسن جمال الدين علي ابن يوسف ، القفطي ت ٦٤٦ هـ/ ١٢٢٩ م : تاريخ الحكماء لا بيزك ١٩٠٣ ، ص ١٥٩ - ١٦٠ ؛ حنفية الخطيب ، ص ٧٣ .

٢٢ - ابن ابي اصيبعة ، ج ٢ ، ص ٤٨ ؛ امين اسعد خير الله ، ص ١٥٠ .

٢٣ - ابن النديم ، ص ٤١٢ - ٤١٣ ؛ ابن ابي اصيبعة ، ج ٢ ، ص ١٠٦ ؛ ابن القفطي ص ٣٨٧ - ٣٨٨ ؛ حنفية الخطيب ، ص ٨١ - ٨٢ .

٢٤ - ابن ابي اصيبعة ، ج ٢ ، ص ١٠٦ .

٢٥ - المصدر نفسه والصفحة .

٢٦ - المصدر نفسه والصفحة .

٢٧ - المصدر نفسه ج ٢ ، ص ٦٩ ؛ ابن العبرى ص ٢٤٩ ؛ ابن القفطي ، ص ١٠٣ .

• الديفق : القميص والسراويل وهو فارسي معرب . الموضع المتسع منها والعامة تقول ديفق ؛ جمال الدين ابو الفضل محمد بن مكرم بن منظور ت ٧١١ هـ/ ١٣١١ م : لسان العرب ، اعداد وتصنيف يوسف خياط ، بيروت دار لسان العرب (د . ت) ج ٣ ، ص ١٦٩٤ .

٢٨ - تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٤٩ .

٢٩ - ابن ابي اصيبعة ج ٢ ، ص ٦٨ - ٦٩ .

٣٠ - المصدر نفسه ص ٦٧ .

٣١ - المصدر نفسه ص ٦٨ ؛ ويذكر ابن القفطي انه « لما ولي المتوكل صلحت حال بختشوع حتى بلغ في الجلالة والرفعة وعظم المنزلة وحسن الحال وكثرة المال وكمال المروءة ومباراة الخليفة في اللباس والزي والطيب والفرش والضيافات والتفسح في النفقات مبلغاً يفوق الوصف » تاريخ الحكماء ص ١٠٢ .

٣٢ - ابو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن احمد الاصبهاني ، ت ٣٥٦ هـ / ٦٧ م : كتاب الاغاني ، القاهرة ، دار الكتب ١٣٥٧ / ١٩٣٨ ، ١٠ ، ص ٢٠٣ ، فما بعدها . ابن خلكان وفيات الاعيان ، ج ٣ ، ص ٣٥٥ - ٣٥٨ ؛ قارن المسعودي ؛ مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ١١١ حيث يذكر نفي الخليفة لعلي بن الجهم الى خراسان دون ان يذكر السبب وان النفي وقع ٢١٣ هـ .

٣٣ - ابو الفرج الاصبهاني ، ج ١٠ ، ص ٢٠٦ - ٢٠٧ ؛ ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد المعروف بابن الاثير ، ت ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢ م : الكامل في التاريخ ، بيروت ، دار الفكر ١٣٩٨ / ١٩٧٨ م ، ج ٥ ، ص ٢٩١ .

٣٤ - الطبرى تاريخ الرسل والملوك ، ج ٣ ، ص ١٤٣٧ م ، ابو الفرج الاصفهاني ، ج ١ ، ص ٢٠٦ ؛ ابن الاثير ، ج ٥ ، ص ٢٩١ ؛ ابن خلكان ، ج ٣ ، ص ٣٥٥ ابن خلكان يذكر ان سبب النفي يعود الى هجائه للخليفة المتوكل على الله .

٣٥ - ابن ابي اصيبعة ، ج ٢ ، ص ٦٨ ؛ ابن القفطي ، ص ١٠٢ ، وتذهب الرواية الى القول (ان المعتز بالله اعتل في ايام ابيه المتوكل علة من حرارة امتنع معها من اخذ شيء من الادوية والاغذية فشق ذلك على المتوكل كثيراً واغتم غماً شديداً فصار اليه بختشوع والاطباء عنده وهو على حالة من الامتناع وقوة المرض فحادثه ومازحه فادخل المعتز يده في كم جبة وشيء ايماني مثقلة كانت على بختشوع وقال ما احسن هذا الثوب فقال له بختشوع يامولانا ماله والله نظير في الحسن وثمنه علي الف دينار كل تفاحتين وخذ الجبة فدعا المعتز بتفاحتين واكلهما فقال بختشوع تحتاج الجبة الى ثوب يكون معها وعندي ثوب هو اخ لها فاشرب شربة سكنجبين وخذه فشرب شربة سكنجبين واخذهما فوافق ذلك اندفاع طبيعة المعتز وبرى ... » .

٣٦ - ابن ابي اصيبعه ، ج ٢ ، ص ٦٨ .

٣٧ - المصدر نفسه ، ص ٦٢ - ٦٣ .

٣٨ - المصدر نفسه ، ص ٦٣ .

٣٩ - تاريخ الرسل والملوك ج ٣ ، ص ١٤٣٧ ،

٤٠ - المصدر نفسه ، ص ١٤٤٧ .

٤١ - ابن جلجل ص ٦٥ ؛ ابن ابي اصيبعة ، ج ٢ ، ص ١٢٣ ؛ ابن العبرى ، ص ٢٢٧ .

٤٢ - عيون الانباء في طبقات الاطباء ج ٢ ، ص ١٢٤ ، ويضيف قائلاً وكان (يوحنا بن ماسويه) يقف على رؤوسهم ومعه البرالى بالجوار معقدات الهاضمة والمسخنة الطابخة والمقوية للحرارة الغريزية في الشتاء وفي الصيف بالاشربة الباردة والجوارشنات ، انظر كذلك ابن جلجل ، ص ٦٥ - ٦٦ .

٤٣ - ابن ابي اصيبعة ، ج ٢ ، ص ١٣٢ - ١٣٣ .

٤٤ - ابن ابي اصيبعة ، ج ٢ ، ص ١٣٣ .

٤٥ - المصدر نفسه ص ١٣٣ ؛ ابن القفطي ص ٣٨٢ ، ويقول ابن القفطي (كان في حياته يوحنا بن ماسويه - يعقد مجلساً للنظر ويعمر ذلك المجلس بعلم هذا الشأن اتم عبارة ويجرى فيه من كل نوع من العلوم القديمة باحسن عبارة واجتمع اليه اهل العلوم والادب وكان يدرس ويجتمع اليه تلاميذ كثيرون » ص ٣٨١ - ٣٨٢ .

٤٦ - ابن ابي اصيبعة ، ج ٢ ، ص ١٣٣ .

٤٧ - المصدر نفسه ، ص ٩٣ - ٩٤ .

٤٨ - المصدر نفسه ، ص ٩٤ .

٤٩ - المصدر نفسه والصفحة .

٥٠ - المصدر نفسه ، ص ١٤٤ .

٥١ - المصدر نفسه ، ص ١٤٧ - ١٤٨ .

٥٢ - المصدر نفسه ، ص ١٤٤ - ١٤٥ ؛ ابن العبرى ، ص ٢٥١ - ٢٥٢ .

٥٣ - ابن ابي اصيبعة ، ج ٢ ، ص ١٤٨ - ١٤٩ .

٥٤ - المصدر نفسه ص ١٤٩ فما بعدها ؛ ابن العبرى ، ص ٢٥١ ؛ عمر فروخ : تاريخ الفكر العربي الى ايام ابن خلدون ط ٤ ، بيروت دار العلم للملايين ١٩٨٣ ، ص ٢٧٩ ، علي عبد الله الدفاع ، اعلام العرب والمسلمين في الطب ط ٤ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ١٤٠٨ / ١٩٨٧ ، ص ٦٦ .

٥٥ - حنيفة الخطيب ، ص ٧٢ .

٥٦ - ابن ابي اصيبعة ، ج ٢ ، ص ١٤٩ ؛ ابن العبرى ص ٢٥١ ، عمر فروخ تاريخ الفكر العربي الى ايام ابن خلدون ص ٢٧٩ ، علي عبد الله ، الدفاع اعلام العرب والمسلمين في الطب ، ص ٦٦ .

بحوث ودراسات

الطب العراقي وأثره في الطب اللاتيني

د/محمود الحاج قاسم محمد
باحث في الطب العربي الاسلامي

المتتبع لحركة الترجمة بين اللغات عبر مراحل انتقال الحضارات يجد تفاوتاً بيناً في تاثر المترجمين ببعض العوامل او الضغوط العقائدية واللغوية والاخلاقية . واذا قارنا بين الترجمات العربية للمؤلفات اليونانية ، وبين الترجمات اللاتينية للمؤلفات العربية نجد فرقاً شاسعاً في تاثير تلك الضغوط على الترجمات بين الاثنين . لقد تناولنا اوجه التباين هذه بشكل مفصل في كتابنا (انتقال الطب العربي الى الغرب ... معابره وتاثيره) .

نكتفي هنا بذكر صفة من صفات النقلة اللاتين حيث « اتخذت عملية اخذ اللاتين من علوم المسلمين صفة الانتحال ، ولقد بين هذا عدد من العلماء المتخصصين في بحوث كثيرة اذ اظهروا كيف انتحل علماء لاتين لانفسهم بحوثاً اخذوها من كتب العلماء المسلمين ، او انتحلوا كتباً كاملة ترجموها الى لغتهم ، زاعمين انها من ابداعهم وتاليفهم ، كما انهم نقلوا كتباً عربية اخرى ، ثم زعموا انها لمشاهير من الاغريق مثل ارسطو طاليس وجالينوس وروفس وسواهم »[1] . كما وان كثيراً من التراجمة نسوا او تناسوا ان يذكروا اسم المؤلف الاصلي او حرفوا اسمه في اللاتينية حتى صار يصعب معرفة اسمه الاصلي . ومن الامثلة على انتحال الكتب والافكار الطبية العربية انتحال ما يكل سرفيتوس لافكار ابن النفيس حول الدورة الدموية الرئوية ، ومن الامثلة على انتحال الكتب الطبية العربية ونسبتها الى انفسهم التماساً بتلك الشهرة لانفسهم ، ما قام به قسطنطين الافريقي عندما قام (بالتعاون مع يوحنا فلانوس) بترجمة كتاب كامل الصناعة الطبية لعلي ابن العباس المجوسي ، وكتاب العشر مقالات في العين لحنين بن اسحاق العبادي ونشرهما باسمه لا باسم مؤلفيهما الحقيقيين . على ان كتاب المجوسي قد ترجم مرة اخرى الى اللاتينية بعد اربعين سنة باسم مؤلفه الحقيقي من قبل اصطيفان البيزي .

وبعد هذه المقدمة القصيرة ندخل في صلب الموضوع الذي سوف نحاول فيه القاء الضوء على كتب ومؤلفات الاطباء العراقيين التي ترجمت الى اللاتينية ، والتي كانت - مع مؤلفات الاطباء العرب الآخرين - عاملاً ايجابياً بالغ الاهمية في دفع عملية النهوض الطبي الاوربي الحديث . علماً بان تناولنا لتلك المؤلفات سيكون حسب التسلسل الزمني لحياة مؤلفيها .

الاول - ابو يوسف يعقوب بن اسحاق الكندي (عاش على الارجح ١٨٥ - ٢٥٢ هـ / ٨٠١ - ٨٦٤ م) مؤلفاته المترجمة للاتينية :

١ - رسالة الكندي عن الادوية المركبة او (اختيارات ابي يوسف الكندي للادوية المجربة وهي الاقرباذين) : وقد اخذ عنها الرازي في كتاب الحاوي . ترجمت هذه الرسالة من قبل جيرارد الكريموني[2] وطبعت الترجمة اللاتينية تحت اسم(Gradibus De medicinarum Compositorum)

ويقال ان الذي ترجمها (ارنالدوس فيلانوفانوس الاسباني المولد بين سنتي ١٢٣٤ او ١٢٥٠ م) ، ويعد هذا الكتاب محاولة لتقدير الادوية المركبة Posology على اساس رياضي والنظرية التي يذهب اليها الكندي في هذا التقدير ان وزن الدواء يتناسب

متمسياً مع تاثيره على البدن[٣] ، وعارض الكندي اطباء آخرون منهم ابن رشد ، ومناقشة الخلاف الفلسفي في تلك ليس محله هنا بل نكتفي بذكر هذه الحقيقة فقد « ذهب الاستاذ ليون جوتييه في بحث له عن رواد علم النفس الطبيعي ، وفي فصل عن الكندي وابن رشد في كتابه باللغة الفرنسية عن ابن رشد ، الى ان الكندي سبق فيبر Weber ، وفشنر Fechner ، اللذين ظهرا في القرن التاسع عشر بنظرية التناسب الهندسي (اي اللوغاريتم) بين المؤثر والاحساس . ولكن نظرية الكندي لم تلق في زمانه صدى فماتت الى ان ظهرت مرة اخرى بطريقة تجريبية على يدي العالمين الالمانيين »[٤] .

٢ - رسالة في ماهية النوم : ترجمها جيرارد الكريموني الى اللاتينية[٥] .
٣ - رسالة في الحيلة لدفع الاحزان : ترجمها الى الايطالية وعلق عليها ولزر . ونشرت الترجمة في اعمال الاكاديمية الملكية داي لينجي في روما سنة ١٩٣٨ .
الثاني - يوحنا بن ماسويه (توفي ٢٤٣ هـ / ٨٥٧ م) : كان معروفاً عند اللاتين في القرون الوسطى باسم Mesua وفي عصر النهضة باسم يوحنا الدمشقي Juhannus Damscemus ونشرت كتبه المهمة بعنوان Canones Universales في البندقية سنة ١٤٧١ م واهم كتبه المترجمة للاتينية هي[٦] :
١ - الفصول .
٢ - السموم .
٣ - الكناش : قام بترجمته جيرارد الكريموني الى اللاتينية ، وطبع في البندقية سنة ١٤٩٧ م .
٤ - نوادر الطب : ترجمته اللاتينية نشرت في بولونيا سنة ١٤٨٩ م بعنوان Aphorismi Johannis Damaceni وفي ميولانيا سنة ١٤٨١ م . ومع كتاب المنصوري في الطب للرازي طبعات متعددة في البندقية ١٤٨٤ ، ١٤٩٢ ، ١٥٠٠ م . وفي ليدن سنة ١٥٠٥ م . وترجم ايضاً للعبرية .
٥ - كتاب الحميات : قام بترجمته بطرس الاسباني Petrus Hispanus الى اللاتينية (شتايشنايدر ١٤٦٤ م) .
الثالث - حنين بن اسحاق (١٩٤ - ٢٦٠ هـ / ٨٠٩ - ٨٧٣ م) :
١ - كتاب العشر مقالات في العين[٧] : ترجم لهذا الكتاب ترجمتان لاتينيتان مختلفتان ، احداهما من ترجمة قسطنطين الافريقي[٨] الذي نسبه لنفسه ، وطبعت تسع مقالات منه ضمن (كليات اسحاق الاسرائيلي) سنة ١٥١٥ م تحت عنوان (كتاب قسطنطين الافريقي في العين Liber de Oculis Constantini Africani) اما الثانية فقد انجزها (ديميتريوس)[٩] الذي نسبه خطأ الى جالينوس وطبع تحت عنوان (كتاب جالينوس في العين) في البندقية ضمن الجزء الثامن من مجموعة جالينوس المطبوعة بتسعة اجزاء سنة ١٥٤١ - ١٥٤٥ م تحت عنوان Galeni Operaet Officine Ferres , Ventitis وترجمه المستشرق الدكتور ماكس مايرهوف في القاهرة سنة ١٩٢٨ م للانكليزية والذي قال في مقدمته « انه اقدم كتاب مؤلف على الطريقة العلمية في طب العيون »[١٠] .
٢ - المدخل الى صناعة الطب او مسائل في الطب للمتعلمين : يقول الدوميلي[١١] انه من كتب حنين بن اسحاق الاصيلة ، لعب دوراً اساسياً في طب العصور الوسطى ، وقد ضم الى المجموعة المشهورة Articella التي اخرجتها مدرسة ساليرنو . وذكره الشهرزوري في نزهة الارواح وحاجي خليفة في كشف الظنون وابن النديم في الفهرست وبروكلمان في الذيل بعنوان (مسائل في الطب للمتعلمين) .
نقله مرقص الصقلي الى اللاتينية في النصف الاول من القرن الثاني عشر[١٢] . ثم ترجمه ايضاً روفينو Rufino للاتينية[١٣] . وقد طبعت ترجمته بعنوان (Johannitii in Tegni Galenic Isagage) في البندقية سنة ١٤٨٧ م ، وفي ليبزك سنة ١٤٩٧ م[١٤] ، ثم طبعت طبعات اخرى .
٣ - نوادر الفلاسفة والحكماء وآداب المعلمين القدماء : ترجمه يهوذا بن سلمان (او سلومو) الجزيري من العربية الى العبرية ، ونشر هذه الترجمة العبرية لوفينتال في فرانكفورت سنة ١٨٦٠ م ثم ترجمه لوفينتال الى الالمانية معتمداً على النسخة العبرية هذه ونشرها في برلين سنة ١٨٩٦ م[١٥] .
٤ - كتاب في التجربة الطبية : وهو مقالة واحدة لجالينوس ، ترجمه حنين من اليونانية الى السريانية ، ونقله حبيش عن الترجمة السريانية الى العربية[١٦] . وذكر الدوميلي « وفي الطب التجريبي De Medicinis Expertis ترجمه فرج بن سالم الى اللاتينية »[١٧] .
٥ - كتاب تقدمة المعرفة : اصل هذا الكتاب لابقراط وفسره جالينوس . وترجم حنين النص اليوناني لابقراط الى العربية . اما تفسير جالينوس فترجمه عيسى بن يحيى . وقد ترجمت الصيغ العربية لكتاب تقدمة المعرفة للاتينية بقلم قسطنطين الافريقي (٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م)[١٨] .
٦ - رسالة في البول : ترجمها يهودي من برشلونة هو ابراهيم الطرسوسي[١٩] .
الرابع - حبيش بن الحسن بن الاعسم :
تلميذ حنين وابن اخته . كان حظه من الترجمات كتابين[٢٠] سبق ان نقلها هو الى العربية عن اليونانية وهي :
١ - كتاب جالينوس المعروف بـ (قوى الاطعمة De Vibilus Olementorum) : ترجمه اكيوريوس البستوي Accurius الى اللاتينية حوالي ١٢٠٠ م .
٢ - الابواب (٩ - ١٥) من كتاب تدبير التشريح لجالينوس : ترجمها الى اللغة الالمانية ماكس سيمون Max Simon ونشرها في لايبزك سنة ١٩٠٦ م بعنوان Galen Seiben Bucher Anatomie des
الخامس - اسحاق بن حنين (توفي ٢٩٨ هـ / ٩١١ م) :
كتاب الادوية المفردة : ترجمه للاتينية نقولا الدمشقي ، وطبع

سنة ١٨٤١ م[٢١] .

السادس – قسطا بن لوقا البعلبكي البغدادي (توفي ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م) :

الفرق بين النفس والروح : قام بترجمته الى اللاتينية جنديسالفيني في مدرسة الترجمة في طليطلة (التي اسست عام ١١٢٠ م)[٢٢] .

السابع اسحاق بن عمران (توفي ٢٩٤ هـ / ٩٠٢ م) :

مقالة في الماليخوليا : ترجمها قسطنطين الافريقي ونسبها لنفسه باسم (كتاب قسطنطين في الماليخوليا)[٢٣] .

جاءت آراء ابن عمران في هذا المرض مبنية على تجاربه الشخصية ومشاهداته ودراساته على المرضى اضافة لما كتبه سابقوه ، وهو كتاب قيم في بابه اعتمد عليه الغربيون في فهم مسببات وعلاج هذا المرض .

الثامن – ابو بكر محمد بن زكريا الرازي (٢٥١ – ٣١٤ هـ / ٨٦٥ – ٩٢٧ م) :

١ – الحاوي Al – Hawi : ان اول من قام بترجمة هذا الكتاب من العربية الى اللاتينية هو طبيب يهودي من صقلية اسمه (فرج بن سالم) ويعرف في العالم الغربي باسم (فراجوت Ferragius) بأمر من شارل الاول (ملك نابولي وصقلية) حيث فرغ من ترجمته عام ١٢٧٩ م[٢٤] . نشرت هذه الترجمة باسم (Liber Elhavi) في برشيا Brescia سنة ١٤٨٦ م .

ونشرت له ترجمة لاتينية اخرى باسم (Continens Rasis) في البندقية سنة ١٥٤٢ م[٢٥] وطبع في البندقية طبعات اخرى في السنوات (١٥٠٠ ، ١٥٠٦ ، ١٥٠٩) وهذا يعني انه طبع حتى سنة ١٥٤٢ خمس طبعات اضافة لطبع اجزاء منه كثيرة منفصلة .

ان هذا الكتاب كان من الكتابات الهامة في مجال الطب اثرت تأثيراً بالغاً على الفكر العلمي في اوربا ، فقد كانت ترجمة فرج لهذا الكتاب احدى تسعة كتب لتدريس الطب في جامعة باريس حتى سنة ١٣٩٥ م .

وقصة لويس الحادي عشر مع كتاب الحاوي تشير الى قيمة هذا الكتاب في ذلك العصر ، فقد اراد هذا الملك ان يضع نسخة من الحاوي في مكتبته ، وطلب من مكتبة الجامعة اعارته نسخة ليستنسخوا له نسخة منها . وبعد مناقشات عديدة بين الاساتذة قررت الجامعة اعارته الكتاب بعد الحصول على كفالة مالية ، مشكلة من ١٢ طبقاً فضياً للمائدة ومائة ريال من ذهب[٢٦] .

والجدير بالذكر ان كتاب الحاوي هذا هو الذي جعل المشتغلين بالطب في اوربا يعدون الرازي اعظم اطباء الطب السريري (الكلنيكي) في العصور الوسطى . وما زال الغربيون يعترفون بفضل الرازي ويقدرون اثره حتى « ان جامعة باريس تحتفظ حتى اليوم بصورتين كبيرتين في قاعاتها الكبرى احداها للرازي والاخرى لابن سينا » وان « جامعة برستون الامريكية اطلقت اسمه على افخم اجنحتها تقديراً لفضله »[٢٧] .

٢ – المنصوري : ترجم الى اللاتينية بقلم جيرارد الكريموني بعنوان (Liber ad Almansurem) وطبعت هذه الترجمة في ميلانو سنة ١٤٨١ م ، والبندقية سنة ١٤٩ م ، وليون ١٥٢٠ م ، وبازل ١٥٤٤ م[٢٨] واصبح احد كتب التدريس في كليات الطب في اوربا . كذلك قام بترجمته شمطوب بن اسحق (سنة ١٢٤٦) الى العبرية في مرسيليا وكان ذلك حافزاً قوياً الى النهضة الطبية عند العبرانيين[٢٩] .

اما الجزء التاسع المعنون (Nonus Almansuris) فقد طبع منفرداً مع تعليقات وهوامش في البندقية سنة ١٤٨٣ م ، ١٤٩٠ م ، ١٤٩٣ م ، ١٤٩٧ م ، وفي ليون سنة ١٥١٠ م ، وفي بال سنة ١٥٤٤ م ، وفي بادوا سنة ١٤٨٠ م . وشرحه اندريا فيزاليوس[٣٠] ونشره عام ١٥٣٧ م .

وتجدر الاشارة هنا الى رسالة وجهها فيزاليوس الى طبيب الامبراطور كارلوس جاء فيها « انه ابتدأ باعادة النظر في ترجمة مؤلفات الرازي والقصد في ذلك انقاذ اولئك الذين يترشحون مثلي لنيل شهادة الطب وهو عمل جبار . وفي الوقت ذاته لكي اتيح الفرصة للاطباء الذين يبحثون عن الدواء الناجح لكي يجدوه خالياً من الاخطاء الفاضحة التي ارتكبها بحقه الناقلون اللاتينيون »[٣١] . ان هذا الكلام ان دل على شيء فإنما يدل على الحجم الكبير الذي كانت تشغله مؤلفات الرازي في علم الطب في اوربا في ذلك الوقت .

٣ – كتاب الجدري والحصبة : ترجم هذا الكتاب في عصر النهضة الى لغات كثيرة هي[٣٢] .

أ – ترجمة اغريقية (يونانية) عملها جاك كوبيل نشرت في باريس سنة ١٥٤٨ م .

ب – ترجمة لاتينية بواسطة فالا (G — Valla) نشرت في البندقية سنة ١٤٨٩ م تحت عنوان De varioiset et Morribil-lis Ou de peste وكذلك ترجمات لاتينية تحت عنوان Liber de pesti Lentia ، وقد طبعت الترجمة اللاتينية التي كتبها فالا نحو اربعين مرة بين سنتي ١٤٩٨ و ١٨٦٦ على سبيل المثال البندقية ١٤٩٨ ، بازل ١٥٢٩ ، وستراسبورك ١٥٤٩ ، ولندن ١٧٤٧ ، وجوتنكن ١٧٨١ .

ج – ترجمة فرنسية من عمل جاك رولبيه طبعت سنة ١٧٦٣ في باريس . ترجمة فرنسية اخرى من عمل لوكلريك وليفوير طبعت في باريس سنة ١٨٦٦ .

د – ترجمة انكليزية فيد وجانييك سنة ١٧٦٦ . وترجمة اخرى من عمل جرينهل طبعت في لندن ١٨٤٨ م .

هـ – ترجمة المانية من عمل كارل اوبيتس نشرت في لايبزك سنة ١٩١١ تحت عنوان Uber Die Poken Und Die Masem ،

لقد نال هذا الكتاب شهرة عظيمة في اوربا لاهميته العلمية حيث ان الرازي في هذا الكتاب ولأول مرة في تاريخ الطب فرق بين مرضي الجدري والحصبة ووصف كلًا منهما على حدة بصورة تفصيلية خلافاً لمن سبقه من الاطباء اليونان والعرب اذ انهم كانوا يعدون المرضين واحداً[٣٣] .

٤ - كتاب الفصول في الطب او المرشد : ترجمه الى اللاتينية موسيس بوتون تحت عنوان Aphorismi Rasis طبع في ليدن ١٤٨٩[٣٤]، وترجم الى العبرية كذلك .

٥ - رسالة تدبير الصبيان[٣٥] :

أ - ترجمت للاتينية في مدرسة جيرارد كريمونا من قبل سومون وطبعت باللاتينية لاول مرة سنة ١٤٨١ . بعد ذلك طبعت مرات عديدة وعلى الاغلب كانت تلحق بكتاب المنصوري للرازي او فصول الطب لابن الهيثم .

ب - ترجمت قديماً للعبرية ايضاً .

ج - في العصر الحديث ترجمت منها فقرات للالمانية من قبل بيير وللانكليزية من قبل روهرا ومن قبل ستيل سنة ١٩٥٩ وترجمت الرسالة بكاملها للايطالية . وقام بترجمتها باكملها قبل سنوات رادبل Samuel x . Radbill عن الايطالية للانكليزية ونشرها في مجلة "امراض الاطفال الامريكية (عدد ٥ مجلد ١٢٢ سنة ١٩٧١) . ان اهمية هذه الرسالة تتجلى في اولًا - كونها اول مؤلف مستقل في طب الاطفال حيث لاول في تاريخ الطب فصل الرازي بين طب الاطفال والامراض النسائية وجعله ياخذ شكلًا مستقلًا بذاته .

ثانياً - لان جميع الكتاب الاوربيين في امراض الاطفال من القرن الخامس عشر حتى السابع عشر ساروا بكتاباتهم على غرار النسخة اللاتينية لرسالة الرازي ، وان اول كتاب طبع في طب الاطفال في اوربا وهو كتاب (بيكالارونس سنة ١٤٧٢) اعتمد كلياً على رسالة الرازي هذه .

ونظراً لفقدان الاصل العربي من هذا الكتاب قمنا باعادة ترجمته من الترجمة الانكليزية لرادبل الى العربية ونشر بشكل محدود (طبع رونيو سنة ١٩٧٩ م) وان شاء الله سوف يصدر بطبعة جديدة ومحققة قريباً .

٦ - مقالة الحصى المتولد في الكلى والمثانة : ترجمت الى اللاتينية وطبعت في باتافيا سنة ١٥١٠ م . وقد قام الدكتور دي كونلنج بترجمتها الى الفرنسية ونشرها مع النص العربي في ليدن سنة ١٨٩٦ تحت عنوان[٣٦] Traite Surle Calcul Dans Les Reins et Dans la Vessie

٧ - كتاب اقرباذين Antidotrium : ترجمه ابراهيم الكسلري اليهودي Abraham Kaslari الى اللاتينية سنة ١٣٤٩ م . كما ترجمه الى العبرية موسى بن صموئيل بن طبون (١٢٤٠ - ١٢٨٣ م) .

٨ - كتاب تقسيم العلل او كتاب التقسيم والتشجير : ترجمه الى اللاتينية جيرارد الكريموني تحت عنوان Antidotarium Divisio Morborum Introductio In Medicam Opporismi Medici وترجم الى العبرية ايضاً .

٩ - كتاب القولنج : ترجم للاتينية تحت عنوان De Vini Potu Ejusque Speciebus

١٠ - كتاب منافع الاغذية ودفع مضارها : ترجم تحت عنوان De Alementoriem Correctionenenon de victus hum aniratioe .

١١ - مقالة فيما ينبغي ان يقدم من الاغذية والفواكه وما يؤخر منها : ترجم الى اللاتينية بعنوان De Fructum Edendorum Lempore Atque Ardime

١٢ - مقالة في الادوية المستعملة في الطب والعلاج وقوانينها وجهة استعمالها : ترجم الى اللاتينية تحت عنوان Permatatione Medicam Entorum .

١٣ - رسالة في العطش وازدياد الحرارة لذلك : ترجم الى اللاتينية تحت عنوان De Oimmaderato Calore .

١٤ - كتاب المدخل الى الطب : ترجمه الى اللاتينية جيرارد الكريموني وهو يؤلف القسم الثاني عشر من الحاوي ترجمه تحت عنوان Liber Introduc Torius In Medicina a Parvus

التاسع - ابو القاسم عمار بن علي الموصلي (توفي سنة ٤٠٠ هـ / ١٠١٠ م) :

عرفه الاوربيون باسم (Cana Mosali)

كتابه - المنتخب في علم العين وعللها ومداواتها بالادوية والحديد :

ترجمه ناثان الهامئتي Nathan Ha – Meati الايطالي بالتماس من الطبيب اسحق بن مردیكاي في القرن الثالث عشر[٣٧] وايضاً ترجمه الى اللاتينية داؤد هرمينوس . وطبعت الترجمة اللاتينية غير الحرفية للكتاب لداؤد الارمني باعتناء بول بانسر ونشرت في باريس سنة ١٩٠٤ ضمن القسم الرابع من مجموعة في طب العيون .

اتخذ هذا الكتاب للتعليم في طب العيون في جامعات اوربا حتى القرن الثامن عشر . كما وان للكتاب اهمية خاصة من حيث احتوائه كثيراً من الملاحظات والاشارات المبتكرة فقد ذكر فيه ست طرق لاجراء عملية القدح للماء النازل في العين (مرض الساد Cataract) كانت احداها بالمص[٣٨] .

العاشر - ماسويه الماريني البغدادي
(توفي ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م) :

يدعى الاصغر تفريقاً له عن (يوحنا بن ماسويه) . عرفته اوربا بكتبه

١ - المبادىء العامة والخاصة للطب : لموسى الاصغر وكان في مقدمة من ترجم لهم الى اللاتينية وقد طبع في البندقية سنة ١٤٧١ م باسم De Medicinis Loxativis Antidotaium Sive Gabraddin Medicaminum Compositum .

٢ - مجموعة مختصرة للوصفات الطبية : ترجمت الى اللاتينية[٣٩] .

٣ - جراحة ماسويه : ترجمه فرج بن سالم الى اللاتينية[٤٠] .

الحادي عشر - الحسن ابو علي بن الحسن بن الهيثم (٣٥٤ - ٤٣٠ هـ / ٩٦٥ - ١٠٣٨ م)

كتاب المناظر[١١] : الترجمة اللاتينية لا يعرف تاريخ ومن قام بترجمتها والمحتمل انها عملت في اسبانيا في مطلع القرن الثالث عشر الميلادي او في اواخر القرن الثاني عشر. جاء ذكرها لاول مرة في مقال « المثلثات » لجوردانوس دي فيموري (ما بين ١٢٢٠ - ١٢٣٠ م) وكذلك يوجد لكتاب المناظر ترجمة ايطالية عن اللاتينية ترجع الى القرن الرابع عشر الميلادي. ولهذا الكتاب اهمية كبيرة حيث انه يحوي آراء جريئة مبتكرة في علم الضوء كانت ينبوعاً لديكارت ونيوتن.

كما ان ابن الهيثم جاء بنظرية جديدة في الابصار حيث قال ان الرؤيا تحصل من الصورة الضوئية المنبعثة من المرئيات، لا ان الضوء يخرج من العين ليلامس المرئيات ويبصرها كما كان يعتقد قبل ابن الهيثم. كما اشار الى ان الابصار يكون بواسطة الشبكية وقال ان المرئيات تنتقل الى الدماغ بواسطة عصب البصر وان وحدة النظر بين الباصرتين عائد الى تماثل الصور على الشبكيتين.

الثاني عشر - يحيى بن عيسى بن جزلة البغدادي (توفي ٤٧٣ هـ / ١٠٨٠) :

١ - منهاج البيان فيما يستعمله الانسان : ترجم للاتينية سنة ١٥٣٢ م.

٢ - تقويم الابدان : ترجمه فرج بن سالم الى اللاتينية وطبعت هذه ستراسبورج سنة ١٥٣٣[١٢]، وترجم للالمانية مرتين الاولى من قبل هيروم والاخرى من قبل هانس شويته Hans Schotte .

الثالث عشر - علي بن عيسى البغدادي الكحال :

عاش ومارس الطب في بغداد في النصف الاول من القرن الحادي عشر. عرف لدى اللاتين باسم (Jesu Haly) . مؤلفه (تذكرة الكحالين) خير ما كتب في طب العيون. واكتسب هذا الكتاب شهرة واسعة في اوربا. ترجم الى اللاتينية باسم (Liber Memorialis) وكذلك الى العبرية، طبع هذا الكتاب مع ترجمة لاتينية حديثة للقسم الاول منه باعتناء الاستاذ هل ونشر في درسدن سنة ١٨٤٥ م[١٣].

بقي هذا الكتاب مع كتاب عمار الموصلي « من احسن الكتب المدرسية في امراض العيون حتى النصف الاول من القرن الثامن عشر »[١٤].

ومما تجدر الاشارة له هنا بان علي بن عيسى في كتابه هذا لاول مرة كما يقول هاملتون بين العلاقة بين الشرايين الصدغية الملتهبة (Tempural Arteritis) واعراض الرؤية عند وصفه لعملية سل الشرايين الصدغية[١٥].

الرابع عشر - ابو الحسن المختار بن عبدون بن بطلان البغدادي (توفي ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م) :

كتاب تقويم الصحة : ترجم للاتينية اولاً من قبل جيرارد الكريموني، ثم ترجم في القرن الثاني عشر ونشرت الترجمة في سنة ١٥٣١ م في مدينة ستراسبورج[١٦] بعنوان Takuini Sanitatis Elluchasem Elimthar Medico de Baldath

الخامس عشر - يوحنا بن سرافيون (من ابناء القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي) :

كتابه الادوية المفردة ترجم عدة ترجمات للاتينية، منها ترجمة جيرارد الكريماني وترجمه اندريا الباكو، وترجمه سمعان الجنوي التي انجزها بمعاونة ابراهيم الطرسوسي البرشلوني ونشرت هذه الترجمات اللاتينية في البندقية خلال السنوات ١٤٧٩، ١٤٩٧، ١٥٠٧، ١٥٣٠، ١٥٥٠، وفي فيرارا سنة ١٤٨٨ وفي ليون سنة ١٥١٠ وفي بال بسويسرا سنة ١٥٤٣[١٧].

السادس عشر - عبد اللطيف البغدادي (٥٥٧ - ٦٢٩ هـ / ١١٦٢ - ١٢٣١ م) :

كتاب الاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر / ترجمة للاتينية بوكوك الاكبر ثم نشرها توماس هايد متناً وترجمه في اوكسفورد (سنة ١٧٠٢ م) ثم ظهرت الطبعة التي اعدها وايت عام ١٧٩٨ باللغة اللاتينية. ثم ترجم الى الالمانية وترجمه سلفستر سلي الى الفرنسية سنة ١٨١٠[١٨].

للكتاب اهمية خاصة فهو مبني على مشاهداته الشخصية. ومن اهم ما جاء من مشاهداته الطبية اثباته بأن عظم الفك الاسفل عظم واحد وليس عظمين كما ذكر جالينوس وغيره من الاطباء.

وبذلك ناتي على ذكر مؤلفات الاطباء العراقيين المعروفة والتي تشكل جزءاً يسيراً من المؤلفات العربية التي ترجمت الى اللاتينية علماً بان الاحاطة بالمؤلفات العربية المترجمة جميعها امر يطول وهو ليس موضوع بحثنا في هذه العجالة، كما وانه ليس من المستطاع احصاء جميع مؤلفات الاطباء العراقيين والعرب في العالم اللاتيني لان عدداً هائلاً من المخطوطات ما تزال في المكتبات تنتظر الكشف والدراسة.

واخيراً انهي البحث بقول الاستاذ فؤاد سيزكين « كلما امعن الانسان في دراسة المصادر الاصلية للنهضة الاوربية ازداد تصوره ان هذه النهضة المزعومة اشبه ما تكون بالولد الذي نسب الى غير ابيه الحقيقي »[١٩].

■ المصادر ■

١ - سيزكين ، الدكتور فؤاد : محاضرات في تاريخ العلوم - الرياض ١٩٧٩ ، ص ٢١ .

٢ - جيرارد الكريموني ، ويسمى الطليطلي كذلك (١١١٤ - ١١٨٧ م) قدم من ايطاليا واستوطن اسبانيا . وهو اشهر المترجمين من العربية الى اللاتينية ، حتى ينسب اليه ترجمة ما يقرب من مائة كتاب .

٣ - الاهواني ، احمد فؤاد : الكندي فيلسوف العرب - سلسلة اعلام العرب(٢٦) ، مطبعة مصر ، ص ٢٣١ .

٤ - المصدر نفسه : ص ٢٣٦ نقلًا عن Leon Gaethier : Ibn Rochd , Paris , 1948 pp . 95 - 112

٥ - المصدر نفسه : ص ٢٤٦ .

٦ - بروكلمان ، كارل : تاريخ الادب العربي - نقله الى العربية د . يعقوب بكر ، د . رمضان عبد التواب ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، ج ٤ ، ص ٢٦٥ - ٢٦٦ . الملوجي ، عبد الحميد : مطبعة اسعد ، بغداد ١٩٦٧ ، ص ٥٣٥ .

٧ - خطاب ، الدكتور فرات فائق : الكحالة عند العرب - وزارة الاعلام العراقية ، ١٩٧٥ ، ص ٢٥ .

٨ - قسطنطين الافريقي (١٠٢٠ - ١٠٨٧ م) : ولد في تونس انتقل الى ايطاليا . يأخذ البعض عليه عدم نزاهته حيث كان ينقل من الكتب العربية وينسبها الى نفسه .

٩ - ديميتريوس : يوناني من اهالي صقلية .

١٠ - ابن اسحاق ، حنين : العشر مقالات في العين - ماكس ما يرهوف ، القاهرة ١٩٢٨ ، ص ٧ .

١١ - الدوميلي : العلم عند العرب - ترجمة عبد الحليم النجار ومحمد يوسف ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ١٤١ .

١٢ - السامرائي ، الدكتور كمال : مختصر تاريخ الطب - دائرة الشؤون الثقافية والنشر ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ج ١ ، ص ٤٤٣ .

١٣ - « روفينو : باحث من مدينة السندريا في ايطاليا ، عاش في مرسيه باسبانيا » ما يرهوف ، ماكس : تراث الاسلام ، ترجمة جرجيس فتح الله ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٥٣٣ .

١٤ - بروكلمان : تاريخ الادب العربي - ج ٤ ، ص ١٠٥ .

١٥ - المصدر نفسه : ج ٤ ، ص ١٠٨ .

١٦ - السامرائي ، عامر رشيد / الملوجي ، عبد الحميد : آثار حنين بن اسحاق - دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٧٤ ، ص ١٦٠ .

١٧ - الدوميلي : ص ٤٥ .

١٨ - السامرائي ، د . كمال : مختصر تاريخ الطب - ج ١ ، ص ٤٥٣ (مصدر سابق) .

١٩ - المصدر نفسه : ج ٢ ، ص ٢٣٠ .

٢٠ - الملوجي ، عبد الحميد : الطب العراقي - مطبعة اسعد ، بغداد ١٩٦٧ ، ص ٥٣١ .

٢١ - السامرائي : مختصر تاريخ الطب - ج ١ ، ص ٤٦٠ (مصدر سابق) .

٢٢ - مايرهوف ، تراث الاسلام - ص ٤٩٦ (مصدر سابق) .

٢٣ - اولمان ، مانفرد : الطب الاسلامي : ترجمة الدكتور يوسف الكيلاني ، الكويت ، ١٩٨١ ، ص ١٠٤ .

٢٤ - مايرهوف ، المصدر السابق ص ٤٦٥ (مصدر سابق) .

٢٥ - بروكلمان ، المصدر السابق ص ٢٧٤ .

٢٦ - محمد ، الدكتور محمود الحاج قاسم : الطب عند العرب والمسلمين ... تاريخ ومساهمات - الدار السعودية للنشر ، جدة ١٩٨٧ ، ص ٣٨٥ .

٢٧ - عاشور ، سعيد عبد الفتاح : المدنية الاسلامية واثرها في الحضارة الاوربية ص ١٥٢ .

٢٨ - بروكلمان ، ج ٤ ص ٢٧٧ .

٢٩ - الملوجي ، عبد الحميد : تاريخ الطب العراقي - مطبعة اسعد ، بغداد ١٩٦٧ ص ٥٢٧ .

٣٠ - اندريا فيزاليوس : A Vesalius (١٥١٤ - ١٥١٦ م) جراح فرنسي ، درس الطب في باريس وبادوفا ، كان يعرف العربية ، ذكر في الطبعة الثانية من كتابه بنية الجسم الانساني وصفا للدورة الدموية وتشريح القلب بعد ان اطلع على كتاب التشريح لابن النفيس الذي جلبه الباكو الى بادوفا وكتاب سرفيتوس الحاوي على آراء ابن النفيس حول الدورة الدموية والتي نقلها سرفيتوس دون الاشارة لابن النفيس .

٣١ - الحايك ، سيمون ، مقال مجلة تاريخ العلوم العربية العددان ١ ، ٢ ، مجلد ٩ السنة ١٩٩١ ص ١٣٧ .

٣٢ - بروكلمان ، ج ٤ ص ٢٧٧ .

٣٣ - محمد ، د . محمود الحاج قاسم - تاريخ طب الاطفال عند العرب - مركز احياء التراث العلمي العربي ، جامعة بغداد (الطبعة الثالثة ١٩٨٩) ص ١٠٣ .

٣٤ - بروكلمان ، ج ٤ ص ٢٧٩ .

٣٥ - محمد ، د . محمود الحاج قاسم - تاريخ طب الاطفال عند العرب (مصدر سابق) ص ١٦١ .

٣٦ - قائمة مؤلفات الرازي المترجمة الى اللاتينية اعتباراً (٦ - ١٤) نقلناها عن كتاب الرازي للدكتور فرات فائق خطاب ، ص ١٥٣ - ١٥٥ .

٣٧ - مايرهوف ، العلم والطب ص ٥٠١ .

٣٨ - خطاب ، فرات فائق - الكحالة عند العرب ص ٢٨ - ٢٩ .

٣٩ - مايرهوف : تراث الاسلام - ص ٤٧٥ (مصدر سابق) .

٤٠ - الدوميلي : ص ٤٥٠ .

٤١ - اوجزنا هذه الفقرة عن مقدمة الدكتور عبد الحميد صبرة لكتاب المناظر لابن الهيثم ص ٤٦ - ٤٧ .

٤٢ - الملوجي ، الطب العراقي ص ٥٣٢ (مصدر سابق) .

٤٣ - خطاب ، د . فرات فائق : الكحالة عند العرب ، منشورات وزارة الاعلام - الجمهورية العراقية ، ١٨٧٥ ص ٢٨ .

٤٤ - مايرهوف : تراث الاسلام - ص ٤٧٦ (مصدر سابق) .

٤٥ - محمد ، د . محمود الحاج قاسم - الطب عند العرب تاريخ ومساهمات (مصدر سابق) ص ٣٠٩ .

٤٦ - الملوجي : الطب العراقي ، ص ٥٣٢ (مصدر سابق) .

٤٧ - الملوجي : المصدر نفسه ، ص ٥٢٣ .

٤٨ - البغدادي ، عبد اللطيف : الافادة والاعتبار - تحقيق د . علي محسن عيسى ، دار الحكمة للنشر والترجمة ، بغداد ١٩٨٧ ، ص ٣٢ - ٣٣ .

٤٩ - سيزكين ، د . فؤاد : محاضرات في تاريخ العلوم - ص ٨٦ .

(زيد بن عمرو بن نفيل)

حياته وما تبقى من شعره

أ.د. ايهم عباس القيسي
كلية الآداب - جامعة بغداد

منذ ان خلق الانسان ، وهو يخاف مظاهر القوة في الطبيعة ، لايمانه بمدى قدرتها على التاثير فيه . فكان يرى في كل حركة ، او ظاهرة طبيعية قوة تسيرها ؛ ولهذا كانت تصرفاته نحوها تاخذ شكل الخوف طوراً ، وشكل الطاعة والخضوع اطواراً اخرى .

فكانت اصوات الظواهر الطبيعية المنبعثة من الرياح والرعود ، وما تحدثه من اصوات واصداء ، تثير في نفسه هواجس الخوف والتردد ، فكان يلجا الى التقرب منها تارة ، وقد يتحول هذا الخوف منها الى نوع من التقديس والتعظيم تارة اخرى . وقد يتطور هذا التقديس او الخضوع لتلك الظواهر بمرور الزمن الى شعائر تمارس من خلالها طقوس ومراسيم معينة .

وقد اسبغ الله تعالى على الانسان نعماً وفيرة ، وخصه بافضال سابغة ، فوهبه العقل الراجح والذهن المتقد ليدرك الخير والشر . غير ان العقل البشري لا يقوى بمفرده على ادراك الامور العظيمة التي يعجز الانسان عن ادراكها الا عن طريق الوحي ، الذي لولاه لما استطاع العقل البشري الوصول اليها . فاقتضت حكمة الله تعالى ان يبعث الانبياء والرسل ليوضحوا للبشر طريق الحق والهداية .

وكانت السماء دائماً وعلى فترات قد تطول وقد تقصر ، تمد يدها الى البشرية من خلال نبوة نبي او رسالة رسول لتصحح مسار البشرية بعد انحرافه عن مسلك التوحيد ، الذي كان يمثل سمة واضحة وركناً اساسياً من الاركان التي قامت عليها الرسالات ، فكانت معظم جهود الانبياء والمرسلين تنصب في تاكيد عقيدة التوحيد وترسيخ وحدانية الله تعالى واثبات قدرته .

وكانت الارض العربية ميداناً كريماً ومهداً طاهراً تشرف باستقبال رسل الله ، وتعطر باريج قيم السماء ، وهي تلهج بذكر الله تعالى وتسبح باسمه .

فكان التوحيد جذراً يضرب في اعماق هذه الارض ، ويغوص في ضمير انسانها ، وكانت الحنيفية عقيدة العرب منذ ان حمل ابراهيم الخليل (ع) رسالة ربه الى البشر قال تعالى (مِلَّة أبيكم ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين)[1] .

غير ان تطاول الزمن عليهم وابتعادهم عن خط الشروع الاول الذي ابتدأه ابراهيم الخليل (ع) ، جعلهم ينحرفون عن خط التوحيد ، وكان كل ما بقي من طقوسها ما يؤكد عبادة الله وتاكيد وحدانيته ، والايمان بان الله هو الرازق ، المحيي المميت الغالب على امره ، وفي ذلك يقول الله عز وجل (ولئن سألتهم من خلق

السموات والارض ، وسخّر الشمس والقمر ، ليقولُنّ الله ، فانى يؤفكون)[٢] .

لقد اكدت كل الدلائل ان ديانة التوحيد كانت اصيلة في الجزيرة العربية ، اما عبادة الاصنام فهي طارئة حملت اليهم من خارجها ، ومما يروى في هذا السياق (ان عمراً بن لُحي من خزاعة ، كان قد ساد قومه بمكة واستولى على امر البيت ، ثم سار الى مدينة (البلقاء) من عمل دمشق من ارض الشام ، فرأى قوماً يعبدون الاصنام ، فسألهم عنها ، فقالوا : هذه ارباب نتخذها ، نستنصر بها فننتصر ، ونستسقي بها فنسقى ، وكل ما نسألهم نعطى ، فطلب منهم صنماً يدعونه هُبل ، فسار به الى مكة ونصبه على الكعبة ، ومعه إساف ونائلة ، ودعا الناس الى تعظيمها وعبادتها ، ففعلوا ذلك)[٣]

فترسخت هذه المعتقدات في نفوسهم ، على الرغم من ايمانهم بوجود الله ، فكانوا يشركون معه آلهة اخرى ، وقد حكى القرآن الكريم ذلك على لسانهم ، فقال تعالى (والذين اتخذوا من دونه اولياء ، ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى)[٤]

وتقدم لنا الاخبار والاشعار التي وصلت الينا مجموعة من المعتقدات التي سادت التفكير العربي قبل الاسلام ، ويغلب عليها الجانب التوحيدي المتمثل في جملة امور منها ، الاخبار التي تروى عن اولئك الموحدين الذين انطبعت فكرة عبادة الاله الواحد في تفكيرهم ، وهم يتدبرون ما خلق الله تعالى ، فكانوا يسخرون من الاصنام وعبادتها ، ويترفعون عن تقديسها وينتهجون طريق التوحيد ، والمصادر التي بين ايدينا تذكر لنا مجموعة من اولئك الموحدين .

وقد روى ابن هشام (ان قريشاً اجتمعت يوماً في عيد لهم عند صنم من اصنامهم ، كانوا يعظمونه وينحرون له ، ويعكفون عنده ، ويديرون به ، وكان ذلك عيداً لهم في كل سنة يوماً ، فخلص منهم اربعة نفر نجيا ، ثم قال بعضهم لبعض : تصادقوا وليكتُمْ بعضكم على بعض ، قالوا - اجل - وهم ورقة بن نوفل وعبيد الله ابن جحش ، وعثمان بن الحويرث ، وزيد بن عمرو بن نفيل : فقال بعضُهم لبعض : تعلموا والله ما قومكم على شيء ! لقد اخطاوا دين ابيهم ابراهيم ! ما حَجَر نطيف به ، لا يسمع ولا يبصر ، ولا يضر ولا ينفع ، يا قوم التمسوا لانفسكم (ديناً) ، فإنكم والله ما انتم على شيء ، فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية ، دين ابراهيم)[٥] .

وتحدثنا الاخبار عن مجموعة اخرى من اولئك الموحدين[٦] ، الذين انتشروا في ارجاء الجزيرة ، وكانوا يمثلون اتجاهاً واضحاً اسهم في نشر التوحيد

ان الوقوف عند حياة اولئك الموحدين من الشعراء ، واستجلاء كوامن عقيدتهم من خلال الاخبار والاشعار المتناثرة في بطون المصادر والمظان الادبية والتاريخية يسهم في الكشف عن حقيقة التوحيد في المجتمع العربي قبل الاسلام ، ويوسع من دائرة الاعتقاد بالله والايمان بقدرته ، ويلقي اضواء جديدة على طبيعة التفكير الذي ساد العقل العربي قبل الاسلام . ويفصح عن جوهر المعتقدات التي آمن بها العرب قبل الاسلام ، والتي عبر عنها هؤلاء الشعراء من خلال شعرهم الذي اتخذوه وسيلة يعبرون بها عن معتقداتهم وافكارهم .

ويبرز اسم زيد بن عمرو بن نفيل في جميع الاخبار والروايات التي تتحدث عن اولئك الموحدين ، حيث عرف بايمانه العميق وتأمله الصادق خطأ قومه ، حينما انحرفوا عن دين ابراهيم الخليل (ع) ، وراح بفكره الثاقب وبصيرته الواعية يبحث عن الدين الحق ، فاهتدى الى الحنيفية التي تلمس بها طريق الايمان والهداية .

وتضن علينا المصادر والمظان التي بين ايدينا بالروايات والاخبار التي يمكن ان تساعدنا في تكوين صورة واضحة لشخصية زيد ، وتلقي بعض الضوء على نشأته وتكوينه . اذ ان معظم الروايات التي بين ايدينا لا تقدم لنا سوى اشارات موجزة ولمحات خاطفة ، عن شخصيته ومسيرة حياته وما نظمه من شعر في توضيح عقيدته .

فهو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العُزّى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب[٧] . وامه جيداء بنت خالد بن جابر ابي حبيب بن فهم . وكانت جيداء عند نفيل بن العزى ، فولدت له الخطاب ابا عمر بن الخطاب وعبد نُهم ، ثم مات نفيل فتزوجها ابنه عمرو فولدت له زيداً ، وكان هذا نكاحاً ينكحه اهل الجاهلية[٨] ، وهو مباح عندهم ، ولم يكن من الحرمات التي كانوا ينتهكونها .

وزوجه هي ام سعيد فاطمة بنت بعجة بن خلف الخزاعية ، وكانت من السابقين الى الاسلام[٩] . ويذكر ابن اسحاق زوجة اخرى له تدعى صفية بنت الحضرمي ، وكانت كلما رأته قد تهيا للخروج واراده آذنت به الخطاب بن نفيل عمه ، وكان يعاقبه على فراق دين قومه[١٠] .

وابنه سعيد بن زيد وهو احد العشرة المبشرة بالجنة وكنيته ابو الاعور[١١] . وقد اقطعه الخليفة الراشد عثمان بن عفان (رض) ارضاً بالكوفة فنزلها وسكنها الى ان مات ، وسكنها من بعده ابناؤه الاسود بن سعيد ، وعبد الرحمن وزيد[١٢] .

وتحدثنا الاخبار عن بنت له تدعى عاتكة بنت زيد وكانت تحت عمر بن الخطاب (رض)[١٣] . ولا تمدنا مصادرنا التاريخية بمعلومات وافية عن نشأته سوى اشارات موجزة . ومنها ولعه بالحكمة ، وتحريمه على نفسه الخمر والزنى واكل ما يذبح على الاصنام ، ومجاهرته بعداء الاوثان ، وكان يتحنف بحراء فراراً من سفهاء مكة[١٤] ، ويكره وأد البنات ولا يعلم ببنت يراد وأدها الا قصد اباها وكفاه مؤونتها ، فيربيها حتى اذا ترعرعت عرضها على ابيها فان لم ياخذها بحث لها عن كفء فزوجها به[١٥] .

وتذكر الاخبار ترءوسه بني عدي في حرب الفجار الاول[١٦] ، وانه كان على بني عدي في يوم شمطة وكان بين قريش وهوازن ، فالتقوا بشمطة في اول النهار ، وكانت على هوازن ، فصبروا ثم استمر القتل في قريش ، وانهزم الناس ، ويقال ان النبي (ص) حضر هذا اليوم مع عمومته يحفظ عليهم ويناولهم النبل[١٧] .

وتذكر الاخبار ايضاً ان زيداً التمس دين ابراهيم (ع) ولكنه لم يتنصر ، ولم يتهود ، واعتزل الاوثان ، والميتة والدم ونهى عن الموءودة[18] .

غير ان هذا الطريق الذي انتهجه زيد لم يرق لعمه الخطاب ابن نفيل الذي اخرجه الى اعلى مكة ، ووكل به شباباً من شباب قريش وسفائهم وقال لهم : لا تتركوه يدخل مكة . فكان لا يدخلها الاسراً منهم ، فاذا علموا بذلك آذنوا به الخطاب ، فاخرجوه وآذوه ، مخافة ان يفسد عليهم دينهم وان يتابعه احد منهم على فراقه .

وكان زيد اجمع الخروج من مكة ليضرب في الارض يطلب الحنيفية دين ابراهيم ، فكانت امرأته صفية بنت الحضرمي كلما رأته قد تهيأ للخروج او اراده ، آذنت به الخطاب بن نفيل ليرده عن ذلك . ثم خرج يطلب دين ابراهيم ويسأل الرهبان والاحبار ، حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها ، ثم اقبل فجال الشام كلها ، حتى انتهى الى راهب بميفعة من ارض البلقاء ، كان ينتهي اليه علم النصرانية فيما يزعمون ، فسأله عن الحنيفية دين ابراهيم ، فقال : انك لتطلب ديناً ما انت بواجد مَنْ يحملك عليه اليوم ، ولكن قد اظلك زمان يخرج في بلادك التي خرجت منها نبي يبعث بدين ابراهيم الحنيفية ، فالحق به فإنه مبعوث الان ، هذا زمانه[19] .

وكان زيد قد شامّ اليهودية والنصرانية فلم يرضَ منهما شيئاً ، وتوثقت بينه وبين ورقة بن نوفل صداقة حميمة ، حملت ورقة بن نوفل على بكائه بعد وفاته ، فقال :

رَشَـــدْتَ وأنْعَمت ابن عمـــروٍ وإنمـــا
تجنّبت تَنُّـــوراً من النـــار حاميـــا[20]

وتذكر الاخبار ان زيداً بعد ان فارق دين قومه ، خرج ملتمساً دين ابراهيم (ع) ، فجال بلاد الشام والتقى بعض رهبانها ، فنصحوه بالعودة الى مكة ، حتى اذا توسط بلاد لخم غدوا عليه فقتلوه[21] . وكان مقتل زيد بن عمرو قبل المبعث بنحو خمس سنين[22] .

وتشير الروايات الى ان النبي (ص) قد رآه قبل مبعثه[23] . وان الرسول (ص) كان يترحم عليه ، ويقول فيه قد رأيته في الجنة يسحب ذيولاً[24] . وعن سعيد بن زيد قال : انه قال للنبي (ص) ان ابي كان كما رأيت ، وكما بلغك فاستغفر له . قال نعم ، فإنه يبعث يوم القيامة امة وحده[25] .

ويبدو ان زيداً قد اطلع على اصول الديانة النصرانية واليهودية ، ولكنه لم يؤمن بهما ، فخرج يسأل اهل العلم والرهبان ، حيث يروي خبر ذلك فيقول : (وقفت على راهب بالشام وهو في صومعته ، فذكرت له اغترابي عن قومي وكراهتي عبادة الاوثان ، واليهودية والنصرانية ، فقال لي : اراك تريد دين ابراهيم ! يا أخا اهل مكة ، انك لتطلب ديناً ما يؤخذ اليوم به ، وهو دين ابيك ابراهيم ، وكان حنيفاً لم يكن يهودياً ، ولا نصرانياً ، وكان يصلي ويسجد الى هذا البيت الذي ببلادك ، فالحق ببلدك ، فإن نبياً يبعث من قومك في بلدك يأتي بدين ابراهيم ، وهو اكرم الخلق)[26] .

وتشير الاخبار الى ان زيداً كان من اوائل الموحدين الذين ادركوا بحسهم الصادق وايمانهم الراسخ انحراف الناس عن خط التوحيد ، فراحوا يتلمسون طريق الحنيفية . ومما يروى عن اسماء بنت ابي بكر (رض) ، انها قالت : (لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل شيخاً كبيراً مسنداً ظهره الى الكعبة ، وهو يقول : يا معشر قريش : والذي نفس زيد بن عمرو بيده ، ما اصبح منكم احد على دين ابراهيم غيري ، ثم يقول : اللهم لو اني اعلم اي الوجوه احب اليك عبدتك به ، ولكني لا اعلمه ثم يسجد على راحلته)[27] .

وكان يعيب على قريش عبادتها الاوثان ، ويقول : (يا معشر قريش ، ايرسل الله قطر السماء ، ينبت بقل الارض ويخلق السائمة فترعى فيه فتذبحوها لغيره)[28]

وتشير معظم الاخبار والروايات التي وصلت الينا الى ان زيداً قد توفي قبل مبعث الرسول (ص) بسنوات عديدة ، فهو لم يدرك الاسلام وقد وهم الدكتور شوقي ضيف حين ظن انه اسلم ، وكان من الصحابة الاولين المقدمين[29] . واغلب الظن ان هذا الرأي الذي ذهب اليه الدكتور شوقي ضيف جاء نتيجة الوهم الذي وقع فيه حين خلط بينه وبين ابنه سعيد الذي كان من اوائل المسلمين ، وقد تزوج فاطمة بنت الخطاب اخت الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رض) ، وكان من العشرة المبشرين بالجنة .

ان ما يمكن قوله في عقيدة زيد انه من الموحدين الذين ابتعدوا عن عبادة الاوثان ، وحرم على نفسه مثل غيره من الموحدين الخمر والزنى ، وسعى في طلب التوحيد دين ابراهيم ، ولم يكتف بما اهتدى اليه بعقله ، بل سأل اهل الذكر والعلم .

ولم يكن زيد بن عمرو بن نفيل اوفر حظاً من سابقيه في ضياع مجموعة غير قليلة من اخباره واشعاره . ولعل اتجاه زيد وما عرف عنه من اهتمام بامور التوحيد واستغراقه في تأمل الكون ، وعدم بروزه شاعراً الا في غرض واحد ، لعله يخدم الفكرة والمبدأ الذي انقطع اليه وهو التوحيد ، يدعم ذلك ان معظم المصادر التي بين ايدينا لم تشر الى شاعريته او وجود ديوان خاص به ، سوى الاشارات التي ترد هنا او هناك الى بعض نماذج شعره ، والتي اعتمدها المؤرخون والاخباريون واصحاب السير والمغازي في توثيق الاحداث التاريخية وتوضيح حقيقة الديانة التوحيدية .

وقد اشار الاستاذ فؤاد سزكين الى ان مجموع شعر زيد لا يتعدى الاربعين بيتاً[30] . في حين بلغ ما وجدته من شعره ستة وستين بيتاً .

وتجابه الباحث في شعر زيد ظاهرة اختلاط شعره بشعر غيره من الشعراء ولا سيما الذين عرفوا بميلهم الى التوحيد مثل ورقة ابن نوفل ، وامية بن ابي الصلت ، وغيرهما من الذين يجمعهم احساس واحد بوحدانية الله تعالى ، ويربطهم شعور صادق بعظيم قدرته .

ويمثل التوحيد السمة الاساسية التي يطبع بها شعر زيد ،

فقد آلمه ما وصل اليه حال الناس من الشرك والضلالة ، وحاول جاهداً بشعره ان يوضح الحقيقة الناصعة ، وان يكشف حالة الضلالة والشرك التي انساق اليها الناس ، وان يحذرهم من عاقبة ما يفعلونه .

لقد حاول زيد ان يلتمس طريق الحنيفية بطريقته ، وتمنى ان يشهد مبعث النبي (ص) ، هو واصحابه من الموحدين الذين كانوا يجمعهم احساس صادق بسمو الغاية التي سخروا حياتهم من اجلها ، فراحوا يبحثون ، ويسألون عن طريق الحق ، رافضين عبادة الاوثان ، ذاكرين فضل الله وعظيم نعمائه على البشر .

وزيد الذي سخر شعره للبحث عن طريق الهداية جاء شعره مزداناً بهذه الحقيقة ، فمثلت مبادىء التوحيد اتجاهاً واضحاً في شعر زيد ، استعان به في رسم ابياته وقوافيه . فهو يسبح لله(٣١) ، ولا يعبد الهاً غير الله تعالى ، ويتقيه لانه هو الذي يغذي(٣٢) . ويتعجب من المشركين الذين يشركون مع الله الهاً آخر ، ويسخر من اللات والعزى ومن الذين يعبدونها(٣٣) . ويؤكد عبادته الرحمن ليغفر له ذنبه(٣٤) . ويسلم وجهه لمن اسلمت له الارض وجهها(٣٥) .

ويكاد يمثل الاتجاه التوحيدي الاتجاه الاساسي في شعر زيد الذي بين ايدينا ، ويغلب عليه طابع النظم التقريري ، الذي يفتقد الى الخيال المتدفق والروح الشعرية الاخاذة ، ولا يلتقي مع الشعر الا من خلال وزنه وقوافيه . فهو شعر ينطبع بمسحة دينية . فالشاعر اراد من خلال شعره ان يقرر جملة حقائق ادركها بعقله وطول بحثه ، وهي على العموم نماذج يغلب عليها طابع المباشرة في التناول ، والسهولة في التعبير والبساطة في النظم .

وقد استخدم زيد في شعره اوزان الطويل والبسيط والكامل والوافر والمتقارب والرجز ، وهي عموماً اوزان تتميز بمقاطعها المتعددة وانفتاحها لاستيعاب الافكار المتعددة .

ان محاولة جمع ما تناثر من اخبار زيد بن عمرو بن نفيل واشعاره ، تعيننا في توضيح آفاق الحياة الدينية التي عاشها العرب قبل الاسلام ، وتفصح عن حقيقة الاتجاه التوحيدي الذي جسده اولئك الموحدون ، وهم يسجلون بشعرهم صورة الايمان الراسخ بالله ، الذي ادركوه بنظرتهم النقية وبصيرتهم النافذة . وفي الوقت نفسه تسهم في القاء الضوء على ما انطمس من اخبار اولئك الصفوة واشعارهم .

وهم بلا شك كانوا يمثلون قاعدة غير قليلة مهدت السبيل لتقبل الحدث العظيم الذي اضاء جوانب الجزيرة فنورها ، وبدد مجاهل الظلمة في ربوعها فاضاءها ، فكان الاسلام دين الحق والهداية والرحمة .

(شعره)

[١]

قال زيد بن عمرو بن نفيل (البسيط)

١ - نُسَبِّحُ الله تسبيحاً نَجُودُ بهِ
وقَبْلَنا سَبَّحَ الجُوديُّ والجُمُدُ

٢ - لقد نَصَحْتُ لأقوامٍ وقلتُ لهم
أنا النذيرُ فلا يَغْرُرْكُمُ أحدُ(١)

٣ - لا تعْبُدُنَّ الهاً غيرَ خالقكم
فإنْ دَعَوْكم فقولوا بيننا حَدَدُ(٢)

٤ - سُبْحَانَ ذي العرش سبحاناً يدوم له
وقَبْلَنا سَبَّحَ الجوديُّ والجمدُ(٣)

٥ - مُسَخَّرٌ كلُّ ما تحتَ السماءِ له
لا ينبغي ان يُناوي مُلْكَهُ أحدُ(٤)

٦ - لا شيءَ مما ترى تَبقى بَشاشَتُه
يَبْقى الالهُ ويُودي المالُ والوَلَدُ(٥)

٧ - لم تغنِ عن هُرْمز يوماً خزائنهُ
والخُلْدَ قد حاوَلتْ عادٌ فما خَلَدُوا

٨ - ولا سليمانُ إذْ تجري الرياحُ به
والانسُ والجنُّ فيما بيننا تَرِدُ

٩ - اينَ الملوكُ التي كانت لعزّتها
من كلِّ أوْبٍ اليها وافدٌ يفدُ

١٠ - حوضٌ هنالك مورودٌ بلا كَذِبٍ
لابُدَّ من وِرْدِهِ يوماً كما وَرَدُوا

[٢]

قال زيد بن عمرو بن نفيل (البسيط)

١ - أنْظُرْ إذا ما نَظَرْتَ الله فاتَّقِهِ
وعِفَّةُ إنَّ خَيْرَ الكَسْبِ ما طَهُرَا(٦)

٢ - يَنْمي القَليلُ إذا ما كانَ فَضْلَ تُقَىً
إنَّ الخبيثَ الذي يَفْنَى وإنْ كَثُرَا

[٣]

(الوافر)

وقال زيد بن عمرو بن نفيل في فراق دين قومه ، وما كان لقي منهم في ذلك :

١ - أربّاً واحداً أمْ ألفَ رَبٍّ
أدينُ إذا تُقُسِّمَتِ الامورُ

٢ - عَزَلْتُ اللاتَ والعُزّى جميعاً
كذلك يَفْعَلُ الجَلْدُ الصَّبُورُ

٣ - فلا العُزّى أدينُ ولا ابْنَتَيْها
ولا صَنَمَيْ بني عمرٍو أزُورُ

٤ - ولا هُبَلاً أدينُ وكان رَبّاً
لنا في الدَّهرِ إذ حِلْمي يسيرُ(٧)

٥ - عَجِبْتُ وفي اللّيالي مُعْجِباتٌ
وفي الأيامِ يَعْرِفُها البَصيرُ

٦ - بأنَّ الله قد أفنى رِجالاً
كثيراً كانَ شأنَهُمُ الفُجُورُ

٧ - وأبقى آخرين بِبِرِّ قَوْمٍ
فَيَرْبُلُ منهُمُ الطِّفْلُ الصَّغيرُ(٨)

٨ - وَبَيْنا المرءُ يَعْثُرُ ثابَ يوماً
كما يتروّحُ الغُصْنُ المَطيرُ
٩ - ولكِنْ أعبُدُ الرّحمنَ ربي
ليَغْفِرَ ذَنبيَ الرّبُّ الغَفُورُ
١٠ - فتقوى الله ربّكُمْ احفظُوها[٩]
متى ما تحفَظُوها لا تَبُورُوا[١٠]
١١ - ترى الابرارَ دارُهُمُ جِنانٌ
وللكفّار حامِيَةٌ سَعيرُ
١٢ - وخِزْيٌ في الحياةِ وإنْ يمُوتوا
يُلاقُوا ما تَضِيقُ بِهِ الصُّدُورُ

[٤]

(الخفيف)

١ - تلك عرساي تنطقان بهجر
وتقولان قول أمر وعتر
٢ - تسألان الطّلاقَ أن رأتاني
قلَّ مالي قد جئتماني بنُكْرِ[١١]
٣ - فلعلي أن يكثر المال عندي
ويخلى من المغارم ظهري
٤ - وَيْ كأنْ من يَكُنْ له نَشَبٌ يُحْـ
ـبَبْ ومن يفتقِرْ يَعِشْ عيشَ ضُرّ[١٢]

[٥]

(المتقارب)

فقال زيد

١ - وأسلمتُ وجهي لمن أسلمتْ
له الارضُ تحملُ صخراً ثِقالا
٢ - دحاها فلما رآها استوتْ
على الماء أرسى عليها الجبالا
٣ - واسلمتُ وجهي لمن أسلمتْ
له المُزنُ تحمل عذباً زُلالا[١٣]
٤ - إذا هيَ سِيقتْ إلى بلدةٍ
أطاعتْ فصبّتْ عليها سِجالا[١٤]

[٦]

(الرجز)

قال زيد

١ - عُذتُ بما عاذ به إبراهيم
٢ - مُستقبِلَ الكعبةِ وهو قائمْ
٣ - يقول أنفي لك عانٍ راغمْ
٤ - مهما تُجشّمني فإني جاشِمْ[١٥]

[٧]

(الرجز)

قال زيد بن عمرو بن نفيل

١ - لا هُمّ إني حَرَمٌ لا حِلّهْ [١٦]
٢ - وإنّ بيتي اوسطَ المَحِلّهْ
٣ - عِندَ الصّفا ليسَتْ بها مَضَلّهْ

[٨]

وكان الخطاب عمه قد وكل صفية بنت الحضرمي وهي امرأته . وقال : اذا رأيته قد هَمّ بامر فآذنيني به . فقال زيد

(مجزوء الكامل)

١ - لا تَحْبِسيني في الهَوا
نِ صَفيّ ما دَأبي ودابُهْ[١٧]
٢ - إني إذا خِفْتُ الهَوا
نَ مُشَيّعٌ ذُلُلٌ رِكابُهْ[١٨]
٣ - دُعْمُوصُ أبوابِ المُلُو
كِ وَجائبٌ للخَرقِ نابُهْ[١٩]
٤ - قَطّاعُ اسبابٍ تُذِ
لّ بغيرِ اقرانٍ صِعابُهْ[٢٠]
٥ - وإنما أخذُ الهَوا
نَ العَيرُ إذ يُوهَنْ إهابُهْ[٢١]
٦ - ويقُولُ إني لا أذِلّ
بِصَكّ جَنْبَيهِ صِلابُهْ[٢٢]
٧ - وأخِي ابنُ أمّي ثمّ عَمُّ
ي لا يُواتيني خِطابُهْ[٢٣]
٨ - وإذا يُعاتِبُني بسُو
ءٍ قلتُ أعياني جَوابُهْ
٩ - وَلَوْ أشاءُ لقُلْتُ مِمّا
عِندي مَفاتِحُهُ وَبابُهْ

[٩]

(الطويل)

وقال زيد بن عمرو بن نفيل :

١ - إلى الله أُهْدي مِدحتي وَثنائِيا
وَقولاً رَصيناً لا يني الدّهرَ باقِيا[٢٤]
٢ - إلى المَلك الاعلى الذي ليس فوقه
إلهٌ ولا ربٌّ يكونُ مُدانيا[٢٥]
٣ - الا أيُّها الانسانُ إيّاك والرّدَى
فإنّك لا تُخفي من الله خافِيا[٢٦]
٤ - وإيّاكَ لا تَجْعَلْ مع الله غيرَه
فإنّ سبيلَ الرُّشدِ أصبحَ باديا
٥ - حنانيكَ إن الجن كانت رَجاءهم
وأنتَ إلهي رَبّنا وَرَجائيا[٢٧]
٦ - رضيتُ بكَ اللّهُمّ رَبّاً فلن أرى
أدينُ إلهاً غيرك الله ثانِيا[٢٨]

٧ - أدينُ لــــربٍ يُستجــابُ ولا ارى
أدينُ لمن لم يسمـــع الـدهــرَ داعيــا
٨ - وانتَ الذي مِنْ فضل مَنٍّ ورحمـة
بَعَثتَ الى مُـوسَى رَسـولًا مُنـاديـا
٩ - فقلتَ له : يا اذْهَبْ وهارونُ فادْعُوَا
الى الله فِـرْعَون الـذي كـان طـاغِيا(٢٩)
١٠ - وقـولا لـه : ألْنت سَـوَّيتَ هـذه
بـلا وتـدٍ حتى اطمـأنَّتْ كما هِيَـا(٣٠)
١١ - وقـــولا لـــه : ألنت رفَعت هـذه
بـلاعَمَـدٍ أرْفِقْ إذاً بـكَ بـانيـا(٣١)
١٢ - وقـولا له : ألنتَ سوّيتَ وَسْطها
مُنيـراً إذا مـا جَنَّـه الليـلُ هـاديَـا
١٣ - وقولا له : مَنْ يُرسِل الشمس غدوةً
فيُصبِـــحُ مـا مَسَّتْ من الارض ضـاحيـاً
١٤ - وقولا له : مَنْ يُنْبت الحبَّ في الثرى
فيُصبِــح منــه البَقْـلُ يَهتـزُّ رابيَـا(٣٢)
١٥ - ويُخرج منه حَبَّـه في رؤوسـه
وفي ذاكَ آيـاتٌ لِمَن كـان واعيــا
١٦ - وانتَ بفَضْلٍ منك نَجَّيْتَ يُـونسـاً
وقد بـات في أضعـاف حـوتٍ ليـاليـا
١٧ - وأنّي ولـو سَبَّحْتُ باسمِك ربَّنا
لأكثِـرُ، الا مـا غفـرتَ، خطـايـا(٣٣)
١٨ - فـربَّ العِبـادِ ألقِ سَيْباً ورحْمَةً
عليَّ وبــارِكْ في بَنيَّ ومـــاليــا(٣٤)

[١٠]

(الطويل)

وقال زيد

١ - رشـدتَ وأنعمتَ ابن عمـرو وانّمـا
تجنَّبتَ تَنُـوراً من النــار حـاميـا(٣٥)
٢ - بـدينِـكَ ربّـا ليس ربٌ كمثلـه
وتــركـك اوثـان الطـواغي كمـا هيـا

(التخريجات)

[١]

الابيات (١ - ١٠) في معجم البلدان ٢ / ١١٦ ، ونسبت لورقة بن نوفل شعره / مجلة المورد / ع ٢ - لسنة ١٩٨٨ / ١٧٥ .

والبيت الثالث في اللسان (مادة حدد) ، ورواية الشطر الثاني منه وإنْ تُعيِتُمْ فقولوا : دونه

والرابع في الجامع لاحكام القرآن ٩ / ٤٢ ، وفي البحر المحيط ٥ / ٢٢٥ ، ونسب ايضاً الى أمية بن ابي الصلت : امية ابن ابي الصلت / ٣٣٢ ، ورواية الشطر الاول منه : سُبحانَه ثُمَّ سُبحاناً يعودُ له .. ، والشطر الثاني منه في مجاز القرآن ١ / ٢٩٠

[٢]

البيتان في حماسة البحتري / ٣٦٩

[٣]

الابيات (١ - ١٢) في السيرة النبوية ١ / ٢٢٦ - ٢٢٧ ، وفي الاكتفاء ١ / ٢٥٣ - ٢٥٤

ورواية البيت الرابع : ولا غنماً ادينُ ..

ورواية البيت الثامن : وبينا المرءُ يَعْثرثاب ..

والابيات (٢ - ١٢) في شعراء النصرانية ٤ / ٦٢١

ورواية الثاني : عزلت الجنَّ والجَنانَ عَنّي

ورواية الشطر الثاني من البيت الثالث : ولاصَنَمي بني طَسْم أديرُ

ورواية الرابع : ولا غُنْماً ادينُ

ورواية السادس : الم تعلم بأن الله افنى

ورواية الشطر الثاني من السابع : فيربو منهم

والابيات (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢) في معجم البلدان ٤ / ٢٣٨

ورواية الرابع : ولا غنماً ادين

ورواية الخامس : وفي الليالي مُعجزات

والابيات (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٧ ، ٨) في الاغاني ٣ / ١١٨ - ١١٩

ورواية الثاني ، عزلتُ الجنّ والجنّانَ عنّي

ورواية الثالث : ولا صنمي بني غَنَم ..

ورواية السادس : الم تعلم بأن اللهَ افنى

ورواية السابع : فيربو منهم ..

ورواية الثامن : وبينا المرءُ يَعثُرُ ثاب .. كما يتروّحُ الغصنُ النضِرُ

والابيات (٢ ، ٣ ، ٤) في الاصنام / ٢١ - ٢٢

ورواية الثاني : تركتُ اللات ..

ورواية الثالث : ولا صَنَمَي بني غَنْمٍ ..

ورواية الرابع : ولا هُبَلًا أزورُ ..

[٤]

الابيات (١ - ٤) في الحماسة البصرية ٢ / ١١

والابيات (١ ، ٢ ، ٤) في كتاب سيبويه ٢ / ١٥٥

ورواية الاول : تنطقان على العمد الى اليوم قول زور وهتر

ورواية الثاني : سالتاني ..

والبيت الرابع في اللسان مادة (ويا)

[٥]

الابيات (١ - ٤) في السيرة النبوية ١ / ٢٣١

[٦]

البيتان في السيرة النبوية ١ / ٢٣٠ ، وفي الاغاني ٣ / ١١٨ ، وفي بلوغ الارب ٢ / ٢٥١ ورواية الاول : عذت بمن .. ورواية الثاني اني لك اللهم .. وفي شعراء النصرانية ٤ / ٦١٩

[٧]

البيت في السيرة النبوية ١ / ٢٣١ ، وفي الاغاني ٣ / ١١٨ ، ورواية الشطر الثاني : وإنّ داري .. ، وفي شعراء النصرانية ٤ / ٦١٩

[٨]

الابيات (١ - ٩) في السيرة النبوية ١ / ٢٢٩ ، وفي شعراء النصرانية ٤ / ٦٢٠ - ٦٢١ والبيتان (١ - ٢) في حماسة البحتري / ٢٢ ، ورواية الاول : ولا تَحْسَبنِّي ..

[٩]

الابيات (١ - ١٨) في السيرة النبوية ١ / ٢٢٧ - ٢٢٩ ، ونسبت الى امية بن ابي الصلت وفي البداية والنهاية ١ / ٣٦ ، وفي الاكتفاء ١ / ٢٥٤ - ٢٥٥

والابيات (١ ، ٢ ، ٩ ، ١١ - ١٦) في البدء والتاريخ ١ / ٦٢ ، ٧٥ .

والابيات في (امية بن ابي الصلت) منسوبة له / ٣٦٨ - ٣٧١

[١٠]

البيتان في المعارف / ٥٩ ، ونسبا الى امية ؛ امية بن ابي الصلت / ٣٧٢ ونسبا ايضاً الى ورقة بن نوفل ؛ ورقة بن نوفل حياته وشعره / ١٧٨

هوامش الدراسة

(١) البقرة / ١٣٥
(٢) العنكبوت / ٦١
(٣) مروج الذهب ٢ / ٢٣٨ ، وذهب الازرقي الى ان جرهماً عندما طغت في الحرم ودخل رجل منهم بامرأة منهم الكعبة ففجر بها فمسخا حجرين ، اسم الرجل اساف واسم المرأة نائلة ، ثم اخرجا من الكعبة فنصب احدهما على الصفا والاخر على المروة ، فلما كان عمرو بن لحي امر الناس بعبادتهما . اخبار مكة / ١١٧
(٤) الزمر / ٣
(٥) السيرة النبوية ١ / ٢٢٢ - ٢٢٣
(٦) من هؤلاء (قس بن ساعدة وامية بن أبي الصلت وسويد بن عامر المصطلقي وعمير بن جندب الجُهني ، وابو قيس صرمة بن ابي انس ، ولبيد بن ربيعة العامري ، وزهير بن ابي سلمى) .
(٧) الاغاني ٣ / ١١٧ ، ومعجم البلدان ٤ / ٢٣٨
(٨) الاغاني ٣ / ١١٧ ، وشعراء النصرانية ٤ / ٦١٩
(٩) السيرة النبوية ١ / ٢٥٣ ، والروض الانف ١ / ١٤٦
(١٠) السيرة النبوية ١ / ٢٢٩
(١١) السيرة النبوية ١ / ٢٥٣ ، محاضرة الابرار ١ / ٢٧
(١٢) السيرة النبوية ١ / ٢٥٣
(١٣) المصدر نفسه
(١٤) المنمق / ٥٣٢
(١٥) خزانة الادب ٣ / ٩٩ ، بلوغ الارب ٣ / ٤٥
(١٦) المحبر / ١٧٠ ، الكامل في التاريخ ١ / ٥٩٣
(١٧) انساب الاشراف ١ / ١٠٢
(١٨) المحبر / ١٧١
(١٩) الاكتفاء في مغازي رسول الله ١ / ٢٥٦
(٢٠) المصدر نفسه ١ / ٢٥٨
(٢١) المنمق / ١٧٦
(٢٢) خزانة الادب ٣ / ٩٩
(٢٣) الاصابة ١ / ٥٦٩
(٢٤) المصدر نفسه
(٢٥) السيرة النبوية ١ / ٢٢٦ ، الاغاني ٣ / ١٢١ ، الاصابة ١ / ٥٦٩
(٢٦) السيرة النبوية ١ / ٢٣١ ، الطبقات الكبرى ١ / ١٦٢
(٢٧) السيرة النبوية ١ / ٢٢٥
(٢٨) الاغاني ٣ / ١١٧
(٢٩) تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) / ٩٦
(٣٠) تاريخ التراث العربي ٢ / ٢٨٢
(٣١) تنظر القطعة رقم (١)
(٣٢) تنظر القطعة رقم (٢)
(٣٣) تنظر القطعة رقم (٣)
(٣٤) تنظر القطعة رقم (٣)
(٣٥) تنظر القطعة رقم (٥)

هوامش النص

(١) النذير : المنذر والرسول
(٢) امر حدد : اي منيع حرام لا يحل ارتكابه
(٣) الجودي : جبل مطل على جزيرة ابن عمر في الجانب الشرقي من دجلة من اعمال الموصل ، وهو الذي زعموا استوت عليه سفينة نوح (ع) ، الجمد : جبل بنجد
(٤) ناوأ الرجل : اذا ناهضه وفاخره وعاداه
(٥) بشاشته : اللقاء الجميل وطلاقة الوجه ، الفرح بالصاحب والانبساط اليه والانس به ، ويعني بها هنا ، حسن الشيء وجدته .
(٦) عفّ : كف وامتنع عما لا يحل او لا يجمل
(٧) هبل : كصرد ، صنم كان لقريش في الكعبة يعبدونه
(٨) ربل القوم : اذا نموا وكثروا
(٩) : عاد الى ما كان عليه من استقامة ، يتروح : يهتز ويخضر ، وينبت ورقه بعد سقوطه
(١٠) لا تبوروا : لا تهلكوا
(١١) تسالان : يعني زوجتيه ، والنكر : المنكر
(١٢) وي : قال المفسرون فيها الم تر ، وقال ثعلب بعضهم يقول معناه أعْلَمْ ، وبعضهم يقول وَيْلَك .
(١٣) المزن : السحاب ؛ وقيل الابيض منها
(١٤) السجال : جمع سجل ، وهي الدلو المملوءة ماء ، فاستعارها لكثرة المطر
(١٥) العاني : الاسير ، تجشمني : تكلفني ، الجاشم : الذي يتكلف الامر ويتحمله على مشقة
(١٦) حَرَم : ساكن بالحرم ، والحلة : أهل الحل ، يقال للواحد والجمع حلة
(١٧) الدأب : العادة ، صفي : ترخيم صفية
(١٨) المُشَيَّع : الجريء الشجاع ، الذلل : السهلة قد ارتاضت وذل البعير : سهل انقياده
(١٩) الدعموص : دويبة تغوص في الماء مرة بعد مرة ، يشبه بها الرجل الذي يكثر الولوج في الاشياء ، يريد ولا جافي ابواب الملوك ، وانه يكثر الدخول عليهم ،
جائب : قاطع ، الخرق : الفلاة الواسعة .
(٢٠) الاقران : جمع قرن وهو الحبل
(٢١) يوهي : يشق ، إهاب : جلد
(٢٢) اي يقول العير لك بعك جنبيه ، اي صلاب ما يوضع عليه ، واضافها

الى العير لانها عبوه وحمله

(٢٣) لا يواتيني : لا يوافقني

(٣٥) رشدت : اي اصبت الرشدو الهدى ، انعمت : بالغت في الرشد يقول اصبت الرشد ، وزدت حتى بلغت غايته ، والتنور : كانون يخبز فيه ، واراد به نار جهنم

(٢٤) الرصين : الثابت المحكم ، لايلي : لا يفتر ولا يضعف (٢٥) المداني : القريب

(٢٦) الروى : الهلاك والموت

(٢٧) حنانيك : اي حناناً بعد حنان ، ويجوز ان يريد حناناً في الدنيا وحناناً في الاخرة ، والحين : بالكسر (حي من الجن) منهم الكلاب السود البهم ، او سفلة الجن وضعفاؤهم او كلابهم ، او خلق بين (الجن والانس)

(٢٨) ادين الهاً : اي ادين لاله ، غيرك الله : يريد يا الله

(٢٩) يا ذهب : على حذف المنادى ، كانه قال ، الا يا هذا اذهب

(٣٠) سؤيت هنه : يريد الارض ، واشار اليها للعلم بها

(٣١) رفعت هنه : يريد السماء ، أرفق : فعل تعجب

(٣٢) رابياً : ظاهراً على وجه الشمس

(٣٣) يريد اني لاكثر من هذا الدعاء الذي هو : باسمك ربنا الا ما غفرت ، والتسبيح هنا : الصلاة ، اي لا اعتمد وان صليت الا على دعائك واستغفارك من خطاياتي .

(٣٤) السيب : العطاء

(المصادر والمراجع)

- القرآن الكريم
- أخبار مكة وما جاء فيها من الاثار : الازرقي : ابو الوليد محمد بن عبد الله بن احمد (٢٤٤) هـ ، تحقيق رشدي الصالح ملحس ، مطابع دار الثقافة ، مكة المكرمة ط ٢ / ١٩٦٥
- الاصابة في تمييز الصحابة : ابن حجر العسقلاني : ابو الفضل احمد بن علي بن محمد (٨٥٢) هـ ، مطبعة السعادة ، مصر ، الطبعة الاولى - ١٣٢٨ هـ .
- الاصنام : ابن الكلبي : ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب (٢٠٤) هـ ، تحقيق الاستاذ احمد زكي باشا ، مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ط ٢ - ١٩٢٤ .
- الاغاني : الاصفهاني : ابو الفرج علي بن الحسين (٣٥٦) هـ ، تحقيق عبد الستار احمد فراج - بيروت - الطبعة الرابعة - ١٩٧٣ .
- الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء : الكلاعي : ابو الربيع سليمان بن موسى (٦٣٤) هـ ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، مطبعة السنة المحمدية - القاهرة ١٩٦٨ .
- امية بن ابي الصلت ، حياته وشعره - دراسة وتحقيق بهجة عبد الغفور الحديثي ، مطبعة العاني - بغداد ١٩٧٥ م
- أنساب الاشراف : البلاذري : احمد بن يحيى ، تحقيق د . محمد حميد الله ، دار المعارف بمصر - ١٩٥٩ .
- البحر المحيط : ابو حيان الاندلسي : اثير الدين محمد بن يوسف ، (٧٥٤) هـ ، مط السعادة بمصر - ١٣٢٨ هـ .
- البدء والتاريخ : البلخي : ابو زيد احمد بن سهل (٣٥٥) هـ ، عني بنشره كلمان هوار ، (نسخة مصورة) بالاوفست عن مطابع برطرند - باريس ١٨٩٩ .
- البداية والنهاية : ابن كثير : عماد الدين ابو الفداء الدمشقي (٧٧٤) هـ ، مطبعة السعادة ، مصر - ط ١ - ١٩٣٢ .
- بلوغ الارب في معرفة احوال العرب : الالوسي : محمود شكري ، علي بشرحه وتصحيحه محمد بهجة الاثري ، ط ٣ - مطابع دار الكتاب العربي بمصر
- تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) - د . شوقي ضيف ، مطابع دار المعارف - مصر - ط ٤ (د . ت)
- تاريخ التراث العربي - فؤاد سزكين - نقله الى العربية د . محمود فهمي حجازي - مطابع جامعة الامام محمد بن سعود السعودية - ١٩٨٣
- الجامع لاحكام القرآن : ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي ، دار الكتب المصرية ١٩٣٥ .
- حماسة البحتري : تحقيق لويس شيخو اليسوعي - بيروت دار الكتاب العربي - ط ٢ - ١٩٦٧ .
- الحماسة البصرية : البصري : صدر الدين بن ابي الفرج بن الحسين (٦٥٩) هـ ، تحقيق د . مختار الدين احمد ، مطبعة دار المعارف العثمانية ، حيدر آباد - الهند - ط ١ / ١٩٦٤ .
- خزانة الادب ولب لباب لسان العرب : البغدادي : عبد القادر بن عمر (١٠٩٣) هـ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مطابع دار الكتاب العربي للطباعة - القاهرة ١٩٦٧
- الروض الانف : السهيلي : ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد (٥٨١) هـ ، مطبعة الجمالية - بمصر - ١٩١٤ .
- السيرة النبوية : ابن هشام : ابو محمد عبد الملك (٢١٨) هـ ، تحقيق مصطفى السقا ، ابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي ، مطبعة مصورة عن طبعة مصطفى الحلبي / ١٩٥٥
- شعراء النصرانية : لويس شيخو اليسوعي - مطبعة الاباء المرسلين اليسوعيين - بيروت - ١٨٩٠ .
- الطبقات الكبرى : لابن سعد (٢٣٠) هـ ، دار صادر - بيروت ١٩٦٠ .
- الكامل في التاريخ : ابن الاثير : عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم (٦٣٠) هـ ، دار صادر للطباعة والنشر - بيروت ١٩٦٥ .
- كتاب سيبويه : ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، عالم الكتب - للطباعة والنشر - بيروت .
- لسان العرب : ابن منظور : ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (٧١١) هـ - الدار المصرية للتاليف والترجمة (د . ت)
- مجاز القرآن : ابو عبيدة معمر بن المثنى (٢١٠) هـ ، تحقيق محمد فؤاد سزكين مكتبة الخانجي - بمصر - ط ٢ - ١٩٧٠
- محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار في الادبيات والنوادر والاخبار : ابن عربي : محيي الدين (٦٣٨) هـ ، مطبعة النجوى - بيروت - ١٩٦٨
- المحبر : ابن حبيب : ابو جعفر محمد بن حبيب (٢٤٥) هـ ، باعتناء د . ايلزه ليخن شيتتر ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن - الهند ١٩٤٢ .
- مروج الذهب ومعادن الجوهر : المسعودي : ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (٣٤٦) هـ ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر - ط ٣ / ١٩٥٨
- المعارف : ابن قتيبة (٦٢٦) هـ ، تحقيق ثروت عكاشة ، مطبعة دار الكتب - القاهرة ١٩٦٠ م
- معجم البلدان : ياقوت الحموي : شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله (٦٢٦) هـ ، طهران - ١٩٦٥
- المنمق في اخبار قريش - محمد بن حبيب البغدادي (٢٤٥) هـ ، اعتنى بتصحيحه د . محمد عبد المعيد خان ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن - الهند - ط ١ - ١٩٦٤ .
- ورقة بن نوفل (حياته وشعره) - ايهم عباس القيسي - مجلة المورد - العدد الثاني السنة ١٩٨٨ .

نصوص محققة

مخطوطات خزانة احمد سالم الكيلاني

اسامة ناصر النقشبندي
دار صدام للمخطوطات

العائلة الكيلانية في بغداد من العوائل الكريمة التي ترجع في نسبها الى تاج العارفين شيخ الاسلام محيي الدين السيد عبد القادر بن ابي صالح موسى بن عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله ابن موسى الجون بن عبد الله المحض بن ابي محمد الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ، الذي ولد بـ(جيلان) سنة ٤٧٠ هـ/ ١٠٧٧ م وقدم بغداد سنة ٤٨٨ هـ/ ١٠٩٥ م وعمره ثماني عشر سنة في خلافة المستظهر بالله العباسي ، درس بمدرسة المخرمي القاضي ابي سعيد بن المبارك ببغداد ، وظهر صيته بالزهد والورع وكانت المدرسة تضيق بالناس عندما كان يدرس فيها ، وكان يجلس عند سور بغداد مستنداً الى الرباط .

عمرت هذه المدرسة ووسعت واضيف اليها ماحولها من المنازل والامكنة ما يزيد على مثلها ، وبذل الاغنياء في عمارتها المال ، وكمل انشاؤها سنة ٥٢٨ هـ/ ١١٣٣ م ، وصارت منسوبة اليه ، وتصدر بها للتدريس والافتاء والوعظ ، وقصدت بالزيارات والنذور ، وتوفي الشيخ عبد القادر الكيلاني (رحمه الله) ليلة السبت العاشر من ربيع الاخر سنة ٥٦١ هـ/ ١١٦٥ م ودفن في رواق مدرسته واقيمت على قبره قبه ، واتخذت المدرسة شكل المسجد الذي توسع ليكون من جوامع بغداد الكبيرة ، الا ان المدرسة لم ينقطع التدريس فيها بعد وفاته حيث تولى التدريس بعده ولده محمد عبد الوهاب واحفاده وقد نالت المدرسة والجامع عناية السلاطين والولاة وجرت عليها تعميرات في مختلف المراحل .

وقد اوقفت على خزانة المدرسة القادرية خزائن كتب عديدة وهي تضم اليوم مجموعة مهمة من المخطوطات بعضها من النوادر والاعلاق النفيسة ، وقد اصدر د . عماد عبد السلام فهرساً بمخطوطاتها عام ١٩٧٤ ، كما كتب السيد نوري محمد المفتي رسالة عن مكتبة المدرسة القادرية منذ تاسيسها الى الوقت الحاضر .

اما مخطوطات خزانة سالم احمد الكيلاني وهو من سلالة هذه العائلة وكان سادناً للحضرة القادرية لحين وفاته فهي مجموعة مهمة توارثها اولاده منهم قيس سالم احمد الكيلاني وقد تفرقت مخطوطات هذه الخزانة وامتدت اليها ايدي السراق الى ان تم استرجاعها وجمعها من قبل صاحبها بمساعدة ومساعي دار صدام للمخطوطات التي اقتنت هذه المخطوطات وضمت الى مجموعتها سنة ١٩٩٢ .

يبلغ عدد مخطوطات هذه الخزانة (٩٩) مخطوطاً ، تعود الى حقب تاريخية مختلفة ، بعضها مخطوطات مزوقة ومذهبة ، كما كتبت مخطوطات اخرى باقلام مؤلفيها او عليها قراءات وسماعات وتملكات لبعض علماء بغداد من بينهم بعض رجالات هذه الاسرة .

وقد رأيت ان اعد هذا الفهرس للتعريف بما تحتويه من مخطوطات ، فذكرت عنوان المخطوط واسم المؤلف ونبذه عن حياته وشيء من اول المخطوط ، كما عرفت بمحتوى بعض المخطوطات المهمة ووصفت حالة المخطوط ، وذكرت اسم الناسخ وتاريخ النسخ ونوع الخط وقياسات المخطوط وعدد صفحاته ، واهم المصادر والمراجع التي توثق عنوان المخطوط ومؤلفه ، واشرت الى كون المخطوط قد طبع محققاً ام لم يطبع .

راجياً ان اكون قد اسهمت في الكشف عن محتويات هذه الخزانة ليطلع عليها المهتمون من الباحثين والدارسين والمحققين والله تعالى من وراء القصد

١) قرآن كريم

نسخة نفيسة مزوقة الاول بزخارف نباتية من الازهار والاوراد والاغصان رسمت داخل حشوات هندسية ملونة على ارضية ذهبية وقد امتدت الاشكال الزخرفية والاغصان الملونة لتغطي جميع الفراغات في الصفحتين الاولى والثانية وهي من النسخ النادرة والمهمة في اسلوب زخرفتها وتذهيبها واسلوب خطها ، وما تحيط بها من السلاسل والخطوط الملونة .

كما حليت اسماء السور بزخارف نباتية ملونة ومذهبة وكتبت اسماء الاجزاء والاحزاب والارباع داخل اشكال زخرفية ملونة ومذهبة ، وذهبت كذلك الوقفات بين الايات ورسمت فيها وريدات واشكال نباتية ملونة .

كتب هذه النسخة الخطاط علي الحمدي بخط النسخ الجيد ، وعناوين السور بخط الثلث سنة ١٢٦٧ هـ/ ١٨٥٠ م

الرقم ٣٩١٦٥

القياس ٥١٢ ص ٢٤ x ١٦ سم ١٥س

x x x

٢) قرآن كريم

مزوق الاول بزخارف نباتية ملونة ومذهبة داخل اشكال هندسية مختلفة . كما كتبت اسماء السور على ارضيات مذهبة وملونة

كتبت هذه النسخة بخط النسخ الجيد عليها حواش وشروح

الرقم ٣٩٢٧٧

القياس ٥٢٠ ص ٣٠ x ١٨ سم ١٥ س

x x x

٣) أربعون صحيفة من الاحاديث القدسية .

للشيخ الاكبر محيي الدين محمد بن علي بن عربي الحاتمي الطائي[١] المتوفى سنة ٦٣٨ هـ/ ١٢٤٠ م .

ضمنها المؤلف اربعين حديثاً قدسياً اطلق على كل حديث اسم صحيفة .

نسخة جيدة كتبت بخط النسخ ترقى الى القرن الثاني عشر للهجرة الثامن عشر للميلاد في آخرها فائدة لتوفيق رشدي البغدادي الذي كان طالباً في الكلية العسكرية في اسطنبول .

الرقم = ٣٩٣٢٥

القياس = ٧٣ ص ٢١ x ١٥ سم ١٢س

الاعلام ٦ / ٢٨١ طبع نخائر التراث ١ / ١٨٢

x x x

٤) الاصلاح .

لمحمد بن علي الطباطبائي الحائري المتوفى سنة ١٢٤٢ هـ/ ١٨٢٧ م

الاول : (الحمد لله الذي مهد لنا طريق اصلاح العمل ومسلك النجاة والتجافي عن الخطأ والزلل ...) .

أودع المؤلف في كتابه هذا ما تضمنه كتابه (مسالك الحلال والحرام) من السنن والاحكام ورتبه على مقدمة وابواب وخاتمة .

نسخة جيدة كتبت في عصر المؤلف عليها حواشٍ وشروح ، تملكها محمد حسين سنة ١٢٩٠ هـ/ ١٨٧٣ م .

الرقم = ٣٩٢٦٨

القياس : ٤١٢ ص ٢١ x ٥ر١٢ سم ٢٢س

الذريعة ٢ / ١٧٠ - ١٧١

x x x

٥) أصول المواريث

لابي الحسن علي بن احمد بن حسين القطيفي[٢] آل عبد الجبار المتوفى سنة ١٢٨٧ هـ/ ١٨٧٠ م

الاول : (الحمد لله الموجود بدائع حكمه باظهار ما في الوجود ، ومضيف سوابغ نعمه على خلقه لايجاد الوجود كل موجود ..)

نسخة جيدة كتبت بخط النسخ بالمدادين الاسود والاحمر عليها حواش وشروح على يد محمد جواد بن محمد الامام سنة ١١١٦ هـ/ ١٧٠٤ م في آخرها منقولات وجداول تعود الى نفس فترة كتابة المخطوط

الرقم : ٣٩٣٠٦ / ٣

القياس : ٣١ ص ٥ ر ٢١ x ١٤ سم ٢٤ س

الاعلام ٤ / ٢٦٠ معجم المؤلفين ٧ / ١٤

x x x

٦) اكلة حاضرة لمن تكون طبيمتة سليمة طاهرة

لم يعلم اسم المؤلف

الاول (الحمد لله الذي لطف بالعباد فبين لهم بفضله وكرمه سبيل الرشاد واثاب من سلكه وعاقب من جاد عنه واهلكه ....)

وهي رسالة جمع فيها المؤلف بعضاً من المعفوات وذكر فيها ما اشتهر بين العوام انه من جملة النجاسات في حين انه طاهر

وما هو لدى العوام طاهر لكنه نجس لدى العلماء .
نسخة جيدة كتبت بخط النسخ الدارج عليها حواشي وشروح ومنقولات كتب بخط المؤلف سنة ١٢٧٩ هـ / ١٨٦٢ م عليها تملك لمصطفى الكيلاني
الرقم = ٣٩٢١٧
القياس : ٢٤ ص ٢٢ × ١٦ سم ١٧س
× × ×

٧) بحر الكلام .

لابي المعين ميمون بن محمد بن مكحول النسفي الحنفي المتوفى سنة ٥٠٨ هـ / ١١١٥ م .
وهي رسالة في علم الكلام كتبها محمد الامين سنة ١١٧٦ هـ / ١٧٦٢ م في آخرها وصية الامام محمد الشافعي مع منقولات وفوائد فقهية ، ونص كتبه عبد القادر بن محمد الرحماني عن تسديد دين بذمته سنة ١١٩٧ هـ / ١٧٨٢ م .
الرقم : ٣٩٢٥٤ / ٢
القياس : ١٨ ص ٢٠ × ١٣ سم ١٩س
الاعلام ٧ / ٣٤١
× × ×

٨) التحفة الحسينية في احكام مسالة الغيبة .

لسيد حسن بن اسماعيل الحسيني القمي الحائري المتوفى في حدود سنة ١٣٠٦ هـ / ١٨٨٨ م .
الاول : (الحمد لله رب العالمين والصلاة على سيد الاولين والاخرين محمد وآله الطيبين الطاهرين ولعنة الله على اعدائهم ...) وهو كتاب في احكام الغيبة فرغ منه المؤلف سنة ١٣٠٤ هـ / ١٨٨٦ م ورتبه على خمسة مقاصد وخاتمة
نسخة جيدة كتبها بخط النسخ علي بن محمد مهدي الخراساني الحائري سنة ١٣٠٤ هـ / ١٨٨٦ م .
الرقم : ٣٩٢٤٩ / ١
القياس : ١١٤ ص ٥ ر ١٤ × ٥ ر ٩ سم
الذريعة ٣ / ٤٢٨ معجم المؤلفين ٣ / ٢٠٦
× × ×

٩) ترجمة اظهار الاسرار

لزين الدين محمد بن بير علي بن اسكندر البركلي المعروف بيركلي المتوفى سنة ٩٨١ هـ / ١٥٧٢ م .
وهي ترجمة تركية لكتاب المؤلف الذي وضعه باللغة العربية
نسخة جيدة كتبت بخط التعليق ترقى الى القرن ١٢ هـ / ١٨ م
الرقم : ٣٩٤١٦
القياس : ص ٥ ر ٢١ × ١٤ سم ١٤س

الاعلام ٦ / ٦١ طبعت النسخة العربية اكثر من مرة
× × ×

١٠) تشييد القواعد

لابي الثناء شمس الدين محمود بن عبد الرحمن بن احمد الشافعي(٣) المتوفى سنة ٧٤٩ هـ / ١٣٤٩ م .
وهو شرح على كتاب تجريد الكلام في تحرير عقائد الاسلام لنصير الدين محمد بن محمد الطوسي المتوفى سنة ٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ م .
رتبه المؤلف على ترتيب الاصل في ستة مقاصد هي : المقصد الاول في الامور العامة ، المقصد الثاني في الجواهر والاعراض ، المقصد الثالث في اثبات الصانع وصفاته المقصد الرابع في النبوة المقصد الخامس في الامامة المقصد السادس في المعاد وقد سمي هذا الشرح كذلك بتجريد العقائد .
نسخة جيدة كتبها بخط التعليق محمد كيلاني ترقى الى القرن الحادي عشر للهجرة السابع عشر للميلاد عليها حواش وشروح ناقصة الاول حيث تبدأ بالمقصد الثاني .
الرقم : ٣٩٣٠٥
القياس : ٥١٠ ص ٢٣ × ١٢ سم ١٧س
المصادر : معجم المؤلفين ١٢ / ١٧٣ الاعلام ٧ / ١٧٦ الذريعة ٣ / ٣٥٢ كشف ١ / ٣٤٥
× × ×

١١) تفسير القرآن الكريم

لم يعلم اسم المؤلف
وهو تفسير صوفي للقرآن الكريم .
نسخة جيدة ناقصة الاول كتبت بخط النسخ الجيد بالمدادين الاسود والاحمر مؤطرة الصفحات كتبها محمد جعفر بن سيد شاه محمد .
الرقم ، ٣٩٦٩٢
القياس : ٨٢٠ ص ٢١ × ١٢ سم ٣٤ س
× × ×

١٢) تفسير القرآن الكريم

لاحمد بن يوسف بن الحسن بن شويدان الشيباني الشافعي الكواشي(٤) الموصلي المتوفى سنة ٦٨٠ هـ / ١٢٨١ م .
نسخة جيدة كتبت بخطي الثلث والنسخ الجيد تتضمن المجلد الاخير من التفسير تبدأ بسورة الرحمن ترقى الى القرن ٨ هـ / ١٤ م في اولها تملك لعمر الهيناوي سنة ١٢١٦هـ / ١٨٠١ م . وأحمد شاكر الالوسي ، طالع فيها عبد الرزاق الرمضان .
الرقم : ٣٩٣١٦
القياس : ٤٦٤ ص ٢١ × ١٦ سم ١٧ س

الاعلام ١ / ٢٧٤ معجم المؤلفين ٢ / ٢٠٩

x x x

١٣) تفصيلَ الزنجاني .

لملا علي بن شيخ حامد الاشنوي

الاول : (الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آله اجمعين . وهو تفصيل على التصريف العربي للزنجاني المتوفى سنة ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ م . ووضعه المؤلف بعد ان الف كتاب شرح التصريف لتكملة التعريف الزنجاني وجعل هذا الكتاب شرحاً وتفصيلاً لذلك التكميل .

نسخة جيدة كتبت بخط النسخ الدارج في مدرسة مولانا علي سنة ١١١٥ هـ ١٧,٣ م عليها حواش وشروح كثيرة ومقابلة على نسخة اخرى

الرقم : ٢٩١٥٢ / ٢

القياس : ٩٦ ص ٢١ x ١٦ سم ١٩ س

x x x

١٤) التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية واسرارها

لزين الدين بن احمد العاملي المتوفى سنة ٩٦٦ هـ / ١٥٥٩ م

الاول : (الحمد لله المطلع على من اختار من عباده الاخيار ...)

وهو كتاب في الفرائض وواجباتها اليومية والتنبيهات على اسرارها . فرغ منه المؤلف سنة ٩٥١ هـ / ١٥٤٤ م ورتبه على مقدمة وفصول وخاتمة .

نسخة جيدة ناقصة قليلاً من الاخر ترقى الى القرن ١١ هـ / ١٧ م

الرقم ٣٩٢٦١ / ٢

القياس ١٢٠ ص ١٩ x ١٣ سم ١٥ س

الاعلام ٣ / ٦٤ الذريعه ٤ / ٤٥٢ طبع في ايران سنة ١٣٠٠ هـ

x x x

١٥) تنوير الابصار وجامع البحار في الفقه الحنفي

محمد بن عبد الله بن احمد الخطيب التعرتاشي الغزي الحنفي(٥) المتوفى سنة ١٠٠٤ هـ / ١٥٩٦ م

الاول : (الحمد لله الذي احكم احكام الشرع الشريف واعلا مناره ...) نسخة جيدة كتبت بخط التعليق بالمدادين الاسود والاحمر مؤطرة الصفحات بمداد احمر عليها حواش وشروح في اولها فهرس بابواب الكتاب .

الرقم ٣٩٣٢٣

القياس ٤٢٢ ص ٢١,٥ x ١٥ سم ١٦ س

كشف ١ / ٥٠١ معجم المؤلفين ١٠ / ١٩٦ الاعلام ٦ / ٢٣٩ معجم ٦٤٢ طبع

x x x

١٦) جريدة الفرائض

عبد الرحيم افندي منتشي زادة المتوفى سنة ١١٢٨ هـ / ١٧١٥ م

الاول : (الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله ...) وهو كتاب في الفرائض وقسمة المواريث بالتركية والعربية .

كتبها بخط التعليق مصطفى بيك في بغداد سنة ١٢٥٨ هـ / ١٨٤٢ م

الرقم ٣٩٢٤٥

القياس ٢٢٧ ص ٢١,٥ x ١٥,٥ سم ٢١ س

فهرس كوبريلي ٣ / ٦٠، ٦٣

١٧) جواهر الفرائض .

لم يعلم المؤلف .

اعلم انه اذا مات الانسان اول ما يبدأ من تركته بتكفينه

نسخة جيدة كتبت بخط التعليق ترقى الى القرن ١٢ هـ / ١٨ م

الرقم . ٣٩٢٥٤ / ١

القياس : ٦ ص ٢٠ x ١٣ سم ١٩ س

x x x

١٨) الجوهرة الفاخرة في احوال الاخرة(٦)

لابي حامد محمد بن محمد الغزالي حجة الاسلام المتوفى سنة ٥٠٥ هـ / ١١١١ م .

الاول (الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه اجمعين وبعد قد جاء في الخبر ان الله تعالى خلق شجرة ولها اربعة اغصان فسماها شجرة اليقين ثم خلق نور نبيه محمد ...) .

نسخة جيدة ترقى الى القرن ١٢ هـ / ١٨ م في اخرها قصيدة .

الرقم : ٣٩٣٠١

القياس : ١١٨ ص ٢١,٥ x ١٥ سم ١٧ س

معجم المؤلفين ١١ / ٢٦٦ الاعلام ٧ / ٢٢

x x x

١٩) حاشية على انوار التنزيل .

لسعد الله بن عيسى المعروف بسعدي جلبي(٧) المتوفى

سنة ٩٤٥ هـ / ١٥٣٨ م
وهي حاشية على انوار التنزيل واسرار التاويل لناصر الدين البيضاوي نسخة جيدة كتبت بخطي التعليق والنسخ .
تتضمن الجزء الثاني من الحاشية ترقى الى القرن ١١ هـ / ١٧ م
الرقم : ٣٩١٥٣
القياس : ٢٤٦ ص ٥ , ٢٠ × ١٥ سم ١٩ س
معجم المؤلفين ٤ / ٢١٦ كشف ١ / ١٩١ الاعلام ٣ / ٨٨
× × ×

٢٠) حاشية على شرح حكمة العين

لم يعلم المؤلف .. ولعلها للسيد الشريف الجرجاني المتوفى ٨١٦ هـ / ١٤١٤ م .
وهي حاشية على شرح مبارك شاه البخاري على حكمة العين للقزويني المتوفى ٦٧٥ هـ / ١٢٧٧ م .
نسخة جيدة كتبت بخط التعليق على ورق ترمة بالمدادين الاسود والاحمر عليها بعض الحواشي ترقى الى القرن ١١ هـ / ١٧ م .
الرقم : ٣٩١٥٤
القياس : ٢٢٢ ص ٥ , ٢٠ × ١٣ سم ٢٥ س
كشف ١ / ٦٨٥ معجم المؤلفين ٧ / ١٥٩
× × ×

٢١) حاشية على الفوائد الضيائية .

لعبد الحكيم بن محمد شمس الدين الهندي السيالكوتي[٨] المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ / ١٦٥٦ م .
(يا من هو مصدر الكلمات وافعالها ومبدأ العوامل واعمالها ...)
والفوائد الضيائية لعبد الرحمن احمد الجامي النقشبندي المتوفى سنة ٨٩٨ هـ / ١٤٩٢ م . شرح فيها المؤلف كتاب الكافية في النحو لابن الحاجب المتوفى سنة ٦٤٦ هـ / سنة ١٢٤٩ م نسخة جيدة كتبت بخط النسخ ترقى الى القرن ١٠ هـ / ١٦ م عليها وقفية لمحمود افندي على المدرسة الفرهادية .
الرقم : ٣٩١٤٩
القياس : ٢٧١ ص ٥ , ٢٢ × ٥ , ١٦ سم ٢٥ س
معجم المؤلفين ٥ / ٩٥ كشف ٢ / ١٣٧٢
× × ×

٢٢) حاشية على قواعد الاعراب

لشهاب الدين احمد بن محمد الزرقاني المالكي النحوي كان حياً سنة ٩٦٥ هـ / ١٥٥٨ م .
الاول : (الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اسعد المرسلين ...)
وهي حواش تتعلق بمقدمة الاعراب عن قواعد الاعراب لعبد الله بن يوسف بن هشام الانصاري المتوفى سنة ٧٦٢ هـ / ١٣٦٠ م وقد تناول الشارح النص : اقول ولم يجعله ممزوجاً .
نسخة جيدة كتبت بخط النسخ الدارج سنة ١١١٥ هـ / ١٧٠٣ م على يد محمد بن محمد بن احمد
الرقم : ٣٩١٥٩
القياس : ١٤٧ ص ٥ , ٢٠ × ١٤٥ سم ٢٥ س
المصادر : معجم المؤلفين ٢ / ١٠٢
× × ×

٢٣) حاشية على موصل الطلاب الى قواعد الاعراب .

لم يعلم اسم المؤلف
وموصل الطلاب لخالد بن عبد الله الازهري المتوفى ٩٠٥ هـ / ١٤٩٩ م وهو كتاب مشهور بعلم النحو .
نسخة جيدة لعلها بخط المؤلف كتبت بالمدادين الاسود والاحمر ترقى الى القرن ١٠ هـ / ١٦ م
الرقم : ٣٩١٧٦
القياس : ١٩٢ ص ٢١ × ١٥ سم ٢٥ س
× × ×

٢٤) حدائق الدقائق في شرح رسالة علامة الحقائق

لسعد الدين بن سعد الله البردعي
وهو شرح على كتاب الانموذج في النحو لجار الله الزمخشري المتوفى ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م
نسخة عليها حواش وشروح ناقصة الطرفين
الرقم : ٣٩٢٥٧
القياس : ٨٢ ص ٢٠ × ٥ , ١٥ سم ١٢ س
ذ / كشف ٢ / ٣٩٥ الكشف ١ / ١٨٤
× × ×

٢٥) الحدائق الناظرة في احكام العترة الطاهرة

لابن عصفور يوسف بن احمد بن ابراهيم البحراني[٩] المتوفى سنة ١١٨٦ هـ / ١٧٧٢ م .
الاول : (الحمد لله الذي هدانا بواضح الدليل الى سبيل معادن العلم والتاويل ...) وهو كتاب في الفقه الاستدلالي مرتب حسب اصول الفقه تناول فيه مباني الاحكام والفرق بين الاخباري والاصولي
نسخة جيدة تتضمن المجلد الثامن من الكتاب يرقى الى القرن ١٢ هـ / ١٨ م
الرقم : ٣٩٢٦٣
القياس : ٤٦٠ ص ٣٠ × ٢٠ سم ٢٩ س

المصادر: الاعلام طبع ٨/ ٢١٥ الذريعة ٦/ ٢٩٠

× × ×

٢٦) خلاصة الحساب

لبهاء الدين محمد بن الحسين العاملي المتوفى ١٠٣١ هـ/ ١٦٢٢ م.

وهي رسالة في الحساب تقع في عشرة ابواب وخاتمة.

نسخة جيدة كتبت بخط النسخ على يد يوسف بن عبد الله الجزائري كتبها في الهند في حيدر آباد عليها حواشٍ وشروحات كثيرة

الرقم: ٣٩٣٠٦/ ٢

القياس: ٤٦ ص ٢١,٥ × ١٤ سم ١٥ س

معجم المؤلفين ٩/ ٢٤٢ الذريعة ٧/ ٢٢٤ - ٢٢٥ معجم المطبوعات ١٢٦٣

× × ×

٢٧) خلاصة فقه كيدان

للطف الله النسفي المعروف بالفاضل الكيداني الحنفي المتوفى في حدود سنة ٩٠٠ هـ/ ١٤٩٤ م.

الاول: (الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله وصحبه اجمعين ثم اعلم ان العبد مبتلًا بين ان يطيع الله تعالى ...)

نسخة جيدة كتبت بخط النسخ ترقى الى القرن ١٢ هـ/ ١٨ م

الرقم: ٣٩٢٤٦/ ٢

القياس: ١٦ ص ٢١ × ١٥ سم ١١ س

طبع بعنوان فقه كيدان معجم ١٥٨٠ معجم المؤلفين ٨/ ١٥٦ المخطوطات الفقهية ص ٩٤.

× × ×

٢٨) الخلاف في الاحكام.

لمحمد بن الحسن بن علي الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ/ ١٠٦٧ م.

وهو كتاب في مسائل الخلاف في الفقه على المذاهب الاربعة والمذهب الجعفري. وقد رتبه على ابواب الفقه.

نسخة جيدة كتبت بخط النسخ ترقى الى القرن ١٢ هـ/ ١٨ م.

الرقم: ٣٩٢٧٦

القياس: ٥٩٠ ص ٣٠ × ٢٨ سم ٢٩ س

الذريعة ٧/ ٢٣٥ الاعلام ٦/ ٨٤

× × ×

٢٩) الدر المختار في شرح تنوير الابصار وجامع البحار

لعلاء الدين محمد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن الحصني الحصكفي المتوفى سنة ١٠٨٨ هـ/ ١٦٧٧ م.

وهو شرح على كتاب تنوير الابصار وجامع البحار في الفقه الحنفي لشمس الدين محمد بن عبد الله التمرتاشي الغزي الحنفي المتوفى سنة ١٠٠٤ هـ/ ١٥٩٥ م

نسخة جيدة كتبها عمر بن عبد القادر الاعظمي سنة ١٢٣٠ هـ/ ١٨١٤ م عليها حواش وشروح تتضمن مجلدا من الكتاب يبدأ بكتاب البيوع.

الرقم: ٣٩٤١٨

القياس: ٦١٢ ص ٢١ × ١٥ سم ٢١ س

طبع معجم ٧٧٩ معجم المؤلفين ١٠/ ١٩٦ كشف ١/ ٥٠١ ذ/ كشف ١/ ٤٤٧.

× × ×

٣٠) درر الحكام شرح غرر الاحكام.

كلاهما لمحمد بن فراموز بن علي الرومي المعروف بالملاخسرو المتوفى سنة ٨٨٥ هـ/ ١٤٨٠ م.

الاول: (الحمد لله الذي احكم احكام الشرع القويم بمحكم كتابه، واعلى اعلام الدين ....).

نسخة نفيسة كتبت بخط النسخ الجيد عليها مقابلة وتعليقات ترقى الى القرن ١١ هـ/ ١٧ م في اولها فهرس للكتاب.

الرقم: ٣٩٢٥٠

القياس: ٦٥٦ ص ٢٧,٥ × ١٨ سم ٢٧ س

المصادر: كشف ٢/ ١١٩٩ معجم المؤلفين ١١/ ١٢٢ طبعت معجم ١٧٩٠

× × ×

٣١) ذات الشفا في سيرة المصطفى.

لمحمد بن محمد الجزري الشافعي المتوفى سنة ٨٣٣ هـ/ ١٤٢٩ م.

قال محمد هو ابن الجزري

الحمد للمهيمن المقتدر والشكر لله على ما قد هدى من سيرة النبي احمد

نسخة جيدة كتبت بخط النسخ سنة ١٢١٩ هـ/ ١٨٠٤ م، في آخرها فوائد ومنقولات.

الرقم: ٣٩١٥٥/ ٢

القياس: ٨٨ ص ١٦ × ١١ سم ٦ س

معجم المؤلفين ١١/ ٢٩١ طبع

× × ×

٣٢) الرحمة في الطب والحكمة

لمحمد مهدي بن علي بن ابراهيم الصنبري اليمني المقري،

المتوفى سنة ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م .

وهو مختصر في الطب رتبه المؤلف على خمسة ابواب في علم الطبيعة والثاني في صنائع الاغذية والادوية والثالث فيما يصلح للبدن في حالة الصحة الرابع في علاج الامراض الخاصة الخامس في علاج الامراض العامة .

نسخة جيدة ترقى الى القرن ١١ هـ / ١٧ م عليها بعض التعليقات في آخرها رسالة في مجربات حاتم جلبي الطبية باللغة الفارسية .

الرقم : ٣٩٢٧٢

القياس : ١٣٨ ص ١٦ × ١٠,٥ سم ١٥ س

كشف ١ / ٨٣٦ طبع بهامش التذكره للقليوبي بمصر سنة ١٣٠٠ هـ - ١٣٠٢ هـ معجم ١١٩٨ ذ / بروكلمان ٢ / ٢٥٢ فهرس الطب ١٢٩

× × ×

٣٣) رسالة في آداب المريدين

لم يعلم المؤلف

(اللهم خلصنا عن الاشتغال بالملاهي وارنا حقائق الاشياء كما هي وامكنها في الاوامر والنواهي ...)

وهي رسالة في بيان آداب المشيخة والمريدين والطالبين .

نسخة جيدة كتبت باكثر من قلم كتبها محمد امين بن محمد عبد الله الهيتي الحنفي سنة ١١٨٥ هـ / ١٧٧١ م

الرقم : ٣٩٣٠٧

القياس : ١١٢ ص ١٥,٥ × ١٠,٥ سم ١٥ س

× × ×

٣٤) رسالة في الاصول .

للحسن بن اسماعيل الحسيني الحائري الذي كان حياً سنة ١٣٠٦ هـ / ١٨٨٩ م وهي رسالة في اصول الفقه ومسائله على المذهب الامامي ، وربما تكون مستلة من احد كتب المؤلف الذي له شرح التبصرة ، الفقه الذي يقع في عدة مجلدات .

كتبها بخط النسخ علي بن محمد مهدي الخراساني سنة ١٣٠٤ هـ ١٨٨٧ م

الرقم : ٣٩٢٤٩ / ٢

القياس : ١٤٢ ص

الذريعة ١٣ / ١٣٤ معجم المؤلفين ٣ / ٢٠٦

× × ×

٣٥) رسالة في الادعية

لم يعلم المؤلف

الاول : (الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ...) . رسالة في الادعية والاذكار .

نسخة حديثة كتبت بخط درج مؤطرة بمداد اسود .

الرقم : ٣٩٢٦٢

القياس : ٢٤ ص ١٨ × ١١ سم ١١ س

× × ×

٣٦) الرسالة الحنفية في الآداب

لمحمد بن محمد البردعي المتوفى سنة ٩٢٧ هـ / ١٥٢١ م

وهي شرح على الرسالة العضدية في آداب البحث والمناظرة . نسخة جيدة كتبت بخط النسخ ترقى الى القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي .

الرقم : ٣٩٤١٧

القياس : ٤٨ ص ١٧ × ١٢ سم ١٩ س

معجم المؤلفين ١١ / ٢٧٢ هدية العارفين ٢ / ٢٢٩

× × ×

٣٧) الزبدة في شرح البردة

لخالد بن عبد الله الازهري المتوفى ٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م

الاول (حمداً لله مستحقاً التحميد والتكبير والتسبيح والصلاة والسلام على سيدنا ....)

وهو شرح على قصيدة البردة لشرف الدين محمد البوصيري لتوضيح الفاظها واعراب ابياتها وبيان معانيها .

فرغ منها الشارح سنة ٩٠٣ هـ / ١٤٩٧ م .

كتبت بخط النسخ الدارج بالمدادين الاسود والاحمر على يد صادق تقع ضمن مجموع كتب سنة ١١١٥ هـ / ١٧٠٣ م

الرقم : ٣٩١٥٢ / ٣

القياس : ٦٤ ص ٢١ × ١٦ سم ١٩ س

كشف ٢ / ١٣١٣ معجم المؤلفين ٩٦ / ٤ طبعت معجم ٨١٢

× × ×

٣٨) سلسلة الطريقة القادرية .

لم يعلم اسم المؤلف

الاول (قل يا عبادي الذين اسرفوا لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً ....)

هو كتاب في الطريقة القادرية كتب بخط النسخ الجيد في اخره الاوراد الفتحية في الادعية والاذكار

الرقم : ٣٩٤١٥

القياس : ٥٤ ص ١٧ × ١٠ سم ٨ص

× × ×

٣٩) شرح جمع الجوامع

لجلال الدين محمد بن احمد بن محمد ابراهيم المحلي المتوفى سنة ٨٦٤ هـ / ١٤٥٩ م .

الاول : (الحمد لله على افضاله والصلاة والسلام على سيدنا

محمد وآله ، هذا ما اشتدت اليه حاجة المتفهمين ....)
وهو شرح على جمع الجوامع في اصول الفقه للسبكي المتوفى سنة ٧٧١ هـ/ ١٣٦٩ م . نسخة نفيسة كتبت بخط النسخ الجيد سنة ١٢٢٤ هـ/ ١٨٠٩ م عليها مقابلة على نسخة داود افندي لعبد الرحمن افندي مؤرخة سنة ١٢٢٥ هـ/ ١٨١٠ م

الرقم : ٣٩٢٤١

القياس : ٤٥٦ ص ٥, ٢١ x ١٥ سم ١٥ س

كشف ١ / ٥٩٥ طبع معجم ١٦٢٤ معجم المؤلفين ٨ / ٣١١ ٦ / ٢٢٥

x x x

٤٠) شرح ديباجة المحرر .
حسين شيفكي

الاول (الحمد لله حمداً كثيراً على افضاله وانعامه والصلاة والسلام ...)
وهو شرح على ديباجة المحرر للرافعي ابو القاسم المتوفى سنة ٦٢٣ هـ/ ١٢٢٦ م . في الفقه الشافعي .
نسخة جيدة كتبت بالمدادين الاسود والاحمر .

الرقم : ٣٩١٥٢ / ١

القياس : ٢٢ ص ٢١ x ١٦ سم ١٩ س

x x x

٤١) شرح رسالة الوضع

لعصام الدين ابراهيم بن عرب شاه الاسفرائيني المتوفى سنة ٩٤٥ هـ/ ١٥٣٨ م .
الاول : (الحمد لله والصلاة على محمد وآله واصحابه اجمعين ...) والرسالة الوضعية لعضد الدين الايجي
كتبت بخط النسخ الدارج على يد عثمان بن رمضان بن ابراهيم سنة ١٢١٠ هـ/ ١٧٩٥ م .

الرقم : ٣٩١٤٧

القياس : ١٦٨ ص ٢٢ x ١٦ سم ١١ س

الاعلام ١ / ٦٦ معجم المؤلفين ١ / ١٠١

x x x

٤٢) شرح شرائع الاسلام في مسائل الحلال والحرام

لم يعلم اسم الشارح
يتضمن هذا المجلد جزء من شرح كتاب شرائع الاسلام في مسائل الحلال والحرام لجعفر بن الحسن المعروف بالمحنف الحلبي المتوفى سنة ٦٧٦ هـ/ ١٢٧٧ م .
نسخة جيدة كتبت بخط النسخ الدارج والشرح غير ممزوج تناوله الشارح بكلمة قوله كتبت بمداد احمر .. عليها حواش وشروح كثيرة وتذبيبات بين السطور وجزازات بين الاوراق ترقى الى القرن ١١ هـ/ ١٧ م .

الرقم : ٣٩١٤٤

القياس : ٢٧ ص ٢١ x ١٦ سم ٢٧ س

معجم المؤلفين ٣ / ١٣٧

x x x

٤٣) شرح شواهد مغني اللبيب عن كتب الاعاريب

لم يعلم الشارح .
ومغني اللبيب عن كتب الاعاريب في النحو لعبد الله بن يوسف بن هشام النحوي المتوفى سنة ٧٦١ هـ/ ١٣٥٩ م
وقد شرحت شواهده شروحاً صغيرة وكبيرة لعدد من الاعلام .
تناول الشارح الابيات الشعرية وشرحها عروضياً ومعناها ولغتها واعرابها
نسخة جيدة ناقصة الاول كتبت الابيات بخط الثلث والشرح . بخط النسخ الدارج واللغة والمعنى والاعراب كتبت بمداد احمر ترقى الى القرن ١٢ هـ/ ١٨ م

الرقم : ٣٩١٤٥

القياس : ١٥٨ ص ٢٠ x ١٥ سم ٢١ س

كشف الظنون ٢ / ١٧٥٢

x x x

٤٤) شرح العوامل لسعد الله الصغير

الاول : (بسم الله اي باستعانة اسم الله نبتدأ الكتاب فالجار والمجرور صلة نبتدأ المقدر مؤخراً ليفيد تقديم الصلة ...)
والعوامل في النحو لعبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني المتوفى سنة ٤٧٤ هـ/ ١٠٨١ م .
نسخة جيدة كتبها بخط النسخ احمد بن محمد بن مصطفى ابن عوض سنة ١١٧٤ هـ/ ١٧٦٠م عليها حواشٍ وشروح .

الرقم : ٣٩١٤٣

القياس : ٣٢ ص ٢٠ x ١٣ سم ١٧ س

x x x

٤٥) شرح الفرائض الاشنهية

لعبد الرحمن بن محمد بن ابراهيم الرشيدي المصري زين الدين المتوفى سنة ٨٠٣ هـ/ ١٤٠٠ م .
والفرائض الاشنهية لابي الفضل عبد العزيز بن علي الاشنهي الشافعي المتوفى في حدود سنة ٥٥٠ هـ/ ١١٥٥ م .

الرقم : ٣٩٢٧٥

القياس : ٢٥٤ ص ٢١ x ١٥ سم ٢١ س

كشف ٢ / ١٢٤٥ - ١٢٤٦ معجم المؤلفين ٥ / ١٦٦

x x x

٤٦ - شرح فرائض الحبل المتين

بهاء الدين محمد بن الحسين بن عبد الصمد العاملي المتوفى سنة ١٠٣١ هـ/ ١٦٢٢ م
الاول : (الحمد لله رب العالمين الذي لا يحيط بجميع محامد نعمه عدد العادلين ولم يدرك وصف ...)
وهو شرح على القسم الرابع من كتاب الحبل المتين لنفس المؤلف بالمواريث ويسمى هذا الشرح ايضاً بالفرائض البهائية نسخة جيدة كتبت بالمدادين الاسود والاحمر.
الرقم : ٣٩٣٠٦ / ١
القياس : ٢٢ ص ٢١,٥ × ١٤ سم ٢٣ س
كشف ٢ / ٧٥١ م الذريعة ٦ / ٢٤٠ معجم المؤلفين ٩ / ٢٤٢

× × ×

٤٧) شرح كتاب في الفقه

لم يعلم اسم المؤلف
مرتب على ابواب الفقه . كتب القسم الاول من هذه النسخة بخط النسخ الجيدة بالمدادين الاسود والاحمر . يرقى الى القرن ١١ هـ/ ١٧ م والقسم الاخير بخط احدث من الاول .
الرقم : ٣٩٣١٢
القياس : ٢٧٦ ص ٢٦ × ١٦ سم ٢٤ س

× × ×

٤٨) شرح مراح الارواح

لشمس الدين احمد ديكقوز المتوفى سنة ٨٥٥ هـ/ ١٤٥١ م .
الاول : (اللهم يامصرف القلوب ، صرف قلوبنا نحو رضائك وصلي لمن اوتي جوامع الكلم من بين ...)
وهو شرح على مراح الارواح في النحو لاحمد بن علي بن مسعود من اعيان القرن ٨ هـ/ ١٤ م .
نسخة نفيسه كتبت بخط التعليق بالمدادين الاسود والاحمر مؤطرة الصفحات بمداد احمر سنة ١٠٣٨ هـ/ ١٦٢٨ م عليها حواش وشروح . وتملك مؤرخ ١٠٧٠ هـ/ ١٦٥٩ م
الرقم : ٣٩١٤٢
القياس : ١٩٨ ص ٢٠ × ١٤,٥ سم ١٩ س
كشف ٢ / ١٦٥١

× × ×

٤٩) شرح المعلقات السبع

لم يعلم اسم الشارح
والمعلقات السبع مجموعة القصائد المشهورة لشعراء العرب امرؤ القيس ، طرفه بن العبد ، زهير بن ابي سلمى ، لبيد بن ربيعة ، عنترة بن شداد ، عمرو بن كلثوم ، الحارث بن حلزة .
هذه النسخة ناقصة ورقة من الاول كتبت صفحتها الاولى بخط حديث . وكذلك الصفحة الاخيرة تضمنت قصيدة اخرى بخط حديث ، والشرح كتب بخط النسخ الدارج عليه مقابلة وتصحيح يرقى الى القرن ١١ هـ/ ١٧ م .
الرقم : ٣٩٢٦٤
القياس : ٢٢٦ ص ٢٢ × ١٥ سم ١٨ س
كشف ٢ / ١٧٤٠

× × ×

٥٠) شرح المنظومة الهاملية

لابي بكر بن علي الحدادي الحنفي المتوفى في حدود سنة ٨٠٠ هـ/ ١٣٩٧ م
والمنظومة الهاملية لابي بكر بن علي بن موسى الهاملي الحنفي اليمني سراج الدين المتوفى سنة ٧٦٩ هـ/ ١٣٦٨ م . نظم فيها كتاب بداية المبتدي في فروع الحنفية لابي الحسن علي ابن ابي بكر المرغيناني الحنفي المتوفى سنة ٥٩٣ هـ/ ١١٩٧ م .
نسخة جيدة كتبت بخط النسخ بالمدادين الاسود والاحمر ترقى الى القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي عليها مقابلة ، ووقفية لمحمد سعيد بن جواد الدوربي على مدرسة نائله خاتون سنة ١٢٠٩ هـ/ ١٧٩٤ م
الرقم : ٣٩٢٦٧
القياس : ٣٦٢ ص ٢٠,٥ × ١٤,٥ سم ٢١ س
طبع معجم ١٧٣٩ كشف ١ / ٢٢٨ ، معجم المؤلفين ٧ / ٤٥
كشف ٢ / ١٨٦٨

× × ×

٥١) شروط الصلاة

لم يعلم اسم المؤلف .
الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة والسلام على الرسول محمد وعلى آله واصحابه اجمعين باب شروط الصلاة . وهي ثمانية الاولى الوضوء ...)
نسخة جيدة كتبت بخط النسخ ترقى الى القرن ١٢ هـ/ ١٨ م .
الرقم : ٣٩٢٤٦ / ٣
القياس : ١١٣ ص ٢١ × ١٥ سم ١١ س

× × ×

٥٢) الشكرية

لم يعلم اسم المؤلف
وهو شرح على مقصود في علم الصرف المنسوب للامام ابي

حنيفة النعمان بن ثابت المتوفى ١٥٠ هـ/ ٧٦٧ م وقيل لغيره .

الاول (الحمد لمن شرف العلوم وروج بضاعتها واعز طالبها وثمن اسلعتها وجعل الصرف مربياً لها وصرافاً بجوهر الباهرة .... اما بعد فان اقرب العلوم فائد ...) .

نسخة جيدة كتبت بخط النسخ على يد احمد اغا بن عبد الله سنة ١٢٢٩ هـ/ ١٨١٣ م

الرقم : ٣٩١٤١

القياس : ١٥١ ص ٢١ × ١٦ سم ١٧ س

× × ×

٥٣) ضوء المصباح

لتاج الدين محمد بن محمد بن احمد الاسفرائيني المتوفى ٦٨٤ هـ/ ١٢٨٥ م

وهو شرح على المصباح في النحو لناصر الدين بن عبد السيد المطرزي المتوفى سنة ٦١٠ هـ/ ١٢١٣ م .

نسخة جيدة كتبت بخط التعليق الجيد على ورق ابيض واصفر مؤطرة الصفحات بمداد احمر عليها حواش وشروح كثيرة وتنبيهات بين السطور تملكها محمود باجةجي زادة .

الرقم : ٣٩١٣٨

القياس : ٢٧٠ ص ٢١ × ١٤ سم ١٥ س

معجم المؤلفين ١١/ ١٨٠ كشف ٢/ ١٧٠٨ طبع الاعلام ٧/ ٣١ .

× × ×

٥٤) الضياء

لم يعلم اسم المؤلف

ويتضمن هذا المجلد الجزء الخامس من الكتاب يحتوي على ٤٨ بابا وهو كتاب في الفقه والاحكام وما يتعلق بها ويورد المؤلف بالاضافة الى النصوص القرآنية الكريمة والاحاديث النبوية الشريفة واراء الفقهاء بعض الشواهد الشعرية المناسبة .

كتبه ناصر بن سليمان بن صالح بن سعيد بن شيرين عبيدان سنة ١٢٤٢ هـ/ ١٨٢٦ م .

وقد كتب الناسخ في آخر هذه النسخة بيتين من الشعر نصهما :

كتبت وقـد ايقنت يـومـا كتبتـه
بـأن يـدي تفنى ويبقى كتـابهـا
فيـا قارئاً خطي سـل الله رحمـة
لكـاتبـه المـدفـون تحت تـرابهـا

تم الكتاب تكاملت حال السرور لصاحبه .

الرقم : ٣٩٢٥٦

القياس : ٦٠٠ ص ٢٢ × ١٥,٥ سم ١٧ س

× × ×

٥٥) ضياء المعنوية على المقدمة الغزنوية

لابي البقاء محمد بن احمد بن الضياء بن محمد القرشي العمري[10] الحنفي المتوفى ٨٥٤ هـ/ ١٤٥٠ م .

الاول : (الحمد لله الذي رزقنا الهداية في البداية ومنحنا العناية في النهاية احمده ان جعلنا سكان حرمه وقطان محل امنه وكرمه ... وبعد فان اصحاب الامام الاعظم المجتهد المقدم ابي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي (رض) ...)

وهو شرح على المقدمة الغزنوية في فروع الحنفية لاحمد بن محمد الغزنوي المتوفى سنة ٥٩٣ هـ/ ١١٩٦ م . وهو تاليف في العبادات رتب على ثمانية ابواب في طلب العلم واربعة فصول في مناقب الامام ابي حنيفة وفصول اخرى في الفقه الحنفي .

شرع المؤلف بتاليفه سنة ٨٢٤ هـ/ ١٤٢٠ م وفرغ منه سنة ٨٤٥ هـ/ ١٤٤١ م

نسخة نفيسة كتبت بخط النسخ الجيد ترقى الى القرن ١١ هـ/ ١٧ م في اولها فهرس لموضوعات الكتاب

الرقم : ٣٩٢٥٢

القياس : ٨٠٠ ص ٢٩,٥ × ٢٠ سم ٢٥ س

كشف ٢/ ١٨٠٢ - ١٨٠٣ الاعلام ٥/ ٣٣٢

× × ×

٥٦) عدة المعاد

لابن سيد الناس محمد بن محمد اليعمري الاندلسي[11] المتوفى سنة ٧٣٤ هـ/ ١٣٣٤ م الاول :

(قلبي بكم يـا اهيل الحي مـشغـول
وحبلـه بامساني الوصـل موصـول)

وهي منظومة في عروض قصيدة بانت سعاد لزهير ابن ابي سلمى المتوفى سنة ٢٦ هـ/ ٦٤٥ م (الاعلام ٥, ٢٢٦)

الرقم ٣٩٢٧٤/ ٤

القياس : ٢٠ ص ٥/ ٢٠ × ١٤,٥ سم ١٢ س

معجم المؤلفين ١١/ ٢٦٩ الاعلام ٧/ ٣٤

× × ×

٥٧) عقائد النسفي

لنجم الدين عمر بن محمد بن احمد النسفي المتوفى سنة ٥٣٧ هـ/ ١١٤٢ م

وهي مقدمة مشهورة في العقائد وضعت عليها شروح وحواش كثيرة .

نسخة جيدة ترقى الى القرن ١١ هـ/ ١٧ م .

الرقم : ٣٩٢٥٤/ ٤

القياس : ٣٣ ص ٢٠ × ١٣ سم ١٩ س

الاعلام ٥/ ٦٠

× × ×

٥٨) عمدة السالك وعدة الناسك

لشهاب الدين ابي العباس احمد بن لؤلؤ المصري المعروف بابن النقيب[١٢] المتوفى سنة ٧٦٩ هـ/ ١٢٦٨ م

الاول :

(الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين ، هذا مختصر على مذهب الامام ...) وهو كتاب في الفقه الشافعي رتبه المؤلف على ابواب الفقه .

نسخة جيدة كتبت بخط النسخ عليها حواش وشروح كثيرة ترقى الى القرن العاشر الهجري القرن السادس عشر الميلادي

الرقم : ٣٩٣٠٤

القياس : ٢٦١ ص ٥ ، ٢١ × ١٥ سم ١٥ س

طبع معجم ٢٦٩ كشف ٢ / ١١٦٧ الاعلام ١ / ٢٠٠ معجم المؤلفين ٢ / ٥٥

× × ×

٥٩) العوامل المائة

لعبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني الشافعي المتوفى سنة ٤٧١ هـ/ ١٠٧٨ م

الاول :

(الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله اجمعين ...)

نسخة جيدة كتبها عبد الكريم بن حسن بن محمد في قرية ابا بامرني في التكية الخالدية النقشبندية سنة ١٣٥٧ هـ/ ١٩٣٨ م

في اول هذه النسخة رسالة في المولد النبوي الشريف

الرقم : ٣٩٣٢٤

القياس : ٣١ ص ٢٠ × ١٥ سم ٩ س

معجم المؤلفين ٥ / ٣١٠ كشف ٢ / ١١٧٩ ذخائر التراث ١ / ٤٤٨ طبع اكثر من مرة .

× × ×

٦٠) غريب القرآن

لابي بكر محمد بن عزيز السجستاني العزيزي[١٣] المتوفى سنة ٣٣٠ هـ/ ٩٤١ م

الاول :

(الحمد لله رب العالمين ، والصلاة على محمد وآله وصحبه اجمعين ...)

وهو كتاب في تفسير غريب القرآن الكريم رتبه المؤلف على حروف المعجم ، وقد سمي هذا الكتاب كذلك بنزهة القلوب وفرحة المكروب ، قيل ان المؤلف قضى في تصنيفه خمسة عشر عاماً .

كتب هذه النسخة بخط التعليق الجيد محمد رضا الرشتي سنة ١٢٤٧ هـ/ ١٨٣١ م عليها حواش وشروح وتعليقات .

الرقم : ٣٩٢٥٩

القياس : ٥٢ ص ٢٠ × ١٥ سم ٢٧ س

كشف ٢ / ١٢٠٨ الاعلام ٦ / ٢٦٨ ذخائر التراث ١ /

× × ×

٦١) غنائم الايام فيما يتعلق بالحلال والحرام

لابي القاسم بن محمد حسين (حسن) القمي الجيلاني[١٤] المتوفى سنة ١٢٣١ هـ/ ١٨١٦ م

وهو كتاب في الفقه الاستدلالي الامامي . رتبه المؤلف على اربعة اقسام ، الا انه انجز القسم الاول منه والمتعلق بالطهارة والعبادات .

نسخة جيدة لعلها كتبت بخط المؤلف

الرقم : ٣٩٣١٠

٤٣٢ ص ٥ ، ٢٢ × ١٧ سم ٣٠ س

طبع في ايران سنة ١٣١٩ هـ/ ١٩٠١ م الذريعة ١٦ / ٦٣ الاعلام ٥ / ١٨٣ معجم المؤلفين ٨ / ١١٦

× × ×

٦٢) غنية المتملي في شرح منية المصلي

لابراهيم بن محمد بن ابراهيم الحلبي الحنفي المتوفى سنة ٩٥٦ هـ/ ١٥٤٩ م

وهو شرح على منية المصلي للكاشغري . وللمؤلف عدة شروح على المنية ويسمى هذا الشرح بالشرح الكبير فرغ منه المؤلف سنة ٩٢٢ هـ/ ١٥١٦ م

نسخة جيدة مؤطرة الصفحات ترقى الى القرن ١١ هـ/ ١٧ م اكمل الصفحات الاخيرة عبد الحميد بن احمد الحديثي سنة ١٢٩٩ هـ/ ١٨٨١ م

الرقم : ٣٩٢٦٠

القياس : ٦٠٨ ص ٢٠ × ١٢ سم ١٧ س

كشف ٢ / ١٨٨٦ معجم المؤلفين ١ / ٨٠ ، ١١ / ٢٤٩ الاعلام ١ / ٦٦ - ٦٧ طبع اكثر من مرة ذخائر التراث ١ / ٢٥

× × ×

٦٣) الفتاوى الانقروية .

لشيخ الاسلام محمد بن الحسين الانقروي او الانكوري[١٥] المتوفى سنة ١٠٩٨ هـ/ ١٦٨٧ م

وهي فتاوى في الفقه الحنفي

نسخة جيدة تتضمن المجلد الثاني من الكتاب الذي يبدأ بالشهادات . كتبها بخط التعليق الدارج عبد الرحمن باجقجي زادة لخزانة والي بغداد . تملك هذه النسخة علي القادري نقيب الاشراف وخادم السجادة القادرية سنة ١٢٧١ هـ/ ١٨٥٤ م

الرقم ٣٩٢٤٧

القياس ٦٣٤ ص ٥ ، ٢٠ × ١٧ سم ٢٩ س

معجم المؤلفين ٩ / ٢٣٤ الاعلام ٦ / ١٠٣ طبعت اكثر من مرة ذخائر التراث ١ / ٣٦٠

× × ×

٦٤) الفتاوى الزينية

لزين الدين بن ابراهيم بن محمد المصري المعروف بابن نجيم[١٦] المتوفى سنة ٩٧٠ هـ/ ١٥٦٢ م
الاول :
(حمداً لمن ابرز العالم على احسن ترتيب ونظام ....)
وتعرف هذه الفتاوى بفتاوى ابن نجيم .
نسخة جيدة كتبت بخط النسخ ترقى الى القرن ١١ هـ/ ١٧ م تملكها ابراهيم الحلبي ومراد بن محمد شيخ خلاويه .
الرقم : ٣٩٣١٩
القياس ٢٢٤ ص ٢٠ × ١٤,٥ سم ١٩ س
معجم المؤلفين ٤/ ١٩٢ كشف ٢/ ١٢٢٣ ذخائر التراث ١/ ٢٦٠ طبعت الاعلام ٣/ ٦٤

× × ×

٦٥) الفوائد الضيائية

لنور الدين عبد الرحمن بن احمد الجامي النقشبندي[١٧] المتوفى سنة ٨٩٨ هـ/ ١٤٩٢ م
الاول :
(الحمد لوليه والصلاة على نبيه وعلى آله واصحابه المتأدبين بآدابه ...)
وهو شرح لخص فيه المؤلف معظم شروحات الكافيه في النحو لابن الحاجب وقد سماها كذلك بفوائد وافية لحل مشكلات الكافية
نسخة جيدة كتبت بخط النسخ ترقى الى القرن ١١ هـ/ ١٧ م عليها حواش وشروح كثيرة وتذبيبات بين السطور ناقصة الاخر
الرقم : ٣٩١٤٨
القياس : ١٣١ ص ٢٠ × ١٥,٥ سم ١١ س
كشف ٢/ ١٣٧٢ الاعلام ٣/ ٢٩٦ طبعت اكثر من مرة ذخائر التراث ١/ ٤٤٥ .

× × ×

٦٦) القاموس المحيط والبابوس الوسيط

لمحمد بن يعقوب بن محمد بن ابراهيم الفيروز آبادي[١٨] المتوفى سنة ٨١٧ هـ/ ١٤١٤ م
رتبه المؤلف على حروف الهجاء باعتبار اواخر الكلمات .
نسخة جيدة كتبت الكلمات بالاحمر والاصفر والاخضر والاسود وبخط الثلث ومعانيها بخط النسخ . وقد كتبت هذه النسخة سنة ١٠٥٤ هـ/ ١٦٤٤ م عليها مقابلة وتصحيح مؤرخ سنة ١٢٠٤ هـ/ ١٧٨٩ م
الرقم : ٣٩١٥٧
القياس : ٤٥٢ ص ٣٠ × ٢٠ سم ٣١ س
كشف ٢/ ١٣٠٦ الاعلام ٧/ ١٤٦

× × ×

٦٧) قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر

لمحمد يحيى بن يوسف الربعي التاذفي الحنفي[١٩] المتوفى سنة ٩٦٣ هـ/ ١٥٥٦ م
الاول : (الحمد لله الذي فتح لاوليائه طرق الهدى واجرى على ايديهم انواع الخيرات ونجاهم من الردى ... وبعد فاني لما طالعت التاريخ المعتبر في انباء من غبر تاريخ قاضي القضاة عبد الرحمن العلمي العمري المقدسي الحنبلي تغمده الله برحمته وجدت المؤلف قد اختصر ترجمة سيدنا ومولانا وشيخنا وقدوتنا الى الله تعالى الشيخ عبد القادر الجيلي ...)
ضمنه المؤلف ترجمة واسعة عن الشيخ عبد القادر الكيلاني وكراماته واخبار جماعة من المنتسبين اليه من القاطنين بحماة وغيرهم .
نسخة جيدة كتبت بخط الرقعة سنة ١٢٧٥ هـ/ ١٨٥٨ م عليها تعليقات وحواش مؤطرة الصفحات بمداد احمر .
الرقم : ٣٩٢٧٣
القياس : ٢٤٠ ص ١٩ × ١٤ سم ٢١ س
معجم المؤلفين ١٢/ ١١٣ الاعلام ٧/ ١٤٠ ذخائر التراث ١/ ٤٠٦

× × ×

٦٨) القوانين المحكمة

للميرزا ابي القاسم بن محمد حسن الجيلاني القمي المتوفى سنة ١٢٣١ هـ/ ١٧٣٧ م
وهو كتاب في اصول الفقه الامامي فرغ منه المؤلف سنة ١٢٠٥ هـ/ ١٧٩٠ م
كتبها بخط النسخ الجيد عبد العلي بن عبد الله الخلخالي سنة ١٢٥٨ هـ/ ١٨٤٢ م دفتا الغلاف من الجلد البني عليه زخارف ملونه
الرقم : ٣٩٢٥١
المقياس : ٤٠٢ ص ٣٣ × ١٨ سم ١٧ س
الذريعة ١٧/ ٢٠٢ معجم المؤلفين ٨/ ١١٦ الاعلام ٥/ ١٨٣ طبع معجم ٧٢٦

× × ×

٦٩) قيد الشرائد ونظم الفرائد

لامين الدين عبد الوهاب بن احمد بن وهبان الدمشقي الحنفي المتوفى سنة ٧٦٨ هـ/ ١٣٦٧ م
الاول :
(بدائتنا بالحمد لله اجدر
وما ليس مبدؤ به فهو ابتر
وتسليمنا بعد الصلاة مؤكداً
على احمد المختار في الذكر ينشر)

وهي منظومة رائية من بحر الطويل في فروع الفقه الحنفي تقع في الف بيت ، وللمؤلف شرح عليها سماه عقد القلائد في حل قيد الشرائد ضمنها غرائب المسائل الفقهية

نسخة جيدة ترقى الى القرن ١٢ هـ / ١٨ م عليها حواش وتعليقات

الرقم : ٣٩٣٢١

القياس: ٨٤ ص ٥ , ٢١ × ١٧ سم ١٥ س

كشف ٢ / ١٨٦٥ معجم المؤلفين ٦ / ٢٢٠ الاعلام ٤ / ١٨٠

× × ×

٧٠) كتاب في الفتاوى

لم يعلم اسم المؤلف

وهي مجموعة فتاوى في الفقه الحنفي على شكل اسئلة واجوبة رتبها المؤلف على ابواب الفقه

نسخة جيدة ناقصة ورقة واحدة من الاول كتبت سنة ١٢١٩ هـ / ١٨٠٤ م

الرقم : ٣٩٣١٥

القياس: ٢٢٤ ص ٢١ × ١٥ سم ١٨ س

× × ×

٧١) كتاب في المواعظ والحكم

لم يعلم اسم المؤلف

كتب بخط النسخ الدارج سنة ١٢٤٦ هـ / ١٨٣٠ م

الرقم : ٣٩٢٥٨

القياس: ١٢٨ ص ٢١ × ٥ , ١٥ سم ٢٠ س

× × ×

٧٢) كنز الدقائق

لابي البركات عبد الله بن احمد بن محمود المعروف بحافظ الدين النسفي المتوفى سنة ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م

الاول : -

(لما رأيت الهمم مائلة الى المختصرات والطباع راغبة عن المطولات اردت ان الخص الوافي بذكر ما عم وقوعه وكثر وجوده ...)

وهو مختصر على كتاب المؤلف الموسوم بالوافي الذي شرحه وسماه الكافي

نسخة جيدة ترقى الى القرن ١١ هـ / ١٧ م ناقصة قليلاً من الاخر

الرقم ٣٩٣٢٠

القياس ٢٢٠ ص ٢٢ × ١٦ سم ١٥ س

معجم المؤلفين ٦ / ٣٢ ذخائر التراث ٢ / ٨٧٨ طبع اكثر من مرة

× × ×

٧٣) مجموع في تفسير القرآن الكريم

لم يعلم اسم الجامع

تضمن هذا المجموع قطعة من تفسير سور وآيات قرآنية كريمة نقلت من تفاسير مختلفة كتفسير ابي الليث وغيره كما تضمن فوائد في الادعيه والاذكار والاحاديث

نسخة كتبت بخط دارج كتب في آخرها فوائد تاريخية وتولدات بعضها مؤرخ سنة ١٢٦٣ هـ / ١٨٤٦ م

الرقم ٣٩٣١٤

القياس ١٩٨ ص ٢١ × ١٦ سم ٢٩ س

× × ×

٧٤) مجموع في الفتاوى

لحبيب بن عبد الرزاق الذي كان حياً سنة ١٢٤٥ هـ / ١٨٢٩ م

وهي فتاوى منقولة من كتب الفقه وكتب الفتاوى المعروفة كالخيرية والبزازية والعماديه وغيرها . في اولها فهرس كتب بخط المؤلف سنة ١٢٤٥ هـ / ١٨٢٩ م

الرقم ٣٩٣١٣

القياس ٢٨٠ ص ٢٠ × ١٦ سم ١٢ س

× × ×

٧٥) مجيب الندا في شرح قطر الندا وبل الصدا

لجمال الدين عبد الله بن احمد بن علي الفاكهي الشافعي[٢٠] النحوي المتوفى سنة ٩٧٢ هـ / ١٥٦٥ م

الاول : (الحمد لله الرافع من انخفظ بعزه وسلطانه ، المفيض على من نحاه وقصده سحايب عفوه وغفرانه ...)

وهو شرح على قطر الندا وبل الصدا في النحو لابن هشام الانصاري المتوفى سنة ٧٦٢ هـ / ١٣٦٠ م

نسخة نفيسة كتبت بخط المؤلف سنة ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م في اولها ابيات للشافعي كتبها (محمد عبد العال البرياقوس)

الرقم : ٣٩١٥١

القياس: ٢٤٧ ص ١٨ × ١٣ سم ١٧ س

كشف ٢ / ١٣٥٢ معجم المؤلفين ٦ / ٢٨ ذخائر التراث ١ / ٢٦٩ الاعلام ٤ / ٦٩

× × ×

٧٦) مختصر غنية المتملي شرح منية المصلي

كلاهما لابراهيم بن محمد بن ابراهيم الحلبي المتوفى سنة

٩٥٦ هـ / ١٥٤٩ م
الاول : (الحمد لله الذي جعل العبادة مفتح السعادة ومطمح السيادة ...)
كتبت بخط النسخ الدارج ترقى الى القرن الحادي عشر للهجرة السابع عشر للميلاد ناقصة قليلا من الاخر .
الرقم ٣٩٣٠٣
القياس ٤٩٣ ص ٣٢ × ١٥ سم ١٣ س
معجم المؤلفين ١ / ٨٠ كشف ٢ / ١٨٨٦ ، ١٨٨٧ طبع

بعنوان شرح منية المصلي معجم ١٣
x x x

٧٧) مختصر القدوري

لابي الحسين احمد بن محمد بن جعفر بن حمدان البغدادي المعروف بالقدوري[٢١] المتوفى سنة ٤٢٨ هـ / ١٠٣٧ م
الاول : (الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آله الطاهرين ...)
وهو مختصر مشهور في الفقه الحنفي
نسخة جيدة ترقى الى القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي
الرقم ٣٩٣٢٢
القياس ٢٨٢ ص ١٩,٥ × ١٤,٥ سم ١٥ س
كشف ٢ / ١٦٣١ معجم المؤلفين ٢ / ٦٦ الاعلام ١ / ٢١٢ طبع اكثر من مرة ذخائر التراث ٢ / ٧٥٤
x x x

٧٨) نسخة اخرى

جيدة الخط عليها حواش وشروح ترقى الى القرن الحادي عشر للهجرة السابع عشر للميلاد
الرقم ٣٩٢٦٦
القياس ٣٦٦ ص ٢٢,٥ × ١٦ سم ٩ س
x x x

٧٩) نسخة اخرى

كتبها مصطفى بن ملا احمد سنة ١١٨٢ هـ / ١٨٦٥ م
الرقم ٣٩٢٧١
القياس ٤١٤ ص ٢٢ × ١٦ سم ١١س
x x x

٨٠) المختصر النافع

لنجم الدين جعفر بن الحسن بن يحيى المحقق الحلي[٢٢] المتوفى سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م
الاول : (الحمد لله الذي صغرت في عظمته عبادة العابدين وحصرت عن شكر نعمته السنة الحامدين وقصرت عن وصف كماله افكار العالمين ...)
وهو كتاب في الفقه الامامي ويسمى ايضاً بالنافع في مختصر الشرائع
نسخة جيدة كتبها بخط النسخ احمد بن جمال الدين سنة ٩٦٧ هـ / ١٥٥٩ م عليها تعليقات وشروح وحواش في اولها فهرس لمحتويات الكتاب
الرقم ٣٩٢٤٣
القياس ٣٥٥ ص ١٩ × ١٢ سم ١٥ س
الذريعة ٢٠ / ٢١٣ الاعلام ٢ / ١٢٣ ذخائر التراث ٢ / ٨١٧ طبع اكثر من مرة .
x x x

٨١) مسكن الفؤاد عند فقد الاحبة والاولاد

لزين الدين بن علي بن احمد العاملي المتوفى سنة ٩٦٦ هـ / ١٥٥٠ م
الاول : (الحمد لله الذي قضى بالفناء والزوال على جميع عباده وانفذ امره فيهم على وفق كلمته ومراده ...)
وهي رسالة وضعها المؤلف بعد وفاة ولده سنة ٩٥٤ هـ / ١٥٤٧ م ورتبها على مقدمة وابواب وخاتمة
نسخة جيدة حديثة الخط ناقصة الاخر .
الرقم ٣٩٢٦١ / ٣
القياس ١٧٦ ص ١٩ × ١٣ سم ١٤ س
الذريعة ٢١ / ٢٠ الاعلام ٣ / ٦٤ ذخائر التراث ١ / ٦٢٤ طبع في العراق .
x x x

٨٢) المطالب السنية للفتاوى العنية

لحامد بن علي بن ابراهيم بن عبد الرحيم العمادي الدمشقي الحنفي[٢٣] المتوفى سنة ١١٧١ هـ / ١٧٥٨ م
وهي مجموعة من الفتاوى في الفقه الحنفي رتبت على ابواب الفقه ، وثقها المؤلف على الاصول التي اعتمد عليها . في اولها فهرس بابواب الكتاب .
نسخة جيدة لعلها بخط المؤلف
الرقم ٣٩٣٢٦
القياس ٣٩٢ ص ٣٣,٥ × ١٠,٥ سم ٥٦ س
معجم المؤلفين ٣ / ١٨٠ ذ / كشف ٢ / ٤٩٥
x x x

٨٣) مطالع الانظار

لابي الثناء محمود بن عبد الرحمن الاصفهاني المتوفى سنة ٧٤٩ هـ / ١٣٤٩ م

وهي شرح على طوالع الانوار في علم الكلام لناصر الدين البيضاوي المتوفى سنة ٦٨٥ هـ/ ١٢٨٦ م وضعه الشارح للملك الناصر محمد بن قلاوون

نسخة نفيسة كتبها عبد الرحمن بن محمد صاوجي سنة ٨٠٤ هـ/ ١٤٠١ م

الرقم ٣٩٢٤٨

القياس ٢٦٢ ص ١٨,٥ x ١٢,٥ سم ٢١ س

كشف ٢ / ١١١٦ معجم المؤلفين ١٢ / ١٧٢ الاعلام ٧ / ١٧٦ طبع

x x x

٨٤) المطول

لسعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني المتوفى سنة ٧٩٣ هـ/ ١٣٩٠ م

الاول : (الحمد لله الذي الهمنا حقائق المعاني ودقائق البيان وخصصنا ببدائع الايادي وروائع الاحسان ...)

وهو شرح على تلخيص المفتاح للقزويني المتوفى سنة ٧٣٩ هـ/ ١٣٣٨ م الواقع على مفتاح العلوم للسكاكي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨ م فرغ منه الشارح سنة ٧٤٨ هـ/ ١٣٤٧ م

نسخة جيدة ترقى الى القرن ١١ هـ/ ١٧ م

الرقم ٣٩١٥٨

القياس ٣٠٨ ص ٣٠ x ٢٠ سم ٢٥ س

كشف ١ / ٤٧٤ الاعلام ٧ / ٢١٩ ذخائر التراث ١ / ٤١٣ طبع .

x x x

٨٥) معجم لغوي تركي

لم يعلم اسم المؤلف

رتب على ابواب .

كتبه بخط التعليق الجيد يحيى بن فخر الدين بن يحيى الحسيني الموصلي سنة ١١٣٩ هـ/ ١٧٢٦ م

الرقم ٣٩١٤٠

القياس : ١٧٥ ص ٢١ x ١٥ سم ١٩ س

x x x

٨٦) المفاتيح في شرح المصابيح

لمظهر الدين حسين بن محمود بن حسن الزيداني[٢٤] المتوفى سنة ٧٢٧ هـ/ ١٣٢٧ م

الاول : (احمد الله ... اما بعد فقد الح علي زمرة خلاني وثلة خلصاني ان اشرح كتاب المصابيح ...)

وهو شرح على مصابيح السنة للبغوي المتوفى سنة ٥١٦ هـ/ ١١٢٢ م اورد فيه اصطلاحات اهل الحديث

نسخة جيدة ترقى الى القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي

الرقم ٣٩٢٦٩

القياس ٤٢١ ص ٢٨ x ٢٢ سم ٢٩ س

الاعلام ٢ / ٢٥٩ كشف ٢ / ١٦٩٩ معجم المؤلفين ٤ / ٦٠

x x x

٨٧) مفتاح السعادة

لكمال الدين بن ايايش الشرواني

الاول : (الحمد لله رب العالمين والعاقبه للمتقين والصلاة على خير خلقه محمد خاتم النبيين وعلى جميع الانبياء والمرسلين وعلى آلهم واصحابهم اجمعين ، وبعد فاني رأيت ان انواع العلوم كثيرة ...)

وهو كتاب في الفقه اختار فيه المؤلف مسائل الصلاة والصوم والاضحية ومسائل الكفر والكراهية والزكاة والحج والايمان والتوبه . ورتبه على ابواب حسب موضوعاته .

نسخة جيدة كتبت بخط التعليق الجيد ترقى الى القرن ١٢ هـ/ ١٨ م

الرقم ٣٩٢٤٤

القياس ٧٠٠ ص ٢٢ x ١٦ سم ١٧ ، ١٤ س

كشف ٢ / ١٧٦١

x x x

٨٨) المقاصد النافعة

لمحيي الدين يحيى بن شرف النووي الشافعي المتوفى سنة ٦٧٦ هـ/ ١٢٧٧ م

الاول : (الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين ...)

وهي رسالة في التوحيد رتبها المؤلف على سبعة مقاصد وخاتمة .

نسخة جيدة كتبت سنة ١٣٠٧ هـ/ ١٨٨٩ م تملكها احمد بن سيد مصطفى القادري كليدار الحضرة القادرية

الرقم ٣٩٣١٨

القياس ٣٩ ص ٢٤ x ١٤ سم ٩ س

الاعلام ٨ / ١٤٩ ذخائر التراث ٢ / ٨٨٩ طبع

x x x

٨٩) المقدمة الاجرومية

لابي عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي المعروف بابن آجروم[٢٥] المتوفى سنة ٧٢٣ هـ/ ١٣٢٣ م

الاول : (الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع واقسامه ثلاثة :

اسم وفعل وحرف ...)

كتبت بخط النسخ الدارج ترقى الى القرن ١٣ هـ/ ١٩ م

الرقم ٣٩١٦٠

القياس ١٠٨ ص ٢٨ × ٢٠ سم ٤ س

معجم المؤلفين ١١ / ٢١٥ طبعت اكثر من مرة بعنوان (الاجرومية) ذخائر التراث ١ / ٢٦ - ٢٧ الاعلام ٧ / ٣٣

x x x

٩٠) مقدمة في الصلاة

لابي الليث نصر بن محمد بن احمد السمرقندي[٢٦] المتوفى سنة ٣٩٣ هـ/ ١٠٠٣ م

الاول : (الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان الا على الظالمين والصلاة والسلام على خير البرية محمد وآله واصحابه اجمعين ...)

نسخة جيدة ترقى الى القرن ١٢ هـ/ ١٨ م

الرقم ٣٩٢٤٦ / ١

القياس ١١٢ ص ٢١ × ١٥ سم ١١ س

معجم المؤلفين ١٣ / ٩١ الاعلام ٨ / ٢٧

x x x

٩١) مقصود في علم الصرف

منسوب للامام الاعظم ابي حنيفة النعمان بن ثابت المتوفى سنة ١٥٠ هـ/ ٧٦٧ م

الاول : (الحمد لله الوهاب للمؤمنين سبيل الصواب والصلاة والسلام على نبيه محمد الزاجر عن الاذناب ... اما بعد فان العلوم العربية وسيلة الى العلوم الشرعية ...)

نسخة جيدة كتبها محمد صالح بن علي الاعظمي امام جامع الحيدرخانه سنة ١٢٨٧ هـ/ ١٨٧٠ م

الرقم ٣٩٣٠٢

القياس : ٢٨ ص ٥ , ٢٠ × ١٤ سم ١٧ س

الاعلام ٨ / ٣٦ كشف ٢ / ١٨٠٦

x x x

٩٢) مكارم الاخلاق في طاعة الخلاق

لعبد الرحمن بن جواد

الاول : (الحمد لله الذي رفع السماء فعلاها وزينها بالزهرات وبالقمر ... اما بعد فهذا كتاب في المواعظ ...)

وهو كتاب في المواعظ وطلب العلم والطبائع والصدقات والادعيه وبعض الاحكام الشرعية التقطها المؤلف من مصادر عديدة ورتبها على ثلاثة وثلاثين درساً ، وهو الجزء الاول من الكتاب .

كتبت بخط المؤلف عليها استدراكات وتصحيحات وشروح بخط المؤلف

الرقم ٣٩٣١١

القياس ٢٢٦ ص ٣٤ × ٥ , ٢١ سم ٣٠ س

x x x

٩٣) منتهى امل الاديب من الكلام عن مغني اللبيب

لاحمد بن محمد بن علي الحلبي الحصكفي المعروف بابن الملا[٢٧] المتوفى في حدود ١٠٠٣ هـ/ ١٥٩٥ م

وهو شرح على كتاب مغني اللبيب عن كتب الاعاريب لعبد الله بن يوسف بن هشام النحوي المتوفى سنة ٧٦٢ هـ/ ١٣٦٠ م

نسخة نفيسة كتبت بخط النسخ ترقى الى عصر المؤلف ناقصة ورقة واحدة من الاول وقليلاً من الاخر .

الرقم ٣٩١٥٠

القياس ٧٩٦ ص ٥ , ٢٠ × ١٥ سم ٣١ س

معجم المؤلفين ٢ / ١٣٣ الاعلام ١ / ٢٣٥ كشف ٢ / ١٧٥٢ لم يطبع

x x x

٩٤) منظومة في الاستعارات

لمحمد معروف بن مصطفى بن احمد النودهي البرزنجي المتوفى سنة ١٢٥٤ هـ/ ١٨٣٨ م

الاول :

(لذاتك المحامد الوفيه
ثم على نبيك التحيه
من فضله استعير كل فضل
وآله اولي الهدى والاهل

وهي منظومة على رسالة الاستعارات لابي الليث السمرقندي . في آخرها منظومة في آداب البحث والمناظرة

الرقم ٣٩٢٧٤ / ١

القياس ١٧ ص ٥ , ٢٠ × ٥ , ١٤ سم ١٢ س

الاعلام / ٧ / ١٠٥ معجم المؤلفين ١٢ / ٤١

x x x

٩٥) منظومة في علم الوضع

لمحمد معروف بن مصطفى بن احمد النودهي البرزنجي[٢٨] المتوفى سنة ١٢٥٤ هـ/ ١٨٣٨ م

الاول :

(احمد ذا العرش مصلياً على
محمد وآله ذوي العلا)

وهي منظومة على الرسالة العضدية في علم الوضع لعبد الرحمن بن احمد الايجي المتوفى سنة ٧٥٦ هـ/ ١٣٥٥ م

الرقم ٣٩٢٧٤ / ٢

القياس ٧ ص ٥, ٢٠ × ٥, ١٤ سم ١٢ س
كشف ١ / ٨٩٨ الاعلام ٧ / ١٠٥ معجم المؤلفين ١٢ / ٤١

× × ×

٩٦) منظومة في علم العروض .

لمحمد معروف بن مصطفى بن احمد النودهي البرزنجي المتوفى سنة ١٢٥٤ هـ / ١٨٣٨ م
الاول :
قـــال محمـــد حسيني النسب
الحمـــد للهـــادي الى علم الادب
ثم الصـــلاة والســـلام ابـــدا
على النبي الهـــاشمي احمـــدا)
الرقم ٣٩٢٧٤ / ٣
القياس ٩ ص ٥, ٢٠ × ٥, ١٤ سم ١٢ س
الاعلام ٧ / ١٠٥ معجم المؤلفين ١٢ / ٤١

× × ×

٩٧) المنهاج القويم

لابي العباس احمد بن محمد بن حجر الهيتمي المتوفى سنة ٩٧٣ هـ / ١٥٦٦ م
الاول : (الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ويكافيء مزيده ...)
وهو شرح على المقدمة الحضرمية في الفقه الشافعي لعبد الرحمن الحضرمي المتوفى سنة ٩١٨ هـ / ١٥١٢ م (معجم المؤلفين ٦ / ٦٨)
نسخة جيدة كتبت سنة ١٢٣٦ هـ / ١٨٢٠ م عليها حواش وشروح
الرقم ٣٩٢٧٠
القياس ٥٢٢ ص ٢٠ × ١٥ س ١٩ س
كشف ٢ / ٥٤٣ معجم المؤلفين ٢ / ١٥٢

× × ×

٩٨) موصل الطلاب الى قواعد الاعراب

لخالد بن عبد الله الازهري الجرجاوي المتوفى سنة ٩٠٥ هـ / ١٤٩٩ م
الاول : (الحمد لله الملهم لحمده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله وعبده وعلى آله وجنده ...)
وهو شرح على قواعد الاعراب لنفس المؤلف
نسخة جيدة كتبها عبد الله بن عباس الجاكيري البغدادي الماتريدي سنة ١١١٨ هـ / ١٧٠٦ م في آخرها دعاء للشيخ عبد القادر الكيلاني ، عليها تملك لمحمد علي علاء الدين بن عبد الرحمن مؤرخ سنة ١٢٤٢ هـ / ١٨٢٦ م ومحمد نافع بن محمد سعيد مفتي بغداد سنة ١٢٧٧ هـ / ١٨٦٠ م
الرقم ٣٩١٣٩
القياس : ١١٠ ص ٥, ٢١ × ٥, ١٥ سم ١٥ س
كشف ١ / ١٢٤ الاعلام ٢ / ٢٩٧

× × ×

٩٩) نتائج الافكار

لمصطفى بن حمزة بن ابراهيم الحنفي المعروف بالاطه‌لي[٢٦] الذي كان حياً سنة ١٠٨٥ هـ / ١٦٧٤ م
الاول : (الحمد لله الذي جعل الالفاظ قوالب المعاني وفضلها على سائر الاصوات لنظم درر حروف المباني ...)
وهو شرح على اظهار الاسرار في النحو لمحمد بن پير علي المعروف ببركوي المتوفى سنة ٩٨١ هـ / ١٥٧٢ م
فرغ منه الشارح سنة ١٠٨٥ هـ / ١٦٧٤ م
نسخة جيدة مذهبة الاول كتبت بخط النسخ ترقى الى القرن ١٢ هـ / ١٨ م
الرقم ٣٩١٤٦
القياس ٢٣٩ ص ٥, ٢١ × ١٥ سم ٢١ س
معجم المؤلفين ١٢ / ٢٤٩ الاعلام ٧ / ٢٣٢

× × ×

■ الهوامش ■

(١) ولد في مرسية بالاندلس سنة ٥٦٠ هـ / ١١٦٥ م وانتقل الى اشبيلية وزار بلاد الروم والحجاز والعراق ومصر واستقر بدمشق وتوفي فيها . الشيخ الاكبر ، فيلسوف من أئمة المتكلمين في كل علم ، قدوة القائلين بوحدة الوجود كما يقول الذهبي له نحو (٤٠٠) كتاب ورسالة منها الفتوحات المكية ، فصوص الحكم ، التوقيعات ، محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار ، عنقاء مغرب ... وغيرها

(٢) الطف المؤلف هذه الرسالة من كتاب مصباح المشكاة لاحمد بن عبد الله بن المتوج البحراني المتوفى سنة ٨١٠ هـ / ١٤٠٧ م معجم المؤلفين ١ / ٣٠٠ .

(٣) ولد وتعلم باصبهان سنة ٦٧٤ هـ / ١٢٧٦ م مفسر منطقي فلسفي لغوي رحل الى دمشق واعجب به ابن تيمية ثم انتقل الى القاهرة واصبح من مشايخها وتوفي فيها من آثاره : تفسير القرآن ، شرح فصول النسفي ، مطالع الانظار في شرح طوالع الانوار وغيرها

(٤) وهو عالم مفسر وينسب الى كواشة وهي قلعة في الموصل في شمال العراق . من كتبه تبصرة المتذكر في التفسير وكشف الحقائق ويعرف بتفسير الكواشي وكتاب التلخيص في تفسير الكتاب العزيز

(٥) ولد في غزة سنة ٩٣٩ هـ / ١٥٣٢ م وتوفي فيها شيخ الحنفية في عصره من آثاره : تنوير الابصار ، منح الغفار ، مسعف الحكام على الاحكام وغيرها .

(٦) لم يرد ذكر لعنوان هذا الكتاب ضمن مؤلفات الغزالي . الا ان في دار صدام نسخة اخرى نسبت للغزالي كما ان للغزالي كتاب الدرة الفاخرة في احوال الاخرة نسخة منها في دار صدام للمخطوطات برقم ١٨٠٨٩ وفي اوقاف الموصل وهي غير هذا الكتاب

(٧) قاضي حنفي من علماء الروم اصله من ولاية قسطموني عمل في التدريس وولي قاضياً في الاستانه وتوفي فيها من آثاره : الفوائد البهية ، حاشية على العنايه . الخ]

(٨) نسبة الى سيالكوت في الهند ، مفسر ، لغوي ، كلامي له تاليف كثيرة منها : كتاب في العقائد ، حاشية على تفسير البيضاوي وغيرها .

(٩) فقيه امامي من اهل البحرين ولد سنة ١١٠٧ هـ / ١٦٩٥ م توفي بكربلاء من آثاره : انيس المسافر وجليس الخواطر ، الدرة النجفية من الملتقطات اليوسفيه وغيرها .

(١٠) فقيه حنفي ولد بمكة المكرمة سنة ٧٨٩ هـ / ١٣٨٧ م وتفقه فيها وولي قضاءها من آثاره : شرح مجمع البحرين في الفقه ، البحر العميق ، تنزيه المسجد الحرام عن بدع جهلة العوام ، النكت على الصحيح في الحديث ، تاريخ مكة والمدينة والقبر الشريف وغيرها

(١١) اصله من اشبيليه ولد بالقاهرة سنة ٦٧١ هـ / ١٢٧٣ م مؤرخ اديب محدث من آثاره : عيون الاثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، بشرى اللبيب في ذكرى الحبيب ، تحصيل الاصابة في تفضيل الصحابة ، المقامات العليه في الكرامات الجليه وغيرها

(١٢) فقيه شافعي ولد بمصر سنة ٧٠٢ هـ / ١٣٠٢ م وتوفي فيها من آثاره : تسهيل الهداية وتحصيل الكفاية ، السراج في نكات المنهاج للنووي ، تشريح المذهب في تصحيح المهذب وغيرها .

(١٣) مفسر اشتهر بكتابه غريب القرآن ، كان مقيماً ببغداد وتوفي بها . قيل ان اسم ابيه (عزيز)

(١٤) ولد بقم سنة ١١٥٠ هـ / ١٧٣٧ م وتوفي فيها له مؤلفات كثيرة بالعربية والفارسية من آثاره : القوانين في الاصول ، الغنائم ، مختصر في الفقه

(١٥) فقيه حنفي من العلماء الاتراك المستعربين ينسب الى أنقرة التي ولد بها . وتعلم بالقسطنطينية وولي قضاءها وقضاء مصر ، ثم عين شيخاً للاسلام وتوفي عن ٧٠ عاماً له الفتاوى الانقروية وتفسير آية الكرسي

(١٦) فقيه حنفي مفتي من علماء مصر . من آثاره : الاشباه والنظائر في اصول الفقه ، البحر الرائق شرح كنز الدقائق ، الرسائل الزينية التي بلغت (١٤) رسالة .

(١٧) ولد في جام (من بلاد ماوراء النهر) سنة ٨١٧ هـ / ١٤١٤ م انتقل الى هراة وتفقه فيها وصحب مشايخ الصوفية حج سنة ٨٧٧ هـ / ١٤٧٢ م وطاف في البلاد العربية والاسلامية وعاد الى هراة وتوفى بها . من آثاره : شرح فصوص الحكم لابن عربي ، الدرر الفاخرة في التصوف ، شرح الرسالة العضدية . وله تاليف باللغة الفارسية .

(١٨) ولد بكازرين من اعمال شيراز وانتقل الى العراق وجال في مصر والشام وبلاد الروم والهند واستقر بزبيد في اليمن سنة ٧٩٦ هـ / ١٣٩٣ م وتوفي فيها من أئمة اللغة والادب والتاريخ والتفسير ، حتى كان مرجع عصره في هذه العلوم ، وولي قضاء زبيد من آثاره : تنوير المقباس في تفسير ابن عباس ، نزهة الاذهان في تاريخ اصبهان ، المغانم المطابة في معالم طابه (القسم الجغرافي) من القاموس المحيط حققه حمد الجاسر ، سفر السعادة في الحديث والسيرة وغيرها

(١٩) ولد في حلب سنة ٨٩٩ هـ / ١٤٩٣ م قاضي حنبلي ، ثم حنفي ، ولي القضاء في رشيد بمصر ثم في حوران بسورية ثم اقام بحلب وتوفي فيها وبها الف قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر وله شرح العروض الاندلسي وغيرهما .

(٢٠) ولد بمكة المكرمة سنة ٨٩٩ هـ / ١٤٩٣ م واقام بمصر وتوفي فيها عالم بالعربية من آثاره : الفواكه الجنية على مقدمة الاجرومية في النحو ، حسن التوسل في آداب الزيارة ، افضل الرسل ، كشف النقاب عن مخدرات ملحة الاعراب ، الحدود النحوية التي استنبط حدود النحو وجمعها في هذا الكتاب وغيرها .

(٢١) ولد ببغداد سنة ٣٦٢ هـ / ٩٧٣ م فقيه حنفي انتهت اليه رئاسة الحنفية في العراق وتوفي في بغداد من آثاره التجريد في الخلاف بين الشافعي وابي حنيفة واصحابه ويقع في سبعة اجزاء المجلة الاول منه في مكتبة شستربتي وله كتاب النكاح .

(٢٢) فقيه امامي ولد سنة ٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م من اهل الحلة كان مرجع الامامية في عصره له علم بالادب من آثاره : شرائع الاسلام في مسائل الحلال والحرام ، المعتبر في شرح المختصر ، نكت النهاية في الفقه وغيره .

(٢٣) ولد بدمشق سنة ١١٠٣ هـ / ١٦٩٢ م وتوفي فيها ، شاعر اديب فقيه من آثاره : مغني المغني عن جواب المستفني ، اتحاف التمرين في بيت الرقمتين ، الاتحاف في شرح خطبة الكشاف ، ديوان شعر . وغيرها .

(٢٤) من العلماء بالحديث ينسب الى صحراء زيدان بالكوفة من ارض العراق من آثاره : فوائد في انواع الحديث ، فوائد في اصول الحديث . المفاتيح في شرح المصابيح .

(٢٥) ولد بفاس سنة ٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ م عالم لغوي اشتهر برسالته الاجرومية . من آثاره : فرائد المعاني في شرح حرز الاماني وهو شرح على الشاطبية وله اراجيز ومصنفات اخرى .

(٢٦) من أئمة الحنفية من الزهاد المتصوفين لقب بامام الهدى من آثاره الكثيرة : تفسير القرآن ، عمدة العقائد ، خزانة الفقه ، بستان العارفين في التصوف ، عيون المسائل ، شرعة الاسلام ، مختلف الرواية ، النوازل من الفتاوى ، دقائق الاخبار وغيرها .

(٢٧) اصله من حصن كيفا واليه نسبته ولد بحلب سنة ٩٢٧ هـ / ١٥٣٠ م وتوفي فيها متأدب من آثاره : عقود الجمان في وصف نبذة من الغلمان ، الروضة الوردية في الرحلة الرومية (وصف فيها رحلته الى القسطنطينية) مختصر تاريخ الذهبي ، الذيل العابق من اقتطاف الشقائق النعمانية وغيرها .

(٢٨) ولد في قرية نودي في السليمانية سنة ١١٦٦ هـ / ١٧٥٣ م من اسرة يتصل نسبها باليد عيسى الحسني وهو باحث لغوي متصوف اديب من آثاره : قطر العارض في علم الفرائض ، تخميس البردة ، فتح المرفق في علم المنطق ، وسيلة الوصول الى علم الاصول وغيرها .

(٢٩) من علماء الترك ، ولد بطرابزون وسكن اسطنبول ، لغوي اديب من آثاره : حاشية على امتحان الاذكياء للبركلي شرح اللب للبيضاوي .

نظرات نقدية في كتاب غرر البلاغة في النظم والنثر للثعالبي

عباس هاني الجراخ

عن دار الشؤون الثقافية العامة ، صدر ببغداد ، عام ١٩٩٨ م كتاب (غرر البلاغة في النظم والنثر) لابي منصور الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) بتحقيق د . قحطان رشيد صالح ، في ١٨٥ صحيفة ، ويضم الكتاب عشرة أبواب ؛ خصص المؤلف الباب العاشر للنصوص الشعرية ، وهو اطولها ، والابواب السابقة للنصوص النثرية ، وقد اختارها بعناية فائقة دلت على ذوق ممتاز ، وانتقاء دقيق .

وهذا الكتاب هو الثاني للثعالبي ، الذي يحققه د . قحطان بعد كتاب : (لُباب الاداب) الذي صدر عن الدار نفسها عام ١٩٨٨ م ، بجزءين ، وهو ـ بهذا ـ يكون قد اسهم في تحقيق اثار الثعالبي ، مع نخبة خيرة من المحققين العراقيين .

واحتفاء بالكتاب الذي إقتنيته يوم صدوره ، أثبت جملة ملاحظات ونظرات نقدية تحقيقية هي خلاصة تتبع واستقراء بذلت فيها الكثير من الوقت والجهد .

وها هي ذي مبسوطة على وفق الفِقَر الاتية :

اولًا : مقدمة الكتاب

كتب المحقق الكريم مقدمة للكتاب شملت الصفحات ٥ ـ ١٨ ، تناول فيها : حياة الثعالبي وشعره ، ومخطوطات الكتاب ، والمقارنة بين غرر البلاغة والايجاز والاعجاز . وهذه الامور الثلاثة سنقف عندها تفصيلًا :

أ ـ حياة الثعالبي وشعره :

تحدث د . قحطان عن الثعالبي وشخصيته وأسلوبه واحكامه النقدية بصورة عامة ومن المعلوم ان الثعالبي ليس شخصاً مجهولًا كي يترجم له ، فما كتبه هنا سبق ان اشبعه الاخرون بتفصيل وتوثيق دقيقين ، كالمرحوم زكي مبارك في (النثر الفني في القرن الرابع) ، و د . محمود عبد الله الجادر في رسالته للماجستير (الثعالبي ناقداً واديباً) ، وهما مرجعان مهمان اعتمد عليهما د . قحطان فكان يستحسن رعاية الاختصار الشديد في ترجمة الثعالبي التي شغلت سبع صحائف ، اما الكلام عن منهجه واسلوبه فلم يشمل (غرر البلاغة) بل استطرد الى كتبه الاخرى !

بل ان هذه المقدمة ليس فيها اي شيء جديد ، بل هو تكرار لما ذكره مترجموه من المحققين فضلًا عن عدم الاشارة الى قوائم اثاره التي صنعوها سواء بالاضافة ام النقد . ومن الامور الاخرى :

١ ـ ورد ص ٧ : (الانيس في غريب التجنيس) .

اقول : هذا الاسم ذكره ابن قاضي شهبة (ت ٨٥١ هـ) في « طبقاته »[1] ، والصواب : (الانيس في غرر التجنيس) ، وقد حققه الاستاذ هلال ناجي في مجلة المجمع العلمي العراقي ، ج ٣٣ ، ١٩٨٢ م ، ثم أعيد نشره ببيروت ، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦ م .

٢ ـ وفي ص ١١ تحدث عن شعره وذكر عمل المرحوم د . عبد الفتاح محمد الحلو في مجلة (المورد) عام ١٩٧٧ م ، ثم استدراك د . محمود الجادر عليه في المجلة نفسها ، الجزء الثالث .

اقول : نشر استدراك د . الجادر في العدد الثالث ، ١٩٧٩ م ، ص ٤٣٤ ـ ٤٤٣ ، واعيد في كتابه : دراسات توثيقية وتحقيقية في مصادر التراث ، ١٩٩٠ ، ص ٢٦٧ ـ ٢٨٨ .

وعلاوة على ذلك فقد فات د . قحطان استدراك مهم للاستاذ هلال ناجي نشر اولًا في مجلة المورد ، مج ١٥ ، العدد ٢ ، ١٩٨٦ م ، ص ١٩٩ ـ ٢١٠ ، وضم ٥٣ مقطوعة ، ثم اعاده ـ

بعد ان اضاف اليه ست مقطوعات في كتاب : المستدرك على صناع الدواوين (ط ١ ، ١٩٩٣ ، ١ / ٤٢ - ٥٨) ، (ط ٢، ١٩٩٨ ، ١ / ٥٢ - ٧١) .

ثم أصدر د . محمود الجادر : (ديوان الثعالبي دراسة وتحقيق ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٩٠ م ، ونشرت مقالاً ضم ملاحظات نقدية ومستدركاً على عمل د . الجادر في مجلة (العرب) ج ١١ - ١٢ ، ٢٠٠٠ م ، ص ٥٤٤ - ٥٥٤ ، ثم طورتها في كتابي (في نقد التحقيق) .

٣ - ص ١٦ : (المنتخل) وهو خطأ مطبعي مصحف ، وصوابه (المنتحل) ، على ما هو مطبوع منه . واحب ان اقول ان الصواب الدقيق هو (المنتخل) - بالخاء المعجمة ، وهو من تاليف ابي الفضل الميكالي ، كما تؤكد ذلك مخطوطة بودليان ، وان الثعالبي اختار بعض ما فيه بكتاب سماه (المنتخب من المنتخل) حتى جاء احمد ابو علي فنشره بعنوان (المنتحل) سنة ١٣١٩ هـ - ١٩٠١ م . هذا وقد حقق د . يحيى الجبوري كتاب (المنتخل) للميكالي (ت ٤٣٦ هـ) ، وصدر عن دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، بجزءين ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .

ب - اسم الكتاب ومخطوطاته :

في الصفحات ١٤ - ١٧ بين المحقق ، تحت عنوان (غرر البلاغة) المخطوطات التي اعتمد عليها من الكتاب ، وهي ثلاث :

١ - مخطوطة دار صدام للمخطوطات ١١٤٨٥ ، ورمز لها بـ (م) .

٢ - مخطوطة مكتبة الاوقاف ٥٦٢٢ ، ورمز لها بـ (آ) .

٣ - مخطوطة برلين ٨٣٤١ ، ورمز لها بـ (ب) .

وقد اكد ان اسم الكتاب في المخطوطة الاولى : (غرر البلاغة في النظم والنثر) ، وفي الثانية (غرر البلاغة) ، وفي الثالثة : (غرر البلاغة في النظم) ، واحال الى بروكلمان .

اقول : كان مناسباً ان يعقد المحقق هذه الصفحات تحت عنوان (مخطوطات الكتاب) كما كان ضرورياً - بل واجباً - اثبات تلك المخطوطات التي اشار اليها بروكلمان[٢] وارقامها ومظنة وجودها .

ثم ان مخطوطة برلين التي رجع اليها المحقق ، ذكر بروكلمان ان اسمها (غرر البلاغة وطرف البراعة) ، وهو اسم يتفق معي د . قحطان انه يختلف عما اثبته ، وهذا الاسم نفسه حملته مخطوطتا مكتبة فيض الله ١٦٧٦ والفاتح ٥٤٣٢ - ٣ .

ويوجد عنوان اخر هو (اللالي والدرر) في مكتبة ايا صوفيا ٣٧٩٥ - ٣٧٩٦ ، وبالعنوان نفسه - فضلاً عن عنوان هو (غرر البلاغة في النظم والبراعة) في المتحف البريطاني ٧٧٥٨ (ثالث ٦) وبطرسبورج ثان ٦٦٦ . علاوة على وجود مخطوطة اخرى للكتاب بعنوان (غرر البلاغة ودرر الفصاحة) في بشير اغا ١٥٠ ، اشار د . قاسم السامرائي الى انه مما الفه لخوارزمشاه[٣] . اما مخطوطة كوبرلي ١٢٩٠ فتحمل عنوان الكتاب المحقق المطبوع نفسه[٤] .

لقد وددنا ان يفصل د . قحطان في امر هذه المخطوطات واسم الكتاب ، واساس اختياره الاسم الذي طبع الكتاب به .

ويلاحظ على المخطوطات الثلاث التي اعتمد عليها :

١ - يفضل اثبات صور المخطوطات (الورقة الاولى والاخيرة لكل منها) ، لما لذلك من دلالة علمية .

٢ - ورد في هوامش الصفحات ٤٢ ، ٦٥ ، ٨١ ، ١٤٠ - ١٤١ ... عبارة « في الاصل » ، ويعني بها مخطوطة دار صدام التي رمز لها بـ (م) ، فلماذا كلمة (الاصل) هذه اذن ؟

٣ - وردت ص ١٧٥ ابيات سقطت منها كلمتان ، فعلق المحقق في هامشين له ، انهما سقطتا من (م) وان « الزيادة من بقية النسخ » . اقول : لا معنى لعبارة المحقق تلك ، فالأولى ان يقول : الزيادة من المخطوطتين الأخريين .

٤ - في النسخ الخطية هذه بعض الاخطاء والاسقاط ساعد كتاب (الاعجاز والايجاز) المحقق في ردمها ، وتقويم منادها ، وخاصة تلك التي تتقدم النصوص الشعرية في اثبات اسم الشاعر ، فمنصور الفقيه ص ١٢٤ ثابت في الاعجاز والايجاز ٢٥٤ ، وابو محمد الحسن بن علي الشاشي ١٥٩ وارد في الاعجاز ٢٤٣ ، وجاء لقبه محرفاً ، وهو ما لم يشر اليه المحقق !

جـ - حقيقة الكتاب :

في الصحيفتين ١٧ - ١٨ كتب المحقق عن : غرر البلاغة وكتاب الاعجاز والايجاز و : عملنا في التحقيق مما خلا منه كتاب الاعجاز والايجاز المطبوع . وخلاصة رأيه ان كتاب غرر البلاغة والاعجاز والايجاز او الايجاز والاعجاز - المطبوعين سنة ١٨٩٧ و ١٣٠١ هـ - ابما لمؤلف واحد ، وانه اهدى (الغرر) للقاضي ابي احمد منصور وانه « المخدوم بهذا الكتاب » ، ولم ترد هذه العبارة في الاعجاز والايجاز ص ٢٢٦ ، مما يعني ان الثعالبي غير عنوان الكتاب ، واهداه الى غيره ، وان كثيرا من النصوص التي وردت في الغرر لم ترد في الاعجاز والايجاز ، كما ان هناك امثلة في الاعجاز لم ترد في الغرر ... قال عباس الجراخ :

هذا هو رأي د . قحطان في الكتاب ، ونعقب على ذلك بالقول :

١ - طُبع الكتاب فضلاً عن الطبعتين المشار اليهما - في الاماكن الاتية :

- نشر فان فلوتن في لندن مع ترجمة لاتينية عام ١٨٤٤ م قطعة

من الاعجاز والايجاز بعنوان (احاسن كلام النبي والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية وملوك الاسلام) : وهو من اختصار الامام فخر الدين الرازي (٦٠٦ هـ) .

ـ عن طبعة اصاف ، صدرت طبعة مصورة قامت بها دار بيان ودار صعب ببيروت ، د . ت ، كما صورتها دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م .

ولعبد اللطيف بن محيي الدين الدمشقي كتاب (منتخب اعجاز الايجاز) ، منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية

٢ ـ أسارع فاقول ان كتاب (غرر البلاغة) هذا هو نسخة من (الاعجاز والايجاز) وليس كما ظن د . قحطان واذا كان د . رزوق فرج رزوق قد كتب مقالة(*) قابل فيها مخطوطة الاوقاف مع الايجاز المطبوع ، وخرج بالنتيجة نفسها ، فاني اؤكد ان د . رزوق لو أتيح له الظفر بالنسختين اللتين رجع اليهما د . قحطان واعني بهما : مخطوطة دار صدام والمخطوطة البرلينية ، لخرج من فوره بالرأي نفسه ، ذلك ان هاتين المخطوطتين خلتا من الزيادات والاوهام التي وقع فيها ناسخ المخطوطة الاوقاف :

وفضلاً عن هذا كله فان دليل د . قحطان على وجود عبارة « المخدوم بهذا الكتاب » في (الغرر) وعدم وجودها في (الاعجاز) يعني ان الثعالبي اهدى الكتابين لشخصين . اقول : هذا الدليل مردود علمياً ، ذلك لانني وجدت العبارة نفسها ، وفي الموضع نفسه واردة في الايجاز ط ١٣٠١ هـ ـ ص ٩٨ . وهذا يؤكد مجدداً ان الكتابين واحد ، ولشخص واحد .

بقي امر الزيادات التي حدثت في الكتاب ، فاقول :

لفت نظري وجود زيادات خطيرة حصرها المحقق ـ مشكوراً داخل عضادتين ، ولقد رأيت انها ليست من اسلوب الثعالبي ولا منهجه ، ذلك ان الكتاب يشبه منهج (التمثيل والمحاضرة) والقسم الثاني من (لباب الاداب) ، ولا ادري كيف جازت تلك النصوص على المحقق الفاضل ، الذي سبق ان خبر المصنف في تحقيقه الكتاب الاخير .

اعود فاقول : ان النصوص هذه كان ناسخ مخطوطة الاوقاف (آ) قد اثبتها معترفاً بذلك ، بقوله : « أحببتُ ان ألحق به بعض الاشعار وما يحسن الحاقه لصغر حجمه » . وهذا الكلام يدل على ان الناسخ اضاف نصوصاً ليست للثعالبي الى النص الاصلي ، وليس الى نهاية المجموع الخطي ، الذي ضم المخطوطة ، كما توهم المحقق والخاص بقصيدة الشبلي ورسالة صفي الدين الحلي و... الخ ، فالزيادات كانت لزيادة حجم المخطوط (النص) .

واعترف انني فوجئت ان (يتساهل) د . قحطان فيقحم تلك النصوص الزائدة الى متن الكتاب ، على الرغم من انها طارئة وليست من اختيار الثعالبي ، وهو يعلم ـ تمام العلم ـ ان التحقيق ليس معناه النقل الحرفي لما ينسخه النساخ المساخ ، بل يكون بالمراجعة والتثبت وفحص النصوص وتوثيقها .

اما النصوص المقحمة الزائدة فهي :

١ ـ ص ٦٩ ـ ٧٢ ، اقوال : ارسطو طاليس وافلاطون وسقراط وهي نصوص طويلة جداً .

٢ ـ ص ٩٩ ـ ١٠٠ ، كلام ابي العتاهية عن ابي نواس .

٣ ـ ص ١٠٤ ـ ١٠٥ ، قصة خالد الكاتب .

٤ ـ ص ١٢٧ ، كلام عن بيتين لكشاجم .

٥ ـ ص ١٤٩ ، تعريف باسحاق الصابي .

ان هذه النصوص بينة الزيف ، وواضحة التزيد على الكتاب ، لذا كان على المحقق ان يحتاط للامر فينقلها ان اراد ـ الى الهامش ، كما فعل مع النص الوارد ص ١٢٩ ـ ١٣٠ .

على انني ما زلت استغرب كيف فات د . قحطان النص الوارد ص ١٢٧ : « قال صاحب ديوان الصبابة ، قد بلغ النهاية كشاجم حيث اعتذر على لسان الحبيب عن التاخر فخياله في الطيف بقوله : .... » وذكر بيتين بائيين .

فهذا النص مزيّف لان (ديوان الصبابة) هو كتاب لابن ابي حجلة التلمساني ، المتوفى سنة ٧٧٦ هـ ، وكتابه مطبوع عدة مرات ، فمن المستحيل ان ينقل الثعالبي عنه نصاً ، وبينهما نحو ثلاثة قرون ونصف . لقد تاكدت من هذه النصوص المزيدة الى الكتاب ، قبل ان اطلع على (الاعجاز والايجاز) الذي خلا منها ، فهي مقحمة على (الغرر) .

■ اما بخصوص الاسقاط التي وردت في الاعجاز ولم ترد في الغرر ، فاقول :

ثمة ابيات وردت في (غرر البلاغة) ولم ترد في (الاعجاز والايجاز) من ذلك البيت الحائي الثالث ص ٤٧ لذي الكفايتين ، والبيت الثاني للصنوبري ص ١٣٢ ، فضلاً عن البيتين الاخيرين الرائيين ص ١٤٥ للوزير المهلبي ، وهذه الابيات لم يشر المحقق الى تفرد (الغرر) بها ، وعلاوة على هذه الزيادات ، فثمة زيادة مخطوءة ، هي تكرار وقع فيه ناسخا المخطوطتين (م) و (ب) ، فقد ورد في الصحيفة ١٠٢ ـ ابيات لمنصور النمري ، البيتان الاولان داليان ، ثم ثلاثة ابيات رائية فعلق المحقق انها « ساقطة من آ والاعجاز والايجاز » .

اقول : هذه الابيات مكررة ومقحمة ، فقد وردت كاملة في ترجمة علي بن الجهم ص ١٣١ ، ورجع المحقق الى ديوانه ، اما البيتان الداليان ، فقد وردا ضمن اربعة ابيات ، وجاءت الابيات الرائية صحيحة الضبط والرسم ، فكيف جاز هذا النص على المحقق ، الم يراجع الكتاب ؟ ! لذا فما ورد في (آ) والاعجاز والايجاز صحيح

وخال من الاضطراب .

ولقد كان من الواجب على المحقق ان يشير الى جميع الاختلافات بين (غرر البلاغة) و (الاعجاز والايجاز) ، لكنه لم يفعل ذلك ، خلافاً لما اكده في عمله في التحقيق - ص ١٨ . وسوف اكتفي بذكر نماذج منها .

- ففي الغرر ورد ص ١٩ : « فريد الدهر وبدر الهدر » وفي الاعجاز ٧ « فرد الدهر وبدر العصر » ، ونص الاعجاز صحيح ومناسب للسجع . وجاء ص - ٢٠ في الفرر : « وقد بينت في كتاب اللطيف في الطيب الذي كنت خدمت به مجالسه - حرسه الله - بكتاب في الكلمات القليلة » وفي الاعجاز ٨ « وقد ثنيت كتاب اللطيف في الطيب الذي كنت خدمت بتاليفه مجلسه - حرسه الله - وانسه بكتاب ... » .

١ - ان نص الاعجاز واضح ودقيق على عكس الفرر الذي بدا مرتبكاً . وهذه الاختلافات لم يذكرها المحقق على اهميتها .

٢ - لم يعرف المحقق وهذا غريب - بكتاب (اللطيف في الطيب) . اقول : هو كتاب الفه الثعالبي للقاضي ابي احمد منصور الازدي الهروي نفسه ، وانفرد ابن قاضي شهبة فسماه (الطيب) ، وقد ورد ذكره في جميع قوائم اثار الثعالبي .

- الفرر ٩٤ : « حماد عجرد ، غرة شعرهما انشدناه ابن المعتز ، ورواه غيره لبشار ، ولايهما كان فهو من البيان » .

الاعجاز ١٥٩ : « حماد عجرد ، غرة شعره ما انشده له ابن المعتز ، ورواه غيره لبشار ، ولايهما كان فهو خير الكلام وسحر البيان » .

اقول : نص الاعجاز دقيق لاستحالة ان ينشد ابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) الثعالبي - كما ورد في اول الكلام - فضلًا عن تمام الكلام في نهايته ، لذا كنا نامل ان يضع المحقق الكلمات الواردة في الاعجاز داخل عضادتين في متن الفرر .

- ص ١١٦ : الفرر « له ملح وظرف في هدم المطر داره واحسنها قولها » .

- الاعجاز ١٦٢ : « له ملح وطرف في هدم المطر داره ، واحسنها واملحها قوله » وهو الصواب .

- ص ١٢٧ : الفرر وردت فيه ابيات لكشاجم ، منها الاول والثالث :

طـــــريت الى المـــــرآة فـــــروعتني
طـــــوالـــــع زاد منهن اكتئـــــابي
فـــامـــا شيبـــة ففـــزعت منهـــا
لتشهـــد بـــالبـــراء الى الخضـــاب

اقول : ورد البيتان في الاعجاز ، هكذا :

الى المـــــرآة رحتُ فـــــروعتني
طـــوالـــع قـــد ارت عيني مشـــابي
وامـــا شيبـــة فعـــدلت عنهـــا
الى شـــرخ الشبيبـــة بـــالخضـــاب

ولم يذكر المحقق هذا الخلاف الشديد بين الروايتين .

- ص ١٤٧ ورد في الفرر : ابو علي مسكويه [الخازن] وذكر المحقق ان (الخازن) من (آ) و (ب) واحال على اليتيمة وزهر الاداب ونسي ان الكلمة موجودة في الاعجاز ٢٢٧ وهو اولى بذكره ، وجاء ص ١٤٢ من (الفرر) بيتان لابي عمارة الصوري . خرجهما المحقق على اليتيمة ١ / ٣٠٦ ، وعلق على البيت الثاني :

مشى فـــدعـــا من ثقلـــه الحوت ربـــه
وقـــال : الهي زادت الارض ثـــامنـــه

وعلق على هذا البيت بقوله : في الاعجاز ٢٢٠ اراد ثامن ضربة انزلها الله على فرعون » .

اقول : كان عليه ان يخرج البيتين على الاعجاز ، اما التعليق فليس للثعالبي كما زعم المحقق ، بل هو من شروح ناشره اسكندر اصاف ، بتصرف ! مع ملاحظة ان رواية الاعجاز للبيت الاول هي : (اثقل من رأى) ولم يشر اليها المحقق ! والبيت في زهر الاداب ١ / ٤٤٢ بلا عزو ، ورواية المعجز : « .... زيدت الارض ثانية » .

- جاء ص ١٠٩ قول للمحقق : « في الاصل احسن ما قيل في الاغتراب » وهو سهو .. لان البيتين التاليين لا علاقة لهما في الاغتراب » . وذلك عند ورود بيتين نونيين لابي تمام .

اقول : كان على المحقق في اقل تقدير ان يرجع الى الاعجاز والايجاز ص ١٨٥ ، وفيه ورد البيتان اللذان عناهما الناسخ وهما :

وطـــول مقـــام المـــرء في الحـي مخلق
لـــديبـــاجتـــه فـــاغتـــرب تتجـــدد
فـــاني رايت الشمس زيـــدت محبـــة
الى النـــاس اذ ليست عليهم بســرمـــد

فالصحيح ايراد البيتين داخل عضادتين ، والعجيب انهما وردا في لباب الاداب ٢ / ٨٧ ، ولم يدرك المحقق هذا !

- لقد احسن المحقق في ايضاحه للخلل الذي حدث في الاعجاز والايجاز والخاص بترتيب الشعراء ، ولكنني عثرت على نص مضطرب ، لم يكن مكانه صحيحاً .

فقد ورد ص ١٢٨ ما ياتي بعد علي بن محمد البسامي : « [ابو] القاسم الاموي :

هو اشعر الناس في المراثي ، وليس له احسن من قوله فيها

الا ان في كف المنيـــة مهجـــة
تظـــل لهـــا عين العـــلا وهي تـــدمـــع
هي النفس ان تبكي المكـــارم فقدهـــا
فمن بين احشـــاء المكـــارم تنـــزع

واحسن ما قيل في اتمام الصفائح قوله ...... » ثم بيتين على قافية الميم ، ثم : البحتري .

وذكر المحقق في الهامش عن الترجمة والابيات : « ساقطة من م و ب ومن الاعجاز والايجاز وما بين القوسين المعقوفين زيادة يقتضيها المقام » ثم ترجم للامدي .

اقول :

لا يعرف للامدي شعر على هذه القوة والجزالة ، هذا اولاً ، ثم ان المحقق لم يخرج الابيات الاربعة هذه على المظان التي وردت فيها ، ثانياً ، اما ثالثاً ، فان المحقق لم ينتبه الى ان وجود الامدي المتوفى سنة ٣٧٠ هـ قلق وغير صحيح ، خاصة انه يقع بين ابن بسام (ت ٣٠٢ هـ) و البحتري (٢٨٤ هـ) وان الثعالبي لا يمكن ان يقع في هذا الخطأ في الترتيب الزمني للشعراء .

ولقد رجعت الى الاعجاز والايجاز ١٨٧ فوجدت العجب العجاب ، اذ لم يرد عنوان (ابو القاسم الامدي) والنص الذي اثبته المحقق في هذا الموضع ، بل ورد : « قال ابو القاسم الامدي ... » والابيات وما بعده تابعة لمختارات من شعر ابي تمام التي تنتهي ص ١١٠ ، فقول الامدي والابيات كان من الصواب ان تلحق ـ حسب التسلسل الزمني ومنهج الثعالبي ـ بالمختارات من شعر ابي تمام ، اما وجودها هنا فخطأ كبير وقع فيه ناسخ المخطوطة (أ) ، ولو ان المحقق رجع الى الاعجاز والايجاز ، او انتبه الى ان الامدي ليس شاعراً ، وان مكانه قلق هنا ، ولو رجع الى ديوان ابي تمام . اقول : لو فعل هذا لامكنه ان يتدارك الامر ، فيضع هذا النص القلق في مكانه الصحيح ، وفضلاً عن ذلك فانه لم يرجع الى (الموازنة) للامدي او الى ديوان ابي تمام بشرح الصولي ٣ / ٣١٧ في تخريج البيتين العينيين ، واخل بالبيتين الميميين وهما في ديوانه ٣ / ٢٦٩ (تحقيق محمد عبده عزام ، وهو احد مصادره !!

اخلص الى القول في امر الزيادات التي وردت في (غرر البلاغة) على الاعجاز والايجاز التي أثارها د . قحطان ليؤكد ان الثعالبي الف كتابه مرتين ولشخصين ، ان هذه الزيادات وقعت في قسمين :

الاول : زيادات قليلة ـ هنا وهناك ـ لا يكاد يخلو منها كتاب ما ، متعدد النسخ ، يسقط الناسخ ابيات من المخطوطة التي ينسخها ، للعجلة والاسراع بنسخ الكتاب ، وكذلك الحال في اختلاف الروايات ، فهي قصة لا يخلو كتاب منها ، فيدخل دور النساخ او الذين يقرؤون الكتاب ، فيضيفون روايات من عندهم الى النص وهذا ما حدث مع كتاب الاعجاز والايجاز[٦] .

الثاني : وهي الزيادات التي اكدها المحقق في هوامشه ، ولقد ثبت لدينا في السطور السابقة انه وهم في انها زيادات لانه ثبت لدينا انها واردة في (الاعجاز والايجاز) لكن المحقق يرجع الى ذلك الكتاب مرة ، ويزوي عنه مرات ، بل انه يفضل عليه (لباب الاداب) ـ لانه حققه !!

وامر هذه الزيادات واختلاف الروايات ارجو ان اكون قد ابنتها واوضحتها بجلية لان د . رزوق فرج رزوق و د . قحطان لم يدرساها على هذا النحو ، والتعمق .

ولعلي اتقدم اكثر من هذا فاؤكد ان (غرر البلاغة) هو (الاعجاز والايجاز) نفسه . بدليل اخر ، هو قول الثعالبي في الاعجاز والايجاز : « بكتاب في الكلمات القليلة الالفاظ الكثيرة المعاني المستوفية اقسام الحسن والايجاز ، الخارجة عن حد الاعجاب الى الاعجاز » ص ٨ .

هذا النص يشير بصراحة الى ان اسم الكتاب هو (الاعجاز والايجاز) ، او (الايجاز والاعجاز) ، وهو نفسه موجود في كتاب (غرر البلاغة) ص ٢٠ ، ولم ترد في الكتاب الاخير اية عبارة تشير الى العنوان الجديد ولو تلميحاً ، لذا فاننا نرجح ـ في ضوء كل ذلك ـ ان الكتابين نص واحد لمؤلف واحد ، عمد النساخ الى اعطائه عنوانين مختلفين ، كما حدث مع كتاب اخر له هو (اجناس التجنيس)[٧] ، وله تسمية اخرى هي المتشابه)[٨] ، وغير ذلك كثير في مصنفاته او مصنفات غيره ، بل ان نسخ هذا الكتاب التي عرضنا لاسمائها في بداية البحث لا تتفق جميعها حتى في الاسم !

ثانياً : الاحالات والتخريجات

احسن المحقق الفاضل في تخريج النصوص النثرية والشعرية وبذل في ذلك جهداً محموداً ، ولكن فاتته امور ، على النحو الاتي :

آ ـ النصوص النثرية : بخصوص القران الكريم كان يفضل ان تحصر الايات القرانية داخل اقواس مزهرة ، وان تضبط بالشكل التام . ومن المؤسف اننا وجدنا فيها اخطاء مطبعية اشرنا اليها في نهاية المقال . وقد وردت في ص ٣٩ قوله تعالى : ﴿ لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل ، واذاً لا تمتعون الا قليلاً ﴾ ولم يخرج المحقق الاية . وهي في سورة الاحزاب ١٦ .

اما الاحاديث النبوية الشريفة ، فيلاحظ ان بعضها خرجها المحقق على صحيح مسلم وصحيح البخاري والمجازات النبوية للشريف الرضي . وبعضها الاخر خرجها على كتب الادب ، وهذا لا يجوز ، كما ان قسماً منها سكت عن تخريجها ! وقد اردت المشاركة في تخريج هذه الاحاديث الشريفة ، خدمة للحقيقة فاقول :

ـ قوله (ﷺ) : « اياكم وخضراء الدمن » في جمع الجوامع للسيوطي ١ / ٢٦٣ . وقوله : « ان المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً

ابقى » في مسند احمد بن حنبل ٣ / ١٩٩ .
ـ وقوله (ﷺ) : « الشتاء ربيع المؤمن .... » في : كنز العمال ١٢ / ٣٢١ ، الجامع الصغير ٢ / ٨٤ .
ـ وقوله : « انكم تكثرون عند الطمع وتقلون عند الفزع » في : الفائق ٣ / ١١٥ ، النهاية في غريب الحديث والاثر ٣ / ٤٤٣ .
ـ وقوله (ﷺ) ص ٢٨ : « كاد الفقر يكون كفراً » في : الجامع الصغير ٢ / ٢٢٦ ، حلية الاولياء ٣ / ٥٣ ، ١٠٩ .
ـ اما قوله عليه الصلاة والسلام : « اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه » فقد خرجه على : العقد الفريد ١ / ١٧ .
والصحيح ان يخرجه على : السنن الكبرى للبيهقي ٨ / ١٦٨ .

■ واذا انتقلنا الى النصوص الادبية ، رأينا ان بعضها يتطلب تخريجاً ، ذلك ان الثعالبي نثر تلك النصوص في كتبه ، لذا كان حرياً على محقق (غرر البلاغة) ان يلاحق تلك النصوص في كتبه تلك ، لا ان يلتقي بغيرها ، وهي متاخرة عن الثعالبي .
ـ ففي ص ٣١ ، خرج المحقق قولًا لمعاذ بن جبل على زهر الاداب . وحقه ان يخرج على التمثيل والمحاضرة ٣١ . وكذلك فعل ص ٣٦ حين خرج قولًا لمعاوية ، اوله : « نحن الزمان ... » ، وكان عليه ان يخرجه على : التمثيل والمحاضرة ١٣٢ ، الخاص ٨٦ ، اللطف واللطائف (ط بيروت) ٢١ .
كذلك لم يخرج قول مصعب بن الزبير لما اشتدت الحرب بينه وبين عبد الملك بن مروان ص ٣٨ على : لطائف اللطف ٢٢ .
وقول المهلب بن ابي صفرة ص ٣٩ ورد في التمثيل والمحاضرة ١٣٤ ، كذلك القول الثاني ليزيد بن المهلب . وقول اسماعيل بن صبيح ص ٦١ ـ في خاص الخاص ٧ ، اما بعض اقوال البستي ـ ص ٦٦ ـ فقد وردت في : اجناس التجنيس (بغداد) ٤١ ، وقولان للعتبي ـ ص ٦٧ ـ وردا في : الانيس في غرر التجنيس ١٢١ .

ومن الغريب ان ينص الثعالبي ص ٦٧ على كتابه (المبهج) واختار نصوصاً منه ، ثم لا يقوم د . قحطان بالرجوع اليه ، والتاكد من النصوص الواردة هنا ، على الرغم من ان (المبهج) مطبوع في مصر سنة ١٣٢٢ هـ ـ ١٩٠٤ م ، فقد ورد « انس القبان .... والطيب في خلقها » وهذا خطأ ، والصواب كما في : المبهج ص ٥٠ : (حلقها) ، مع العلم ان بعض نصوص (المبهج) نثرها الثعالبي في كتابه الاخر : اجناس التجنيس (بغداد) ٤٥ ـ ٥٠ ، (بيروت) ٤١ ـ ٤٦ ، وفي (الفرد) نصوص اخرى كنت اطمح ان تحال على كتب الثعالبي الاخرى ، ولن اشير اليها خوف الاطالة .
واذا انتقلنا من كتب الثعالبي الى مصادره ، الفيناه ينقل عن كتب بين يديه ، لكن المحقق الكريم لا يرجع اليها !!
ـ فقد ورد ص ٩٧ : « وكان الجاحظ يقول .... » . وسكت المحقق عن ذلك والنص في الاغاني ٤ / ٣٧ ـ ٣٨ ، وكرر الثعالبي النص في خاص الخاص ١١٠ والاعجاز والايجاز ١٦٠ .
ـ وفي الصحيفة نفسها وردت اربعة ابيات لامية لابي العتاهية ، ثم قال الثعالبي : « قال ابن المعتز : اجمع اهل الادب على انهم لم يسمعوا قافية احق بمكانها .... » .
اقول : كان على المحقق ان يهرع الى طبقات الشعراء المحدثين ـ وهو من مصادره ! ليجد ان النص هذا وارد فيه ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩ ، بدون الحرف (علىٰ) ، وكرره في الاعجاز والايجاز ١٦١ . كذلك رجع الثعالبي الى كتابه الاخر (الفصول الصفار) ص ٤٧ و ٨٩ ، وقد جمعه د . محمد عبد المنعم خفاجي ، ولكن ما ورد ص ٨٩ يؤكد ان د . قحطان لا يعرف الكتاب ولا ابن يفلق القوس .
ـ وجاء ص ٩٢ بيت لابي دهبل الجمحي ، وبعده : « قال القاضي علي بن عبد العزيز : قد نفى عنه جميع النسيان اوجز لفظ واحسنه » .
اقول : النص في : الوساطة بين المتنبي وخصومه ١٨٩ باختلاف بسيط ، وهو كتاب مطبوع ومشهور !! ومما يؤكد عدم اطلاعه عليه : الهامش ٦٣١ وفيه اشارة للثعالبي في لباب الاداب الى القاضي الجرجاني هذا !
ـ ونص الثعالبي ص ١٥٧ على ان الصاحب بن عباد انشد لعلي ابن هارون المنجم شعراً في كتابه (الروزنامجة) فلم يرجع له المحقق ـ اقول : الكتاب لم يصل الينا ، الا ان ما جمعه الشيخ محمد حسن ال ياسين منه ، ونشره ببغداد سنة ١٩٥٨ ، لا ينبغي ان يحجم عن الرجوع اليه وتنظر ص ١٨ ـ ١٩ منه او حتى يعرف به !
وثمة مصادر اخرى رجع اليها الثعالبي منها : قول لمحمد بن داود الاصفهاني ص ٧٦ وقول للامدي ص ١٢٩ ، فلم يرجع المحقق الى كتابي (الزهرة) و (الموازنة) اما قول هارون المنجم ص ٩٣ فموجود في كتابه (البارع) ، وهو مفقود ، لكن د . يونس السامرائي جمع نصوصاً منه في مجلة المجمع العلمي العراقي ٢ : ١٩٨٦ م ، ص ٢٦٤ ـ ٢٩٧ ، فكان على د . قحطان التعريف بهذا الكتاب ، والكتب السابقة والرجوع اليها .

ب ـ النصوص الشعرية :

احتلت النصوص الشعرية ثلثي الكتاب ، بدأها الثعالبي بأمريء القيس وختمها بالميكالي ، وقد اعتمد المحقق على نحو

(٥٥) ديواناً لبعض هؤلاء الشعراء ويلاحظ ما يأتي :
١ ـ ثمة اشعار ذكر انها غير موجودة في الديوان ، وهي موجودة : فقد ورد بيت جرير ص ٨٧ ، هو :

وابن اللبون اذا ما لزّ في قرن
لم يستطع صولة البزل القناعيس

فعلق : « البيت غير موجود في ديوانه » وهذا الكلام كان قد قاله في لباب الاداب ٢ / ١٦١ .

اقول : البيت في ديوان جرير ١ / ١٢٨ (شرح محمد بن حبيب) .

وورد بيتان ص ١٤٣ ـ على قافية الحاء ، ثم اخران على قافية الراء للسري الرفاء ، فقال : انها ليست في ديوانه .

اقول : البيتان الحائيان في ديوانه ٢ / ٥٥ ، والرائيان في ٢ / ٢٧٥ ، وسبب ذلك انه اعتمد على طبعة غير علمية من ديوانه ، ولم يرجع الى طبعة المرحوم حبيب حسين الحسني ، الصادرة ببغداد .

٢ ـ من المعلوم ان الشاعر اذا كان له ديوان مطبوع يحال عليه ، ويكتفي به عما سواه ، لكننا نرى المحقق ـ في بعض المرات ـ يرجع الى المصادر الاخرى ، على الرغم من ان الديوان بين يديه ، وفي ذلك اثقال للهامش . ففي ص ١٠٠ ـ ١٠١ وردت ابيات لسلم الخاسر ، رجع في معظمها الى : الاغاني ولباب الاداب ونهاية الارب ، على الرغم من اطلاعه على ديوانه المجموع ضمن شعراء عباسيون لغرونباوم !

كما انه رجع الى ديوان ابي تمام ص ١١١ ، ولكنه خرّج بيتين له على لباب الاداب والمنتحل !

٣ ـ لم يرجع المحقق الى كثير من الدواوين والمجاميع الشعرية في تخريج كثير من القطع والمقطعات لعدد كبير من الشعراء ، وسأذكر امثلة على ذلك :

فقد وردت ص ١٠٣ ابيات لاحمد بن ابي طاهر ، وهي في مجموع شعره : اربعة شعراء عباسيون جمع وتحقيق هلال ناجي ٢٩٧ . وفي ص ١٢٣ وردت ابيات للقاضي التنوخي ، وهي في : ديوانه ، جمع وتحقيق هلال ناجي ـ مجلة المورد ١ : ١٩٨٤ م ، ص ٤٧ ، ٥٩ .

وفي ص ١٥٣ وردت ابيات لابن نباته السعدي ، وهي في ديوانه ، تحقيق عبد الامير الطائي ٢ / ٧٣ ورواية صدر الثاني . (فان الحسام يجز الرقاب) و : ١ / ٢٧٣ ـ ٢٧٤ ، واخل الديوان بالقطعة الثالثة .

وفي ص ٢٩٧ ، ٣١٨ ابيات لابي هفان ، هي في مجموع شعره ، جمع وتحقيق هلال ناجي ، مجلة المورد ، ١ : ١٩٨٠ م ، ص ١٩٦ ، ١٩١ .

علاوة على عدم رجوعه الى دواوين : عدي بن الرقاع ، والعتبي ، والخريمي ، والناشيء الاكبر والوزير المهلبي ، والعتابي ، وابي طالب الماموني ، ومحمود الوراق ، وابن لنكك ، وابو سعد المخزومي ، والحارثي ، وابن بسام ، والعطوي ، ومحمد بن كناسة ، وابي علي البصير ، وابن طباطبا العلوي ، ومنصور الفقيه ، والحمدوني ، ويزيد المهلبي ، والابيوردي ، والحسين بن الضحاك ، وابي عيينة المهلبي ، والببغاء ، وعبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، وحماد عجرد ، وعبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، وابي دهبل الجمحي وذي القرنين بن ناصر الدولة والوأواء الدمشقي ...

ان الاكتفاء بالرجوع الى هذه الدواوين امر علمي ومنهجي ، يغني عن تخريج الاشعار على المظان الاخرى .

تخريجات اخرى للاشعار : اضيف هنا ـ بعض التخريجات الضرورية على عدد من النصوص الشعرية ، مما فات المحقق الكريم خدمة للحقيقة :

ـ ص ٩٢ ورد بيتان على قافية الحاء المكسورة . اقول : هما في : خاص ٢٨ ، ومحاضرات الادباء ١ / ٢٨٩ ولابن بسام في : المستدرك على صُنّاع الدواوين ١ / ١٩ ، وبلا عزو في : امالي القالي ٣ / ١٢٧ .

ـ ص ٨٠ ، بيت لبشر بن ابي خازم ، عجزه : وايدي الندى في الصا حين قروض،وخرجه ديوانه ١٠٦ ، اقول : الصواب : ... في الصالحين وهو في ديوانه ١٠٧ .

ـ ١٠٣ ، ورد بيت على قافية الدال ، ذكر المحقق في الاعجاز ٢٦٧ ، والصواب ٢٦١ .

ـ ١٧٣ ، وردت ابيات لامية لابي سعد بن خلف ، ذكر انها في لباب الاداب ٢ / ١٨٢ ، والصواب ٢ / ١٨٢ ـ ١٢٩ .

ـ ٩٤ ، ذكر المحقق ان ابيات حماد عجرد الدالية في طبقات الشعراء ٧٩ ، والصواب ٦٩ ـ ٧٠ .

وعلق المحقق في الهامش : « في الاصل : بعد ما نام » اقول : وهي رواية ثمار القلوب ، وهي الرواية الصحيحة لا ما رجحه .

ـ ١٢٠ ، بيتان بائيان لابن المعتز ، خرجهما المحقق على ديوانه ، بغداد ٢٠ / ٣٠ ، وذكر انه في اجزاء متعددة اقول : الذي صدر ببغداد هو شعر ابن المعتز ، لا ديوانه ، والتقيد بعنوان الكتاب مهم ، ويقع في ثلاثة اجزاء ، وجزء رابع للدراسة ، وليس في « اجزاء متعددة » . والبيتان ـ ايضاً ـ في تتمة ديوان الصنوبري ١٣ .

ـ ص ١٣١ وردت ثلاثة ابيات رائية لعلي بن الجهم لم ترد في ديوانه . اقول الاول والثاني في كتاب الاداب ١٢٤ : بلا عزو .

ـ ص ١٣٧ ورد بيتان داليان لابي محمد الفياضي .

اقول : هما له في : خاص الخاص ١٤٥ ، التوفيق للتلفيق ٦٩ . حلية الكميت ١٦٥ ، والثاني فقط في : ثمار القلوب ٢٧٢ ، ونسبا الى ديك الجن في فصول التماثيل (ط . دمشق) ٦٢ - واخل بهما ديوانه ، والى ابن المعتز في : شعره ٣ / ٢٦٥ ، ورواية صدر الاول : « اشرب هنيئاً على ورد وتوريد » .

- ص ١٤٢ : بيتا معد بن تميم ، هماله في انوار الربيع ٤ / ٩٠ ، والاول فقط لابن المعتز في شعره - المنسوب - ٣ / ٢٨٦ .

- ص ١٤٦ - البيتان الاخيران من القطعة النونية لابي القاسم ابن ابي العلاء ، هماله في : ثمار القلوب ١٥٩ ، خاص الخاص ١٧٥ ، التوفيق للتلفيق ٨١ .

- ص ١٤٨ : البيتان الاخيران للصاحب بن عباد النونيان ، هما في التوفيق للتلفيق ٦٩ ، وقد نسبا الى ابي الهندي ، واخل بهما ديوانه ، صنعة د . عبد الله الجبوري .

- ص ١٥١ ، وردت ثلاثة ابيات نونية لابي العباس الضبي اقول : هي في : خاص الخاص ١٦٦ ، والاول والثاني في : لطائف اللطف ١٥٠

٥ - ثمة اخطاء في الابيات الشعرية ، منها :

- ص ١٠٤ ، قول خالد الكاتب :

رقــــدت فلم تـــــرن للساهـــــر
وليــــــل المحب بـــــــلا اخـــــــر
ولم تـــــدر بين ذهـــــاب الـــــرقـــــاد
ومـــــا فعـــــل الـــــدمـــع بـــالنـــاظـــر

وصواب الصدر : (رقدت فلم ترث للساهر) وفي أمالي القالي : « ولم » مع ملاحظة ان كلمة (الرقاد) في البيت الثاني ، يجب وضع الدال في عجزه ، وهما ايضاً في : خاص الخاص ٩١ ، المختار من شعر بشار ١٣ .

- ص ١٧٣ : ورد

لا يـــــؤيسنّـــك من مجـــد تبـــاعـــده
فـــان للمجـــد تـــدريجـــاً وتـــرتيبـــاً

والصواب : لا يؤنسنك ليستقيم المعنى ، وهو ليس خطأ مطبعياً ، بدلالة ما كتبه المحقق في الهامش .

- ص ١٥١ : بيت ابي العباس الضبي .

لم يظلمـــوا في الحكم اذا مثلـــوا بـــه
فلشـــد مـــا رفـــع البنفســـج شـــانـــه

والبيت من الكامل وصواب الصدر : اذ مثلوا .

ثالثاً : التراجم

ترجم المحقق الكريم لاعلام الكتاب من الكتاب والشعراء معاً ، ولنا عليها الملاحظات الاتية :

أ - **التكرار** : ورد في الكتاب عدد من الاعلام مرتين ، واذ ترجم لهم المحققٌ في المرة الاولى ، كان يحيل اليها اذا تكرر الاسم ثانية الا انه سها فكرر ترجمة عدد منهم ! وهم :

١ - الببغاء ، ترجم له في الصحيفة ٦٥ ، ورجع الى مصدرين فقط ، ثم اعاد الترجمة ثانية في الصحيفة ١٤٠ ، ورجع فيها الى اربعة مصادر .

٢ - ابو الفتح البستي ، ترجم له في الصحيفة ٦٦ ورجع الى اليتيمة فقط ، ثم عاد ص ١٦٨ فترجم له بالرجوع الى ثلاثة مصادر .

٣ - الميكالي : ترجم له ص ٦٥ باختصار بالرجوع الى اليتيمة ، ثم كرر الترجمة مع بعض الزيادة ص ١٧٧ وزاد على اليتيمة : الوفيات والاعجاز .

٤ - القهستاني : ترجم له ص ٦٦ ورجع الى ثلاثة مصادر ، ثم عاد ص ١٧٦ وترجم له ورجع الى مصدرين !!

والمحقق كان يمكن له ان يكتفي بالاحالة على الترجمة الاولى ، وعلى اية حال فانه لم يذكر سني وفياتهم !

ب - **تراجم قصيرة واخرى طويلة** : يلاحظ في التراجم انها مذبذبة ، فقد ترجم لابي هفان ترجمة قصيرة جداً - في الصحيفة ١٠٣ دون ذكر سنة وفاته وهي ٢٥٧ هـ . وكذلك الحال ص ١٤٢ مع السري الرفاء (المتوفى سنة ٣٦٢ هـ) . في حين انه ترجم لبعض الاعلام تراجم شبه طويلة على الرغم من شهرتهم ، وكان يكفيه الاحالة على مصادرهم ، وهم : الجاحظ ص ٦٢ ، و : لقيط بن يعمر الايادي ص ٨٠ ، و : بشار بن برد ص ٩٣ ، و : ابو تمام ص ١٠٩ ، و : المتنبي ص ١٣٨ .

ج - **اهمال مصادر الترجمة** : يلاحظ ان المحقق اهمل ذكر مصادر تراجم بعض الاعلام ، فلا ندري من اين جاء بها ؟ ، ولا يخفى اهمية اثبات تلك المصادر للتوثيق والتخريج ، وذلك واضح في الصفحات ٣٠ - ٣٤ ، ٩٨ ، ....

د - **كتب ليست للتراجم** : ذيل المحقق عدداً من تراجمه بكتابي (لباب الاداب) و (الاعجاز والايجاز) للثعالبي ، وهما كتابان في الادب لا يصلحان كي يكونا في التراجم . فعلى سبيل المثال ورد ص ١١٤ : (عبد الملك بن عبد الرحيم) فعلق المحقق في الهامش : « في لباب الاداب ٢ / ٧٤ عبد الله عبد الرحمن الحارثي ... » .

اقول : ما ورد في اللباب خطا - حتى وان حققه د . قحطان ورجع اليه كثيراً بحماسة - فالصحيح ما ورد في الكتب الاخرى التي تعزز ما ورد في (الغرر) فكان - منهجياً - الاكتفاء بما ورد في : طبقات ابن المعتز ، والرجوع الى مقدمة كتاب (الحارثي حياته وشعره) لزكي ذاكر العاني - بغداد ١٩٨٠ م ، وكتاب

(بحوث في النقد التراثي) للاستاذ هلال ناجي ، بيروت ، ١٩٩٤ م ، ص ٢٥ - ٢٤ . وهذا الكلام ينطبق على : الاعجاز والايجاز (تنظر: ص ٦٦ ، ١٥٤ ، ......) ، او: خاص الخاص .....

هـ - ترجمة مخطوءة : ورد ص ١٥٨ « ابو الحسن المنجم » فترجم له المحقق بقوله : « هو علي بن يحيى بن ابي منصور ... وهو شاعر محسن توفي بسامراء سنة ٢٧٥ هـ » .

اقول : وهذا خطا ، والصواب : ابو الحسن احمد بن يحيى بن علي المنجم ، من شعراء الرضي العباسي ، توفي سنة ٣٢٧ هـ ، ترجمته في : وفيات الاعيان ٦ / ١٩٨ - ١٩٩ ، اخبار الراضي بالله للصولي ٢١ ، ٥٩ ، ١٣٧ .

- ص ١٤٧ : العلاء السروي . اقول : كان عليه ان يضع قبله كلمة [ابو] ، وهو الصواب . ينظر - فضلاً عن : اليتيمة ٣ / ٥٠ التوفيق للتلفيق ١٤٣ .

و - اعلام بلا ترجمة :في الكتاب اعلام لم يترجم لهم المحقق ، منهم : هبة الله بن المنجم ، ص ١٥٨ .

اقول : هو ابو العباس هبة الله بن محمد بن يوسف بن يحيى بن علي المنجم ، روى عنه المحسن التنوخي (ت ٣٨٤ هـ) ينظر : الفرج بعد الشدة ٥ / ٧٥ ، نشوار المحاضرة ١ / ١٥ ، ٣٧ .

وورد ص ٧٥ (ابو الحارث سمير) ، في الصواب (ابو الحارث جمين . ترجمتُهُ في : برد الاكباد ١٦١ ، التوفيق للتلفيق ١٣٢ .

ز - ترتيب المصادر : لا يلتزم المحقق بالمصدر الاقدم عند الترتيب الزمني للمصادر ، ففي ص ١٠٠ ، هامش ٦٨ ، قدم وفيات الاعيان على طبقات الشعراء ، و ص ١٠١ ، هامش ٦٩ ، قدم الاغاني على طبقات الشعراء والشعر والشعراء ...

رابعاً : المصادر والمراجع

في الصفحات ١٧٩ - ١٨٣ اثبت المحقق قائمة بالمصادر والمراجع ضمت (١٨٠) كتاباً رجع اليها في تخريج نصوص الكتاب وتوثيقها ويلاحظ عليها :

١ - سقطت منها كتب رجع اليها ، وهي : اخبار المراقسة واشعارهم ، تاريخ الادب العربي ، جحظة البرمكي لمزهر السوداني ، حماسة ابن الشجري ، النثر الفني لزكي مبارك .

٢ - ثمة مصادر غير علمية اعتمد عليها ، على الرغم عن صدور نشرات علمية افضل منها ، وهي :

- رجع الى طبعة سنة ١٣٣٠ هـ لكتاب (جمهرة اشعار العرب) واهمل تحقيق د . محمد علي الهاشمي ، الرياض ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

- رجع الى طبعة سنة ١٩٣٩ م من ديوان امرىء القيس وترك طبعة محمد ابي الفضل ابراهيم القاهرة ، ١٩٦٢ م .

- رجع الى طبعة دار الكتاب العربي من ديوان جميل بثينة واهمل تحقيق د . حسين نصار ، القاهرة ، ١٩٦٧ و ١٩٧٧ م .

- رجع الى طبعة سنة ١٣٥٥ هـ من ديوان السري الرفاء ، على الرغم من صدور تحقيق د . حبيب الحسني بغداد ١٩٨١ م .

- رجع الى طبعة بيروت - ١٣١٢ هـ - من ديوان كشاجم ، وترك نشرة السيدة خيرية محمد محفوظ ، بغداد ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ .

- رجع الى تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد لكتاب (وفيات الاعيان) واهمل تحقيق د . احسان عباس - بيروت .

٣ - يفضل اثبات سني وفيات المؤلفين ، مع ذكر جميع البيانات الاخرى : سنوات الطبع واسم المحقق ، ....

خامساً : مآخذ متنوعة

ندرج هنا بعضاً من المآخذ التي لم نسلكها في الملاحظات السابقة :

١ - ان طباعة الكتاب ليست افضل من (لباب الاداب) وقد صدرا عن دار النشر نفسها ، فكنا نتمنى - في اقل تقدير - ان يطبع اسم كل شاعر بحرف اسود بارز ، وان يبدأ الباب العاشر بصفحة جديدة .

٢ - يفضل ان تكون ارقام هوامش الكتاب (النص المحقق) منفردة عن ارقام هوامش المقدمة .

٣ - المحقق لا يفرق بين التصحيف والتحريف ، فقد ذكر ص ٨١ ان (فزعا) و (قرعا) تحريف والصواب : تصحيف وفي ص ١٢٦ ان (الانطاكي) و (الانماطي) تصحيف ، والصواب تحريف وينظر : ص ١٠٢ (هامش ٦٩٥) وص ١٧١ (هامش ١١٦١) .

٤ - الكتاب خال من الفهارس المفيدة : واحد للاعلام واخر للاشعار ....

سادساً : الاخطاء المطبعية

فشت في الكتاب اخطاء مطبعية اثرت سلباً في محتواه على الرغم من الجهد في تصحيح بعضها وفيما ياتي التطبيعات التي عثرنا عليها :

وبعد ، فكانت تلك نظرات وملاحظات في تحقيق د . قحطان رشيد صالح لكتاب (غرر البلاغة في النظم والنثر) للثعالبي ، بعد تنقير طويل في شتيت المظان ، وهي تحن الى طبعة ثانية تقوم زيفها وتستدرك فواتها وتصحح اخطاءها ، وفيها جوانب تستدعي التأمل ، ارجو ان اكون قد وفقت في طرحها .

والحمد لله رب العالمين

الصفحة	السطر او الهامش	الخطأ	الصواب
٢١	هامش ٥٢	تنزل	تتنزل
٢٢	هامش ٥٨	مُجلي	مُحلي
٢٢	هامش ٦٣	وكثيرة	وكثير
٢٣	هامش ٦٥	قرور	قروء
٢٦	هامش ١١٢	الاصول	الوصول
٢٣	هامش ٧٣	وان	تحذف الواو
٣٥	هامش ٢٠٤	عمرلاو	عمرو
٦٤	هامش ٤٣٥	الهمدانى	الهمذانى
٦٦	١٦	الفهستانى	القهستانى
٤٥	١٣	المتهدى	المهتدى
٤٩	هامش ٣٢٠	اليتمة	اليتيمة
٥٣	هامش ٣٥١	الرفيع	الربيع
٥٨	هامش ٣٩٤	عجم	معجم
٨٤	هامش ٥٦٥	ابو ميلكة	ابو مليكة
٨٥	هامش ٥٧٢	المجموعة	المجموع
٨٩	١٧	مدارها	مدادها
٨٩	هامش ٦٠٨	ابوز	ابو
١٠١	هامش ٦٩١	الشاب	الشباب
١٠٣	هامش ١	احمد ابى طاهر	احمد بن ابى طاهر
١٠٤	هامش ٧١٤	المنظوم	النظم
١٠٤	هامش ٧١٧	الاعجاز ومن الايجاز	الاعجاز والايجاز
١١٣	هامش ١٢	ابو عيينه ان	ابو عيينه
١١٤	هامش ١٩	اللجاج	اللجلاج
١١٤	هامش ٧٨٣	لمهدي	المهدي
١١٩	هامش ٨١٥	حريج	جريج
١٢١	هامش ٨٢٩	الى القاسم ابي القاسم	الى ابي القاسم
١٢٦	هامش ٨٦٤	طبع خطأ	٨٧٤
١٢٩	هامش ٨٧٧	الادباء	معجم الادباء
١٣٧	هامش ٩٣١	سبف	سيف
١٥٩	هامش ١٠٧٩	حل محل ١٠٨٠	
١٦١	هامش ٢٠	سهيل بن المزربان	سهل بن المرزبان
١٨٢	الاخير	الحجمي	الجمحي
١٨٣	١٢	هنية	هندية
١٩	٦	بعوتّك	بعونك
٢٠	هامش ٤٧	رانع	روائع
١٠٦	هامش ٢	فعذل	فعدل
٥٠	هامش ٣٣٣	احدى واثنتين	احدى او اثنتين
٩٩	١٥	ثمر	ثمره
١٠٢	٤	تؤمان	توأمان
١٥٣	٢	تخز	تحز
١٥٤	١٠	ابو سعد الرستمي	ابو [illegible]
١٧٩	٣	هبوارث	هبورث

الحواشي :

(١) طبقات النحويين واللغويين ، مخطوطة المكتبة المركزية / جامعة بغداد ، رقم م خ ١٢٤ ، ج ٢ ـ ٢٨٧ .

(٢) تاريخ الادب العربي ٥ / ١٩٠ .

(٣) مجلة (المناهل) المغربية ، العدد ١٨ ، ١٩٨٠ م ، ص ٢٤٥ .

(٤) التوفيق للتلفيق: ٣٥ ، دراسات توثيقية وتحقيقية في مصادر التراث : د . محمود عبد الله الجادر ، ١٩٩٠ م ، ص ٤١٩ ـ ٤٢٠ ، مجلة المورد ٢ : ٢٠٠٠ م ، ص ١١٤ ، الانيس في غرر التجنيس ٢٧ .

(٥) مجلة كلية الاداب ، جامعة بغداد ، العدد ١٤ ، ١٩٧١ م .

(٦) ثمة مخطوطتان في دار الكتب المصرية ، الاولى برقم ٤٠٧ ادب والثانية برقم ٥٤٥ ادب ، بعنوان : (اعجاز الايجاز) . ونسخة ثالثة بعنوان (الاعجاز في الايجاز) في مكتبة الاوقاف العامة في الموصل برقم (٥ / ٨ حسن باشا) ، فلعل في هذه النسخ ـ ومختصر الدمشقي ـ ما يسد النقص الحاصل في مطبوعتي الكتاب ـ ينظر: دراسات توثيقية ٢٩٥ .

(٧) حققه د . محمود الجادر ، بيروت ، عالم الكتب ، ١٩٩٧ ، وبغداد ١٩٩٨ م .

(٨) حققه د . ابراهيم السامرائي في مجلة كلية الاداب ، العدد العاشر ١٩٦٧ م ، واعاده ثانية في مجلة البلاغ ١٩٧٦ م .

كتاب الأنبياء في العراق



د/رعد شمس الدين الكيلاني
عرض: نجلة محمد

من بين الكتب التي فرغت دار الشؤون الثقافية من طبعها هذه الايام واستقبلتها المكتبات ، كتاب جديد مستحق القراءة ، مؤهل للدراسة ، لائق بالتوقف عنده هو كتاب « الانبياء في العراق » دراسة مقارنة بين « القرآن والتوراة والاثار » لمؤلفه الدكتور رعد شمس الدين الكيلاني ..

وقد أخذت اهبتي لعرضه وبسط نهجه بتان وتفصيل ..

وعلى وفق التقليد المعهود نطالع مقدمة قصيرة لا تتجاوز الصفحات الثلاث ، نلمح فيها ان الكتاب رسالة جامعية نال بها المؤلف درجة الدكتوراه ، وان تلك الرسالة اقتصرت على الانبياء الذين ظهروا في العراق او الانبياء الذين مروا في العراق .

كما نتبين ان المؤلف عمد الى (ادخال الاثار) مصدراً لتفسير النصوص التاريخية واستكمال الصورة التاريخية للرواية التاريخية المذكورة في النص القرآني والنص التوراتي والوثيقة الاثارية ـ ولان الباحث قد ادخل « الاثار بصورة رئيسية ومهمة في اسناد الرواية التاريخية الاسلامية » ـ فانه « تاهب » لحسبان ان دراسته (الاولى من نوعها في العالم الاسلامي) .

بعد المقدمة يأتينا الفصل الاول ، تحت عنوان ظهور الانبياء واثره في حضارات وادي الرافدين وكان مبحثه الاول البداية الواعية او فجر الوعي وفيه يثبت « ان تحديد نقطة البداية بالنسبة لتاريخ او ما قبل التاريخ تبدو غير منطقية وغير علمية » . « فليس يسيراً البحث عن اشكال تطور الانسان وتطور وسائل عيشه واقامة المجتمعات الاولى ، وتكون المدن .. واستمرار النشاط الانساني .. » .

ثم تعرض الباحث لمناقشة بعض فرضيات الحياة والمدد الزمنية وما نشره الباحثون من ابحاث تتسم بالتعميم ثم جاء الى آخر نظريات التطور وهي نظرية (التطور الخلّاق) التي تبناها ب . ب جراسيه ـ رئيس قسم التطور في جامعة السوربرن التي وصفها (بالمنطقية) ومع ذلك فيقول « اذا نظرنا الى ما قبل التاريخ وجدنا الجزء المفقود يمثل ٩٩٪ من التاريخ » .

ثم توصل لمعرفة فجر الوعي ورأى ان نشر علم الاحاثة (PALEONTOLOGY) قد احدث اثراً عظيماً في مسار الابحاث العلمية التي تبحث عن اصل الحياة ، فجاء هذا العلم ليعزز الدراسات الاثارية وشكّل مع علم الاثار وحدة متصلة لخدمة الدراسات التاريخية .. ثم انتهى الى ان نظرية التطور الخلّاق تقتضي « خلق جينات جديدة تقوم بمهمة التطور والتغيير ونحن نسميها الاوامر الربانية الخلاقة المقدرة بقدرها كما يقول تعالى « انا كل شيء خلقناه بقدر » .

ثم يصل الى المبحث الثاني وهو (آدم عليه السلام) (ابو البشر) ويستهل الباحث مبحثه فيقول « ان دراسة آدم وحياته من ضمن انبياء العراق كان بسبب وجود رقم طينية تؤكد خلقه من

الطين وجدت في التراث العقيدي لحضارة وادي الرافدين » .

ثم جاء الى قصة آدم في الرواية الاسلامية ليقارنها مع الرواية التوراتية ورؤية الرقم الطينية والمهم (آدم في الرقم الطينية) التي « الف السومريون والبابليون اساطير وقصصاً تتناول موضوع خلق الكون وخلق الانسان كا سطورة جلجامش ، واسطورة سومرية تذكر ان الالهة ارادت ان تخلق عبداً من الطين ، وان الختم الذي عثر عليه في آثار وادي الرافدين يعبر تعبيراً واضحاً على قصة جنة آدم .. كما تشترك عناصر هذه القصة بين الرقم الطينية والتوراة ثم يقول « ان قبول فكرة وجود آدم في جنته في وادي الرافدين فكرة منطقية ولا يسبب تبنيها اي تعارض مع نصوص صحيحة ودقيقة من احاديث او معاني آيات قرآنية » .

ونصل الى عنوان فرعي من هذا المبحث وهو « اهمية الملابس في قصة آدم » وقد وجدت اثار وصور تؤكد ان فطرة الانسان مجبولة على ستر العورة ، وربطها بستر العورة والخطيئة الاولى عندما اكل آدم وزوجه من الشجرة .

ويصل الى المبحث الثالث وعنوانه (قابيل وهابيل) فذكر نصوص القصة كما وردت في العهد القديم والقرآن الكريم وقارن بين النصين واستخلص « ان هذه القصة وبتفاصيل قريبة قد وجدت على رقم طينية تحكي تراثاً سومرياً » .

اما المبحث الرابع فهو « اثر النبوات في حضارة وادي الرافدين » ويقول « ان تحليلنا لعقائد سكان وادي الرافدين القدماء يؤكد ان هذه العقائد بقايا نبوات ، ثم شرح اهم تلك المعتقدات وخلص الى انها تتفق اصلاً مع معاني آيات القرآن ، ومضى الى سمات النبوة ودعوتهم ، وأورد نصوصاً من قصائد سومرية توكد ان حواء خلقت من ضلع آدم وهذا ما تؤيده الاحاديث النبوية .

ثم يصل الى « قصة ايوب عليه السلام »فاستشهد بما قاله (كريمر) عن رواية سومرية لفكرة قصة ايوب ، ونقل جزءاً من قصيدة سومرية نستشف منها ان الحضارة السومرية تمثل المحاولات الاولى للارتقاء الانساني على سلم الحضارة .. ثم نتقدم الى الفصل الثاني وهو (النبي نوح عليه السلام) (ابو البشرية الثاني) ونمضي الى المبحث الاول (متابعة تاريخية للتعرف على عصر النبي نوح) و « ان القرآن الكريم سجل لنا اهم الاحداث التي مرت على البشرية .. وشرح كيف « تواصلت بعد آدم في ذريته النبوة » ثم يقول « ان نوحاً قد عمر اكثر من جيله » واستند الى بعض الاحاديث حول معدلات بعض الاعمار » اما مكان النبي نوح ومجتمعه فياتينا تحت هذا العنوان وفي دراسة تحليلية ومقارنة ويسترشد « بالبيئة التي عاشها نوح وقومه ، التي هي بيئة زراعية وفيها بساتين وعلى مقربة من ضفاف الانهار » بداعي صناعة الفلك ، ويستشهد بما قاله الخبير الاثاري ويلكوكس حول « الجبل ويعصمني من الماء » ويخلص الى ان نجاة نوح ومن معه (آية للعالمين) وبهذا تتظافر الادلة لتؤكد حقيقة واحدة وهي ان العراق يمثل المكان المناسب للنبي نوح » .

ونطالع المبحث الثاني (دعوة النبي نوح) ويستهله الباحث بقوله « كان عصر النبي نوح يمثل تكاملاً منطقياً وعقلياً ونضجاً في المجتمع البشري » ويؤسس على ما شرحه من مقياس تكريم العمل لعمارة الارض .. « لقد اسست قصة نوح القرآنية مبدأ ومقياساً للقيمة الانسانية وهو الايمان والعمل الصالح » ثم يخص « الطوفان » بعنوان المبحث الثالث . وان القرآن الكريم ذكر السفينة والحوار بين نوح وقومه واصناف الحيوانات التي وضعت في السفينة ولحظات الطوفان وجبل النصير الذي استقرت عليه السفينة ثم انتقل الى « الطوفان في الرواية التوراتية » ونقل ما جاء في سفر التكوين في اكثر من اصحاح وكيف جاء الامر بملء الفلك وتناقص المياه وانتقل الى الطوفان في الروايات التاريخية والرقم الطينية » وفصل ما جاء في ملحمة كلكامش ويخلص المؤلف الى ان « كل التفسيرات التي ذهبت الى وجود آثار لطوفان هائل كلها غير دقيقة وان الرقم

الطينية تخدمنا في حالة واحدة فقط وهي تأكيد حدوث طوفان هائل في زمن موغل في القدم لا سبيل الى تحديده .. » ثم نجيء الى الفصل الثالث « ابراهيم الخليل عليه السلام ابو الانبياء » وفي المبحث الاول تناول « العصر والملامح ـ متابعة تاريخية » ثم عصر ابراهيم وعادت الاحداث تحدثنا « ان آدم قد استقر في مكة بعد خروجه من الجنة ومن بعده نوح الذي مات ودفن في مكة ورحلة ابراهيم الى مكة كما نجد اخبار عاد وثمود في الدراسات التاريخية ومناهج الآثاريين ثم ينتقل الى الهجرات الرئيسة التي قدمت من جزيرة العرب نحو بلاد الرافدين ثم نجيء الى المبحث الثاني « ابراهيم عليه السلام في نصوص القرآن الكريم والاحاديث النبوية .. » إذ يطالعنا اول نص بما دار بين ابراهيم وابيه وتحذيره اباه من عبادة الاصنام .. ثم نقرأ حادثة « تحريق .. ؟ » وكيفية نجاته ثم ولادة اسماعيل والذهاب الى مكة وبناء الكعبة ، وكيف ارتبطت حياة ابراهيم بمكة من خلال اسماعيل الذي عاش مع امه هاجر ومات ودفن قرب امه ، وبعد ذلك يأتي « اسحاق عليه السلام » والآيات القرآنية التي تحدثنا عنه .. وبعدئذ يأتينا المبحث الثالث « ابراهيم عليه السلام » دراسة ومقارنة في المصادر غير الاسلامية والحفريات ، ثم « محاولة لتحديد عصر ابراهيم » اذ بدأ بما جاء في التوراة ثم « البحث عن ابراهيم عليه السلام في غير الكتب الدينية ثم الشرائع القديمة » وينتقل الى « شريعة حمورابي » لان عصر ابراهيم يمكن ان يوضع في موازنة ثم ننتقل الى المبحث الرابع « انبياء ارتبطوا بابراهيم عليه السلام وبعصره وبدأهم (بلوط) ثم ايوب ..

وننتهي الى الفصل الرابع (النبي يونس عليه السلام) ونقرأ في المبحث الاول « يونس عليه السلام في الرواية الاسلامية » الذي تحدث عنه القرآن الكريم في سورة يونس والانبياء ، والصافات والقلم وقد ارتبط اسمه بقصة ابتلاع الحوت له ويعود بنا المؤلف الى القرن الثاني قبل الميلاد الى مملكة آشور وما ذكره (مالوان) اثناء حفرياته في اور ونينوى .. » .

ويعود المؤلف ليتحدث في المبحث الثاني .. « المعجزات التي احياها الله تعالى لانبيائه » ونقرأ كيف ان البشرية في بدائيتها تحتاج الى المعجزات وان النبوءات توقفت عند محمد (ﷺ) واكتفت رسالته بمعجزة واحدة هي (القرآن) ثم نصل الى (يونس عليه السلام هل كانت دعوته قبل الحوت أم بعده) ثم المبحث الثالث (يونس عليه السلام في المصادر غير الاسلامية والحفريات) ثم يونس عليه السلام في الاناجيل ، ثم في الحفريات التي قال فيها ان هذه الرقم تعكس لنا طبيعة ثقافة العصور القديمة .. واننا نقرر من بينها بعض خيوط الحقيقة التي تربطنا بيونس .. اما المبحث الرابع فهو« انبياء مروا بالعراق » انبياء الاسر البابلي ومنهم دانيال وعزرا الكاتب ثم تحدث عن سقوط بابل .

واخيراً توافينا الخاتمة ـ بنتائج الدراسة واهمها .

١ ـ البحث عن جذور حضارة وادي الرافدين اقتضى البحث عن اصل الحياة ونشوئها .

٢ ـ تضمنت الدراسة آدم عليه السلام وملامح حياته وان من المرجح ان تكون مكانته وجنته في العراق .

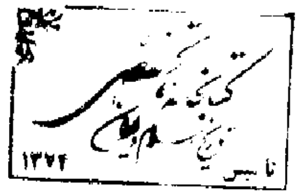
٣ ـ كذلك تضمنت الدراسة الانبياء الذي كان العراق يمثل نشاتهم .

٤ ـ وتعرضت الدراسة أيضاً لاهم حادث في عصر نوح وهو الطوفان .

٥ ـ من الانبياء الذين تضمنتهم الدراسة ابراهيم واسماعيل واسحاق والنبي يونس عليهم السلام .

اما خلاصة الخلاصة فهي ان وادي الرافدين كان مهد اولى النبوات والرسالات واولى الحضارات .

اخبار التراث العربي



حسن عريبي الخالدي

● الانباء بانباء الانبياء وتواريخ الخلفاء وولايات الامراء – للقضاعي ابي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر الشافعي الفقيه المؤرخ (٠٠٠ – ٤٥٤ هـ / ٠٠٠ – ١٠٦٢ م) وبذيله تتمة تاريخ الخلفاء العباسيين حتى سقوط بغداد وتتمة تاريخ الخلفاء الفاطميين حتى سقوط دولتهم في مصر لمؤرخ مجهول . تح بدراسة د : عمر عبد السلام تدمري ، ط – ١ ، بيروت ، المكتبة العصرية ، ٤٣٢ ص متضمنة فهارس الكتاب الخمسة

● التعليقة على كتاب سيبويه – لابي علي الفارسي الحسن بن احمد بن عبد الغفار النحوي (٢٨٨ – ٣٧٧ هـ / ٩٠١ – ٩٨٧ م) تح د . عوض بن محمد القوزي ، ط – ١ ، الرياض طبع مطابع الحصني ، ١ – ٦ مج والجزء السادس خاص بالفهارس الفنية وبه تم طبع الكتاب المهم في بابه وقد استغرق نشره قرابة خمس سنوات وقد ظلت (التعليقة) مجهولة او في حكم المفقودة . وهي أول شرح تام لكتاب سيبويه في القرن الرابع الهجري

● تكملة المعاجم العربية – تصنيف : رينهارت دوزي (١٢١٥ – ١٣٠٠ هـ / ١٨٢٠ – ١٨٨٣ م) نقله الى العربية وعلق عليه : جمال الخياط ، ط – ١ ، بغداد ، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية) وزارة الثقافة ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م ، ج – ١٠ (م – ن) ٣٥١

● التوكل على الله والأخذ بالاسباب – لابن تيمية تقي الدين ابي العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي (٦٦١ – ٧٢٨ هـ / ١٢٦٣ – ١٣٢٨ م) حققه : ابو المجد حوك ، ط ٢ ، القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ ، ١٣٦ ص

● جمل الاحكام – لابي العباس احمد بن محمد بن عمر الناطفي الطبري الحنفي الفقيه (٠٠٠ – ٤٤٦ هـ / ٠٠٠ – ١٠٥٤ م) دراسة وتحقيق : حمد الله سد جان سيدي رسالة ماجستير باشراف د . محمود العكازي ، كلية الشريعة والقانون ، جامعة الازهر ، ٤٨٥ ص

● الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين – لابن دقماق صارم الدين ابراهيم بن محمد بن ايدمر القاهري المؤرخ (٧٥٠ – ٨٠٩ هـ / ١٣٤٨ – ١٤٠٦ م) دراسة وتحقيق د . عمر عبد السلام تدمري ، ط – ١ ، بيروت ، المكتبة العصرية ويؤرخ هذا الكتاب الى حوادث ٨٠٥ هـ

● الجوهر النفيس في سياسة الرئيس – لابن الحداد محمد بن منصور بن حبيش الواعظ الموصلي (٠٠٠ – ٦٧٣ هـ حيا / ٠٠٠ – ١٢٧٤ م) دراسة وتحقيق : شكري صالح الصعيدي رسالة ماجستير باشراف د . نصر فريد واصل ، كلية الشريعة والقانون جامعة الازهر ، ٢٤١ ص

● خبايا الزوايا – للزركشي بدر الدين ابي عبد الله محمد بن بهادر ابن عبد الله المصري الفقيه (٧٤٥ – ٧٩٤ هـ / ١٣٤٤ – ١٣٩٢ م) دراسة وتحقيق : عبد القادر عبد الله خلف رسالة ماجستير باشراف د . محمد مصطفى شحاتة ، كلية الشريعة ، جامعة الازهر ، ٧٧٥ ص

● الدر النضير في آداب الوزير – لابي الاخلاص جاد الله الغنيمي الفيومي الشافعي (٠٠٠ – ١١٠٦ هـ / ٠٠٠ – ١٦٩٥ م) دراسة وتحقيق : محمد ابو الفتوح محمد البسيوني رسالة ماجستير باشراف د . عبد الجليل القرنشاوي ، كلية الشريعة والقانون ، جامعة الازهر ، ٢٤٢ ص

● كتاب الديباج – لابي عبيدة معمر بن المثنى البصري النحوي (١١٠ – ٢٠٩ هـ / ٧٢٨ – ٨٢٤ م) تح د . عبد الله بن سليمان الجربوع و د . عبد الرحمن بن سليمان العيثمين ، ط – ١ ، القاهرة مكتبة الخانجي ، ١٩٩ ص

● ديوان عبد الرحمن السويدي – ابي الخير عبد الرحمن بن عبد الله بن الملا حسين العباسي المطلبي الهاشمي (١١٣٤ – ١٢٠٠ هـ / ١٧٢١ – ١٧٨٦ م) حققه وعلق عليه د . عماد عبد السلام رؤوف ووليد عبد الكريم الاعظمي ، ط – ١ ، بغداد ، مكتبة القدس للطباعة ، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م ، ٢٣٣ ص

● الذريعة الى معرفة الاعداد الواردة في الشريعة – لابن العماد الاقفهسي شمس الدين ابي الفتح محمد بن احمد بن عماد القاهري الشافعي (٧٨٠ – ٨٦٧ هـ / ١٣٧٨ – ١٤٦٣ م) دراسة وتحقيق : واصف محمد ابراهيم دبيس رسالة ماجستير باشراف د . محمد مصطفى شحاتة ، كلية الشريعة والقانون ، جامعة الازهر ، ١٢٦٦ ص

● رحلة الى العربية السعيدة عبر المحيط الشرقي ومضايق البحر الاحمر – للفرنسي دي الاروك ترجمة : صالح محمد علي راجعه ونقحه : كامل يوسف حسين ، ط – ١ م ابو ظبي المجمع الثقافي ، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م ، ٢١٨ ص

● رحلة العبدري – ابي عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن

علي العبدري المتوفى بعد ٧٠٠ هـ تح د . علي ابراهيم قدم للكتاب د . شاكر الفحام ، دمشق ، منشورات دار سعد الدين وقد اعتمد المحقق على مخطوطات المغرب واوربة والاسكوريال وليدن وباريس

● رسائل ابن عربي : شرح مبتدأ الطوفان ورسائل اخرى دراسة وتحقيق : قاسم محمد عباس وحسين محمد عجيل ، ط - ١ ، ابو ظبي الامارات العربية المتحدة ، قدم المحققان للنص بـ ١١٥ ص . وهذه الرسائل تنشر لاول مرة ٣٥٠ ص

● رفع الستور والارائك عن مخبآت اوضح المسالك الى الفية ابن مالك - لمحيي الدين عبد القادر بن ابي القاسم بن احمد بن محمد الخزرجي الانصاري (٨١٤ - ٨٨٠ هـ / ١٤١١ - ١٤٧٥) دراسة وتحقيق : احمد محمود عبد الستار ، رسالة ماجستير باشراف د . ابراهيم حسن ابراهيم ، كلية اللغة العربية ، جامعة الازهر ، ٧٧٤ ص

● السيرة النبوية - لابي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري (٢٢٤ - ٣١٠ هـ / ٨٣٩ - ٩٢٣ م) تح : جمال بدران ، ط ٢ ، القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م ، ٣٧٦ ص

● شرح ابيات المفصل - للمحبي محمد امين بن فضل الله بن محب الله الحموي الدمشقي المؤرخ (١٠٦١ - ١١١١ هـ / ١٦٥١ - ١٦٩٩ م) دراسة وتحقيق : احمد جمال الدين رسالة ماجستير باشراف د . محمد عبد المجيد الطويل ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ٤٨٠ ص

● شرح الاشعار الستة الجاهلية - لابي بكر عاصم بن ايوب البطليوسي الاندلسي الوزير (٠٠٠ - ٤٩٤ هـ / ٠٠٠ - ١١٠٠ م) تح الاستاذ . ناصيف سليمان عواد ، ط - ١ ، بغداد طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية) وزارة الثقافة والاعلام ، ١٤٢١ - ٢٠٠٠ ، ج - ٢ في ١ - ٣ ق ، ٢١٩ ص + ٢٢٥ ص + ١٨٩ ص . سلسلة خزانة التراث وقد صدر الجزء الاول منه عن وزارة الثقافة والاعلام بتحقيق الاستاذ عواد عام ١٩٧٩ م ووقع في ٧١٢ ص

● شرح البرماوي على لامية الافعال - للبرماوي شمس الدين ابي عبد الله محمد بن عبد الدائم بن موسى بن عبد الدائم القاهري (٧٦٣ - ٨٣١ هـ / ١٣٦٢ - ١٤٢٨ م) دراسة وتحقيق : عادل محمود محمد سرور رسالة ماجستير باشراف د . صبحي عبد الحميد محمد كلية اللغة العربية ، جامعة الازهر ، ٥٩٨ ص

● شرح التصريف - لابي القاسم عمر بن ثابت بن ابراهيم بن عمر الثمانيني الموصلي النحوي (٠٠٠ - ٤٤٢ هـ / ٠٠٠ - ١٠٥٠ م) دراسة وتحقيق د . ابراهيم بن سليمان بن ابراهيم اليعيمي ، ط - ١ ، الرياض ، مطبعة الرشد ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م اصل الكتاب رسالة دكتوراه

● شرح حماسة ابي تمام (تجلي غور المعاني عن مثل صور الغواني والتحلي بالقلائد من جوهر الفوائد في شرح الحماسة) - للاعلم الشنتمري ابي الحجاج يوسف بن سليمان ابن عيسى الاندلسي (٤١٠ - ٤٧٦ هـ / ١٠١٩ - ١٠٨٤ م) دراسة وتحقيق د . علي المفضل حمودان ، ط - ١ ، دبي والامارات العربية المتحدة ، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ، دمشق - بيروت ، طبع دار الفكر ، ١ - ٢ مج في ١٣٤٠ ص وقد صدر الكتاب بمقدمة ضافية عن رواية الحماسة في الاندلس وعن حياة الاعلم ومؤلفاته . وختم بالفهارس

● كتاب شرح الشذرة الذهبيّة المسمي بـ« الفضّة المضيّة في علم العربية) - لشهاب الدين ابي العباس احمد بن ابي بكر بن زيد العاتكي الحنبلي (ت ٨٧٠ هـ) دراسة وتحقيق : محمد جاسم عبد الساطوري رسالة ماجستير باشراف د . محمد جاسم معروف الهيتي ، كلية التربية ، جامعة الانبار ، ١٤٢١ - ٢٠٠٠ ، ٢٣ ص (الدراسة والمصورات) + ٣٣٩ ص (النص المحقق)

● شرح صحيح البخاري (شرح الجامع الصحيح) - لابن اللجام ابي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي الاندلسي (٠٠٠ - ٤٤٩ هـ / ٠٠٠ - ١٠٥٧ م) دراسة وتحقيق : ياسر ابراهيم محمد وابراهيم سعيد ، ط - ١ ، ١٤٢١ - ٢٠٠٠ ، ١ - ١١ ج

● شرح كتاب سيبويه - للرماني ابي الحسن علي بن عيسى بن عبد الله الوراق (٢٩٦ - ٣٨٤ هـ / ٩٠٩ - ٩٩٤ م) تح د . المتولي بن رمضان احمد الديري ط - ١ ، القاهرة ، وكالة الشروق للطباعة والنشر ، ٢٩٠ ص وقد شرع المحقق بنشر القسم الصرفي منه عام ١٤٠٨ - ١٩٨٨ بسبب نقص النسخة التي لديه ثم وقع على مصورة تامة للكتاب وهي نسخة داماد ابراهيم باشا . فشرع من جديد في تحقيق الكتاب من اوله

● العقد الفريد في احكام التقليد - للسمهودي نور الدين ابي الحسن علي بن عبد الله بن احمد الحسني الشافعي (٨٤٤ - ٩١١ هـ / ١٤٤٠ - ١٥٠٥ م) دراسة وتحقيق : رمضان ابراهيم هتيمي رسالة ماجستير باشراف د . حسن احمد مرعي كلية الشريعة والقانون ، جامعة الازهر ، ٣٦٦ ص

● العقد الفريد لبيان الراجح من الخلاف في جواز التقليد - للشيخ ابي الاخلاص حسن بن عمار الشرنيلابي الوفائي الحنفي الفقيه (٩٩٤ - ١٠٦٩ هـ / ١٥٨٥ - ١٦٥٩ م) دراسة وتحقيق : دياب سليم محمد عمر رسالة ماجستير باشراف د . عيسى عليوه زهران ، كلية الشريعة والقانون ، جامعة الازهر ، ٢٢١ ص

● علل النحو - للوراق (ابن الوراق) ابي الحسن محمد بن عبد الله بن العباس البغدادي الفقيه النحوي (٠٠٠ - ٣٨١ / ٠٠٠ - ٩٩١ م) دراسة وتحقيق د . محمود جاسم الدرويش ، ط - ١ ، مكتبة الرشد .

● علل الوقوف - للسجاوندي ابي عبد الله محمد بن طيفور الغزنوي المفسر النحوي (٠٠٠ - ٥٦٠ هـ / ١١٦٥ م ، دراسة وتحقيق د . محمد عبد الله العبدي ط - ١ ، ١٤٢١ - ٢٠٠٠ ، ١ - ٢ ج ،

● عماد الرضا في بيان ادب القضا - للشيخ زين الدين ابي يحيى

زكريا بن محمد بن احمد الانصاري القاهري الشافعي (٨٢٦ - ٩٢٦ هـ / ١٤٢٣ - ١٥٢٠ م) دراسة وتحقيق : ابراهيم نصار رسالة ماجستير باشراف د . الحسيني يوسف الشيخ ، كلية الشريعة والقانون ، جامعة الازهر ، ٣٧٦ ص

● عيون المجالس - للقاضي ابي محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي الفقيه المالكي (٣٦٢ - ٤٢٢ هـ / ٩٧٣ - ١٠٣١ م) دراسة وتحقيق : امباي بن كيباكاه ط - ١ ، ١٤٢١ - ٢٠٠٠ اصل الكتاب رسالة ماجستير

● غاية المامول في شرح ورقات الاصول - لشهاب الدين ابي العباس احمد بن احمد بن حمزة الرملي المتوفى الانصاري (٠٠٠ - ٩٥٧ هـ / ٠٠٠ / ١٥٥٠ م) دراسة وتحقيق : سليمان موسى السطري رسالة ماجستير باشراف د . عيسى عليوة زهران كلية الشريعة والقانون ، جامعة الازهر ، ٣٧٠ ص

● فهرس المخطوطات العربية في مكتبة تشستر بيتي (دبلن / ايرلندة) اعداد د . محمود شاكر سعيد مراجعة د . احسان صدقي العمد ، ط - ١ ، عمان (الاردن) دار آفاق للنشر والتوزيع ، ١ - ٣ ج اشتملت على ١٨٣٠ صفحة من القطع الكبير

● قدامة بن جعفر وتحقيق المنزلة الخامسة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة - دراسة وتحقيق : مسفر بن عزم الله الرميلي رسالة ماجستير باشراف د . عبد الغني محمد عبد الخالق كلية الشريعة والقانون ، جامعة الازهر ، ٤٩٤ ص

● كتاب القواعد - لابن اللحام علاء الدين ابي الحسن علي بن محمد بن عباس الدمشقي الحنبلي (٠٠٠ - ٨٠٣ هـ / ٠٠٠ - ١٤٠١ م) دراسة وتحقيق : عايض بن عبد الله الشهداني وناصر بن عثمان الغامدي ، ط - ١ ، ١٤٢١ - ٢٠٠٠

● كتاب القواعد - لتقي الدين ابي بكر بن محمد بن عبد المؤمن الحصني الدمشقي الشافعي (٧٥٢ - ٨٢٩ هـ / ١٣٥١ - ١٤٢٦ م) دراسة وتحقيق : عبد الرحمن الشعلان و د . جبريل البصيلي ، ط - ١ ، ١٤٢١ - ٢٠٠٠ ، ١ - ٤ ج

● القول التمام في احكام المأموم والامام - لابن العماد الاقفهسي شهاب الدين ابي العباس احمد بن عماد بن محمد بن يوسف الفقيه (٧٥٠ - ٨٠٨ هـ / ١٣٤٩ - ١٤٠٥ م) دراسة وتحقيق : سعد ابو فرج رسالة ماجستير باشراف د . الحسيني يوسف الشيخ كلية الشريعة والقانون ، جامعة الازهر ، ٥٤٠ ص

● ما اتفق لفظه واختلف معناه - لابي العميثل الاعرابي عبد الله ابن خليد اللغوي الشاعر (٠٠٠ - ٢٤٠ هـ / ٠٠٠ - ٨٥٤ م) تح د . محمود شاكر سعيد ، عمان (الاردن) دار آفاق للنشر والتوزيع ، ١٨٥ ص قطع كبير

● كتاب المثلين - المنسوب لابي الغمر مسلم بن محمد ابن جعفر اللحجي اليمني الزيدي (ت ٥٤٥ هـ ترجيحا) تحقيق ودراسة د . فيصل مفتاح الحداد ، ط - ١ ، بنغازي منشورات جامعة قاديونس ، ١٤١٩ - ١٩٩٨ ، ١ - ٢ ج ، ٥٥٤ ص + ٥٥٧ - ٩٤٤ وهو من كتب الامثال وقد اشتمل على المنظوم والمنثور من الامثال العربية القديمة والمولدة المحدثة اما الجزء الثالث منه الذي يشتمل على التشبيه المنظوم والمنثور فلم يطبع بعد - فيما نعلم -

● مجمع البحرين وملتقى النهرين - لابن الساعاتي مظفر الدين ابي العباس احمد بن علي بن ثعلب الفقيه الحنفي (٠٠٠ - ٦٩٤ هـ / ٠٠٠ - ١٢٩٥ م) دراسة وتحقيق : محمد علي سلامة رسالة ماجستير باشراف د . محمد مصطفى شحاتة ، كلية الشريعة والقانون ، جامعة الازهر ، ٣٠٩ ص

● المحكم والمحيط الاعظم في اللغة - لابن سيدة ابي الحسن علي بن اسماعيل بن سيده المرسي الاندلسي الضرير (٣٩٨ - ٤٥٨ هـ / ١٠٠٧ - ١٠٦٦ م) - تح : مصطفى حجازي وحامد عبد المجيد ، ط - ١ ، القاهرة ، معهد المخطوطات العربية ، ج - ١٢ وبه تم طبع الكتاب ، ٢٦٦ ص قطع كبير .

● المسجد النبوي بالمدينة المنورة ورسومه في الفن الاسلامي - د . احمد رجب محمد علي ، ط - ١ ، القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، ١٤٢٠ - ٢٠٠٠ ، ٢٠٠ ص

● مصادر دراسة الشعر العربي في العصر العباسي حتى سنة ٤٤٧ هـ - عوض محمد الدوري رسالة دكتوراه باشراف د . رزوق فرج رزوق ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

● مقدمة القصيدة العربية في الشعر الاندلسي دراسة موضوعية فنية - تاليف د . هدى شوكت بهنام ، ط - ١ ، بغداد ، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة و (آفاق عربية) وزارة الثقافة والاعلام ، ١٤٢١ - ٢٠٠٠ ، ٣٤٦ ص سلسلة رسائل جامعية

● من اعلام العلماء العرب في القرن الثالث الهجري - احمد عبد الباقي ، ط - ١ ، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية ، ٠٠٠ - ١٩٩٠ ، ٢٨٨ ص سلسلة التراث القومي

● المنتخل - للميكالي ابي الفضل عبيد الله بن احمد ابن علي الاديب الشاعر (٠٠٠ - ٤٣٦ هـ / ٠٠٠ - ١٠٤٤ م) تح د . يحيى وهيب الجبوري ، ط - ١ ، بيروت ، دار الغرب الاسلامي ١٤٢١ - ٢٠٠٠ ، ١ - ٢ ج في ١١٣٠ ص من ضمنها الفهارس الفنية

● موسوعة اعلام العرب - اشرف عليها واعد موادها جمهرة من الباحثين والعلماء ط - ١ ، بغداد ، منشورات بيت الحكمة ، طبع المطبعة العربية ، ١٤٢١ - ٢٠٠٠ ، ج - ١ (أ - ي)

● كتاب الناسخ والمنسوخ في الحديث - لابن شاهين ابي حفص عمر بن احمد بن عثمان البغدادي المحدث (٢٩٧ - ٣٨٥ هـ / ٩٠٩ - ٩٩٥ م) دراسة وتحقيق : محمد ابراهيم الحفناوي رسالة ماجستير باشراف د . عبد الغني محمد عبد الخالق ، كلية الشريعة والقانون جامعة الازهر ، ٤٩٠ ص